دراسات حضارية مستقبلية

المكتبة الإسلامية لكل الأعمار
٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦

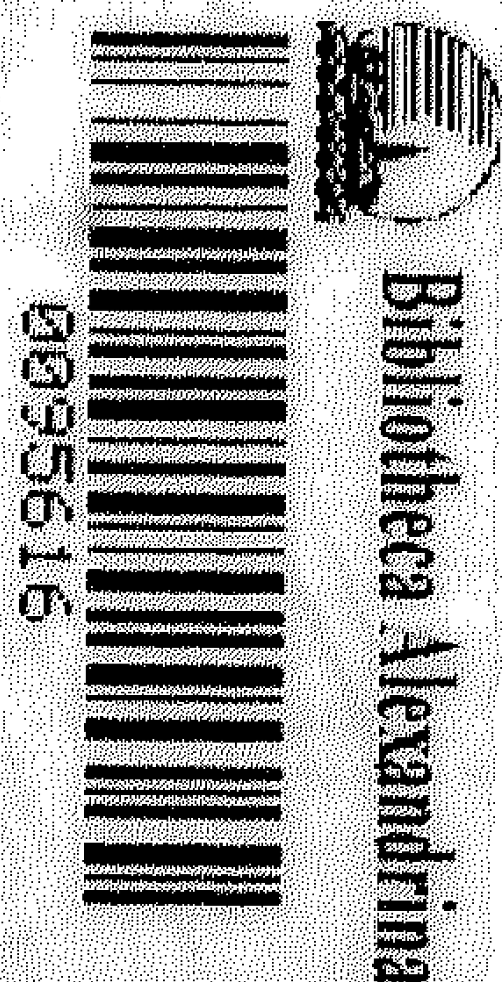
صراع الحضارات

فى القرن الحادى والعشرين
ودور الحضارة الإسلامية فى هذا الصراع

دكتور
أحمد شلبى
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
والحائز لوسام الجمهورية ووسام العلوم والفنون
من الطبقة الأولى



مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا القاهرة



دراسات حضارية مستقبلية

المكتبة الإسلامية لكل الأعمار
٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦

صراع الحضارات

في القرن الحادي والعشرين
ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع

للدكتور

أحمد شلبي

استاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة
والحائز لوسام الجمهورية، ووسام العلوم والفنون
من الطبقة الأولى



مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه ومن اتّبعه

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الإسلامي

دراسة تحليلية شاملة في عشرة مجلدات لتاريخ العالم الإسلامي كله، من مطلع الإسلام حتى الآن، مع دراسة الجوانب الحضارية التي حققتها الدول الإسلامية عبر التاريخ. (الطبعة الرابعة عشرة).

الجزء الأول :	السيرة النبوية العطرة وعصر الخلفاء الراشدين.
الجزء الثاني :	الدولة الأموية وإنصاف تاريخها.
الجزء الثالث :	الخلافة العباسية والدور الحضاري خلال عصرها الأول.
الجزء الرابع :	الأندلس الإسلامية، وانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا – المغرب– الجزائر – تونس – ليبيا من مطلع الإسلام حتى الآن.
الجزء الخامس :	تاريخ مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى الآن – الحروب الصليبية – الامبراطورية العثمانية منذ ظهورها حتى الآن – الأقليات الإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة.
الجزء السادس :	الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن : موريتانيا – السنغال – جامبيا – غينيا – مالي – النيجر – نيجيريا – تشاد – السودان – الصومال – جيبوتي – جزر القمر – ارتيريا.
الجزء السابع :	دول الجزيرة العربية والعراق من مطلع الإسلام حتى الآن : المملكة العربية السعودية – اليمن – سلطنة عمان – دولة الإمارات العربية – قطر – البحرين – الكويت – ثم العراق (أحداث العراق والكويت : ١٩٩٠ – ١٩٩١).
الجزء الثامن :	الدول الإسلامية غير العربية بآسيا: إيران – أفغانستان – الباكستان – بنجلاديش – ماليزيا – إندونيسيا منذ دخولها الإسلام حتى الآن – الأقليات الإسلامية في الهند والصين وروسيا والفلبين..
الجزء التاسع :	ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم . عصر جمال عبد الناصر: عصر المظالم والهزائم.
الجزء العاشر :	ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم : عصر أنور السادات.

كتب للمؤلف

ثانيا : موسوعة الحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الإسلام لهداية البشرية فى شئون الفكر، والسياسة، والاقتصاد، والعلاقات الدولية، وفى مجال الحياة الاجتماعية، والتربوية، والتشريعية، والقضائية، والعسكرية، كما تبرز جهود المسلمين فى الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك ... (الطبعة العاشرة).

الجــزء الأول : موجز عام للحضارة الإسلامية

المناهج الإسلامية: أصولها الصحيحة - انحرافاتها - وجوب تصحيحها .

الجـزء الثـانى : الفكر الإسلامى : منابعه وآثاره.

الجـزء الثـالث : السياسة فى الفكر الإسلامى - الشورى والمعارضة فى الإسلام مع بيان الفرق بينهما - مقارنة النظم السياسية الإسلامية بالنظم السياسية المعاصرة.

الجــزء الرابع : الاقتصاد في الفكر الإسلامى - مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة.

الجـزء الخـامس : التربية والتعليم في الفكر الإسلامى.

الجـزء السـادس : المجتمع الإسلامى: تكوينه وعلاج مشكلاته فى الفكر الإسلامى.

الجـزء السـابع : الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامى: نطاق الأسرة ونطاق المجتمع كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء.

الجـزء الثـامن : التشريع والقضاء فى الفكر الإسلامى.

الجـزء التـاسع : العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى.

الجـزء العـاشـر : رحلة حياة : تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الإسلامية.

كتب للمؤلف
ثالثا : مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الأديان تعتمد على أدق المصادر بمختلف اللغات، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق، وتشمل :

الجزء الأول - اليهودية : **(الطبعة الحادية عشرة)**

- دراسة لشتى المسائل اليهودية : اليهود فى التاريخ من عهد إبراهيم حتى الآن– الصهيونية – أنبياء بنى اسرائيل، عقيدة بنى اسرائيل، يهوه إله بنى إسرائيل، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودى ، التابوت والهيكل، الكهنة والقرابين...
- مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود، بروتوكولات حكماء صهيون.
- اليهود في الظلام : الاغتيال، التجسس، الماسونية، الروتارى، الليونز – شهود يهوه، البابية والبهائية – من صور التشريع فى اليهودية.

الجزء الثاني - المسيحية : **(الطبعة العاشرة)**

- المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة.
- بولس واضع المسيحية الحالية، التثليث، صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر.
- شعائر المسيحية، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية، المجامع، طبيعة المسيح والآراء فيها، الطوائف المسيحية، الرهبنة والأديرة، خرافة ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون، حركة الإصلاح الدينى ونتائجها ونقدها.

الجزء الثالث - الإسلام : **(الطبعة العاشرة)**

- الله في التفكير الإسلامي، النبوة في التفكير الإسلامي، غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، الدين المعاملة، المرأة فى الإسلام، الرق وموقف الإسلام منه، السياسة والاقتصاد فى الإسلام، أراء المفكرين الغربيين في الإسلام ورسول الإسلام.

الجزء الرابع - أديان الهند الكبرى : **(الطبعة العاشرة)**

«الهندوسية - الجينية - البوذية»

- مقدمة عن : جغرافية الهند، سكان الهند، اللغات في الهند، الأديان فى الهند.
- دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستها، كيتا.
- أهم العقائد الهندية : الكارما والتناسخ، الانطلاق والنرفانا، وحدة الوجود.
- تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها.

كتب للمؤلف

رابعا : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ – كيف تكتب بحثا أو رسالة.
دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراة:
(الطبعة الثالثة والعشرون – مع ثلاثة ملاحق مهمة).
٢٦ – الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الإسلام، واستمرارها حتى الآن:
عرض للهجمات الصليبية الغربية عسكريةً وفكريةً على العالم الإسلامي عبر العصور.
٢٧ – احداث العراق والكويت : ماذا أبرزت من مشكلات، وماالسبيل للتغلب عليها – دراسة تاريخية نفسية محايدة:

كتابان باللغة الانجليزية هما :
٢٨ – ISLAM : Belief - legislation - Morals
٢٩ – History of Muslim Education

وباللغة الفرنسية :
٣٠ – ISLAM : Croyance - Legislation - Morale

(مكتبة النهضة المصرية)

وباللغة الاندونيسية والماليزية :
٣١ – Nearag dan pemerintahan Dalam Islam
٣٢ – Masjarakat Islam
٣٣ – Hukum Islam
٣٤ – Sedjarah dan Kebudajaan Islam I
٣٥ – Sedjarah dan Kebudajaan Islam II
٣٦ – Sedjarah dan Kebudaajaan Islam III
٣٧ – Perbandingan Agama (Jahudi)
٣٨ – Perbandingan Agama (Msihi)
٣٩ – Perbandingan Agama (Islam)
٤٠ – Perbandigan Agama (Agama 2 yng) Tebeser di Inia: Hindu-Jaina - Buddha)
٤١ – Sadijarah Pendidikan Islam
٤٢ – Politik dam Ekonomi Dalan Islam
٤٣ – Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam
٤٤ – Perkembangan Keagamaan Dalam Islam dn Masehi
٤٥ – Perang Salib
٤٦ – Kurikulum Islam Dalam Perkembangan Sedjarah
٤٧ – Pengajian Al Quraan
٤٨ – Sekjarah Kchakiman Dalam Islam

(**Pustaka National (Singapore)**)

خامسا : التفسير الميسر للقرآن الكريم

سادسا : تعليم اللغة العربية لغير العرب وقواعد اللغة العربية والتطبيق عليها.

كتب للمؤلف
سابعا : المكتبة الإسلامية لكل الأعمار

تخطيط يشمل مائة كتاب في الدراسات الإسلامية التى تناسب كل الأعمار كالآتى:

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة ١٦ جزء
المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة ٧ أجزاء
المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية ٥ أجزاء
المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم ٧ أجزاء
المجموعة الخامسة : الدولة الأموية : تاريخ يحتاج إلى إنصاف ٥ أجزاء
المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات ٥ أجزاء
المجموعة السابعة : الإسلام والمرأة ٥ أجزاء
المجموعة الثامنة : شخصيات إسلامية مهمة (هارون الرشيد – المأمون..) ٧ أجزاء
المجموعة التاسعة : كتب التنوير الحقيقى : ١٥ جزءا

١ – مدن إسلامية مقدسة : مكة المكرمة – المدينة المنورة – القدس الشريف
٢ – الإسلام : عقيدة وشريعة وأخلاق
٣ – الرسول في بيته : زوجاته – أولاده – أحفاده – خدمه
٤ – مع أنبياء الله من آدم إلى محمد ٢٥ نبيا (ورد ذكرهم فى القرآن الكريم)
٥ – السيرة النبوية للناشئة
٦ – الإسلام والشباب
٧ – بحوث في الحضارة الإسلامية
٨ – مع القرآن الكريم
٩ – صلاح الدين الأيوبي : شخصيته – عصره – جهوده
١٠ – عواصم الخلافة الإسلامية عبر العصور : المدينة المنورة – الكوفة – دمشق – بغداد – سامراء – القاهرة – القسطنطينية – قرطبة
١١ – شبهات المستشرقين ضد الإسلام : مناقشتها وردها
١٢ – صراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين ودور الحضارة الإسلامية فى هذا الصراع .
١٣ – السخاوى والسيوطى وصراع المنافسة بين الأقران
١٤ – الجبرتى المؤرخ المصرى : حياته وتصويره لمصر مركزًا للدراسات الإسلامية فى عصره
١٥ – مواقف إنسانية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (الجزء رقم ١٠٠)

المجموعة العاشرة : كتب متفرقة كثيرة منها :

الميراث فى الشريعة الإسلامية
السلفية
تاريخ الطب فى الإسلام
الإسلام فى أوربا
الصحوة الإسلامية

حركات فارسية ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور:
الزنج – القرامطة – الزنادقة – البابية والبهائية

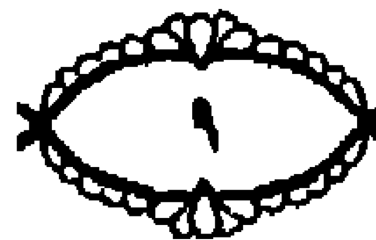
(اكتملت الأجزاء المائة بعون الله)

مقدمة الكتاب

كان من قَدَرى أن اتَّجهتُ لكتابة «الحضارة الإسلامية» منذ مطلع النصف الثانى للقَرن العشرين، وأخرجت فى ذلك «موسوعة الحضارة الإسلامية» فى عشرة أجزاء، وقد أعيدت طبعاتها حتى الآن عشر مرات، وتُرجمت بعض أجزائها إلى الفارسية والتركية والإنجليزية والأوردية، وأصَبحتُ بذلك مشهورا بأننى أستاذ الحضارة الإسلامية، وارتبطتُ محاضراً وباحثا في الحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة سنوات طويلة وحُرمت من أن أحاضر فى التاريخ الإسلامى ومقارنة الأديان مع أننى كتبت موسوعة التاريخ الإسلامى فى عشرة مجلدات كبيرة ، وكتبت كذلك مجموعة مقارنة الأديان، فى خمسة أجزاء والمكتبة الإسلامية لكل الأعمار فى مائة جزء.

ومن أجل هذا فإننى عندما تعرَّفت على ما أُثير أخيرا عن «صراع الحضارات» فى القرن الحادى والعشرين منذ نشر Huntington نظريته عن The Clash of Civilization أحسست أن هذا النوع من التحدى موجَّهٌ لى، فانبريت لمواجهته بتصوير الحضارات المهمة التى ستدخل هذا الصراع وأهمها الحضارة الغربية، وهى تشمل أوربا والولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية، وتسير اليابان فى محيطها تقريبا، ثم الحضارة الصينية وفيها أصالة ومعاصرة وكذلك الحضارة الإسلامية وجانب الأصالة فيها أعظم من جانب المعاصرة وكان هذا الكتاب نتيجةَ هذا الجهد الذى استغرق الكثير من الوقت والفكر.

وقد عُنيت بدراسة مشكلات الحضارة الإسلامية كما يُعنى الطبيب بحالة مريضه، فتدارستُ كل هذه المشكلات المادية والروحية، واقترحتُ العلاجَ من خَبَرتى ومن خبرات من حولى من الكتَّاب والباحثين، وعرضت ذلك فى أسلوب سهل التناول .



وواضحٌ أننى كررت قصداً الكلام عن الديمقراطية، فالديكتاتورية فى العالم الإسلامى هى من أهم أسباب التخلف والضعف، كما كررت الكلام عن إسرائيل فهى وباء وضعه الغرب فى ديارنا وشدَّ أزرَه لإضعافنا، ولابدَّ من مواجهته وكفٌّ عدوانه حتى يقضى الله فيه وفينا أمره.

والكتاب بهذا الوضع يحتاج إلى عناية فى مدارسته، فكل كلمة منه صدرت من أعماق قلبى وأردت بها خدمة الدين والوطن.

وقد أمضى العالَم الإسلامى عدة قرون وهو يعانى من مشكلات داخلية وخارجية، ونتمنى أن يكون الأوان قد آن لكشف الغمة وإعادة نبضِ العافية لجسم العالَم الإسلامى وروحه، وليس بعيدا أن يكون بحث Huntington باعثًا لنهضة ووحدة إسلامية يَستَعيد بها المسلمون أمجادهم.

وحتى أكون واحداً ممن يكتبون فى «صراع الحضارات» بذلت أقصى الجهد لأتعرف على كلٍّ أو أكثر ماكُتب عن هذا الموضوع، ويسرُّنى أن أذكر أن كتابى هذا سيكون إن شاء الله من أهم ماكتب، لأنه أكثر شمولا من سواه، ولأنه يمتاز بأنه نمط خاص حول دراسة القضية لسببين :

١ - إحاطتى بجوانب الحضارة الإسلامية ربما أكثر من أى كاتب آخر .
٢ - إبراز جوانب التقصير فى حياتنا، والحثُّ على الإصلاح وسد الثغرات لنستطيع أن ندخل حلبة الصراع بدون معوِّقات .

والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة مؤلفها وقارئها، وأن يهيىء الخير للمسلمين ليكونوا حملة نور وهدًى للمجتمع البشرى .

وعلى الله قصد السبيل

دكتور أحمد شلبى

فى الثالث من يوليو سنة ١٩٩٦

مقدمة الدراسة

إن الروح الصليبية التى تفجّرت فى آخر القرن الحادى عشر، تلك التى راح ضحيتها ملايين البشر من المسلمين والصليبيين، هذه الروح لاتزال متّقدة لم تُضْعفْها القرون، ولااستطاعت أحداث الزمان أن تثنى الصليبيين عن عدائهم للَمسلمين ، فبعد عشرة قرون تقريبًا من بدء الحروب الصليبية نرى استعدادا غربيًا لصراع جديد ضد الإسلام والمسلمين، ولعل ريتشارد نيكسون الرئيس السابق للولايات المتحدة الذى عُزل من منصبه لثبوت تجسسه على منافسيه فى الفضيحة الشهيرة باسم فضيحة «ووترجيت» كان الصوتَ العالىَ الأول الذى دعا للاستعداد للمواجهة مع المسلمين، فقد نشر مقالا فى مجلة الشئون الخارجية سنة ١٩٨٥ جاء فيه :

Russia and America should join hands to fight the rising tide of findamentalism

وترجمة هذه العبارة هى : روسيا وأمريكا يجب أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب صحوة الأصوليين المسلمين.

ولم يكتف نيكسون بذلك بل نشر كتابا كبيرا عنوانه : Seize the Moment أى انتهزوا الفرصة أو تمسكوا بالظرف المواتى ، وفيه يقرر أن الإسلام قوة هائلة، وأن تزايد عدد سكانه، والقوة المالية التى يتمتع بها تشكّلان تحديا رئيسيا للغرب، وأن الغرب سيضطر إلى تشكيل حلف جديد مع موسكو لمواجهة عالَم إسلامى معادٍ ومعتد، فإن الإسلام والغرب متناقضان ومتباينان، وإن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه معسكران لايمكن التوفيق بينهما: دار الإسلام ودار الحرب.

ويضيف قائلا : ومن هنا ينبغى أن يستعد الغرب لمواجهة حاسمة مع الشرق الإسلامى[١] فالعالم الإسلامى يشكّل واحدا من أعظمّ التحديات السياسية الخارجية للولايات المتحدة فى القرن الحادى والعشرين[٢]

ويقرر نيكسون كذلك أنه وإن لم يوجد مكتب مشترك لرسم سياسة المسلمين، فإن الحضارة الإسلامية تعتبر رباطا مهما بينهم، ويضيف كذلك[٣] إن بعضا من التضامن السياسي موجود فعلا بين الدول الإسلامية. فعندما غزا الاتحاد السوفيتى أفغانستان أصاب الفتور علاقة موسكو مع الدول الإسلامية من المغرب، وحتى إندونيسيا.

والحق أن هناك صراعا حضاريا بين الغرب والمسلمين، ولكن ليس لعدوانية المسلمين التى صورها نيكسون، بل لأن الحضارتين مختلفتان تماما ويصعب أن تلتقيا، فالحضارة الإسلامية أساسها الدين والقيم العليا، والحضارة الغربية أساسها التكنولوجيا والحرية المطلقة التى عبر عنها سارتر بقوله : إن الوجودية التي نعيشها تنبني علي توديع مايسميه الجبناء وجدانا وضميرا، وعلي الاستجابة لكل مطالب الشهوة والمصلحة الخاصة، وكان تصرف الولايات المتحدة متمشيا مع ذلك فى قضية الحرب بين العراق وايران، فنيكسون يعلن (أن الولايات المتحدة ساعدت إيران والعراق عندما كانت الحرب مشتعلة بينهما، فتدمير القوتين هدفٌ مهم لنا، وكانت مساعدتهما تخضع لحقيقة مهمة هى أن مصالحنا تطلبت ألا يخرج أيٌّ من الجانبين منتصراً انتصارا حقيقيا، فكنا نقدم السلاح لهما وعيوننا على هذا الهدف[٤])

---

(١) Richard Nixon: Seize the Moment P. 39

(٢) المرجع السابق P. 54

(٣) المرجع السابق ص ٤٤

(٤) المرجع السابق ص ٤٩ .

وتلك هى قمة الغدر التى توضح نوايا الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامى وهى تذكرنا بما فعله فرديناند وإيزابلا مع المتنازعين على السلطة في الأندلس فى أواخر عهد بنى الأحمر، فقد كان فرديناند وإيزابلا يقدمان السلاح لكل من المتنازعين وكانا يقولان: إن كلاً من الجيشين يمثل جيشًا لنا يقتل أعداءنا فيتحقق لنا النصر بدون جهد، وكذلك فعلت الولايات المتحدة مع كل من إيران والعراق، وانطلت الحيلة على المتنازعين فى العصر الحديث كما انطلت فى العصر الوسيط.

ثم إن الغرب صليبيٌّ النزعة يهوديٌّ الهوى، يهوى الدماء، فما إن سقط الاتحاد السوفيتى حتى بحث عن عدو جديد يباشر معه صراعه وصدامه.

صراع الحضارات

ومن كلام نيكسون الذى اقتبسناه آنفا يتضح أن الحضارة الإسلامية قوةٌ مرشَّحة لتواجه حضارة الغرب فيما يعرف بصراع الحضارات.

ولعل هذا هو الذى دفع صمويل هانتنجتون إلى نشر مقال بمجلة الشئون الدولية سنة ١٩٩٣ عن صراع الحضارات فى القرن الجديد. وهذا المقال أثار عاصفة بين المفكرين عن هذا الصراع المتوقع بين الحضارات فى القرن الجديد الذى هو فاتحة الألف الثالثة في التقويم الميلادى فهو ليس قرنا جديدا فقط، بل نحن به نواجه ألفًا جديدة فى هذا التقويم، والصراع فى هذا القرن سيكون صراعا حضاريا أكثر منه صراعا عسكريا.

خلاصة رأى هانتنجتون

وقبل أن نستمر في الحديث نعطى موجزا لهذا المقال، يقول هانتنجتون :

العالم مقبل على حلقة صراع جديدة، تصطرع فيها القوى الكبرى المختلفة مُسْقطةً كثيرا مِنَ دوافع الصراع القديمة الأيدويولوجية، وتعود الحضارة لتصبح المحرك الأعلى للصراع .

ويذكر حلقات الصراع العالمى ودوافعه كالآتى :

١ - بدءا من الثورة الفرنسية أصبحت الخطوط الأساسية للنزاع خطوطا بين الأمم وليس بين الأفراد كما كان الحال من قبل .

٢ - ثم جاء النزاع بين الأيدويولوجيات والمذاهب فظهر الصراع ضد النازية والفاشية والشيوعية .

٣ - وأخيراً ظهر صراع الحضارات والثقافات وهى الحلقة الأخيرة بين حلقات الصراع العالمى .

الانقسامات الكبرى فى السنوات المقبلة سوف تكون ثقافية، والنزاعات الأساسية فى السياسة العالمية سوف تكون بين أمم لها حضارات مختلفة، أو مجموعات من الأمم لها حضارات مختلفة كذلك، وكرَّر هانتنجتون هذه المعانى عدة مرات كالآتى :

الخطوط الفاصلة بين الحضارات سوف تكون هى خطوط المعارك .

الخصائص والفروق الثقافية أقلُّ قابلية للتبديل وأقل قابلية للحلول الوسط عن نظيرتها السياسية والاقتصادية، ولذلك ستحلُّ الفروق الثقافية المكان الاول فى أسباب الصراع

النزاع بين الحضارات سوف يكون بمثابة الرحلة الأخيرة فى تطور النزاع فى العالم الحديث .

* وإن حضارات كثيرة ستشترك فى هذا الصراع منها الحضارة الغربية والهندية واليابانية والإسلامية والكونفوشية وربما غيرها .

والذى دعا إلى أن ينتقل الصراع من صراع عسكرى إلى صراع حضارى أن الصراع العسكرى فى الحرب العالمية الثانية لم يحقق أهدافه فى القضاء على دول المحور، بل بالعكس فألمانيا واليابان اللتان استسلمتا دون قيد ولاشرط سرعان ماسبقتا المنتصرين فى مجال الاقتصاد والإبداع .

وسنعود فيما بعد لهذا الموضوع بالتزيد من الشرح والبيان .

أهمية الدين بين عناصر الحضارات

ويذكر هانتنجتون أن أركان الحضارة المشتركة التي تربط بين الجماعات هي اللغة والدين والتاريخ والعادات، وكلُّ هذه مجتمعةٌ في الدول العربية، ثم إن الدين وهو من أقوى الأركان يربط الدول العربية بالدول الإسلامية برباط قويٍّ، وبخاصة أن الإسلام خلق تشريعات مشتركة وقيَمًا وأخلاقا لكلِّ المسلمين، وهذه العلاقات بين المسلمين بَعضهم والبَعض أقوى من الأيديولوجيات والسياسة، واللغةُ العربية لغة القرآن واسعة الانتشار في البلاد الإسلامية، وكل الدول الإسلامية ترتبط بالتاريخ الإسلامي وتتدارسه، ومن هنا قويت الروابط بين الدول الإسلامية بعضها ببعض.

ويركِّز هانتنجتون على أهمية الدين الإسلامى فيكرر القول كالآتى :

* الدِّينُ الإسلامى يملأ الفراغات بين الأجناس ويكون ذلك فى صورة حركات توصف بأنها أصولية مما يجعل الدين عاملا كبير الأهمية في توفير الإحساس برباط حضارى يوحِّد بين الكثيرين، والخصائصُ الحضارية والفروقُ الثقافية أكثر ثباتا من الخصائص السياسية والاقتصادية لأن الدين يفصل بين الناس بصورة جادَّة وحادَّة .



* والحرب الباردة التى توقفت تجعل الدين أساسا لإقامة علاقات أكثر قوة من العلاقات السياسية والاقتصادية .

- ويهاجم هانتنجتون الفكر الإسلامى الأصولى ككلٍّ الغربيين فيقول :

* نمو الجماعات الأصولية الإسلامية يُضْعف ويقلِّل الصلات بين المسلمين والغرب ، والتجمعُ الإسلامى يصطدم بَمجموعات كثيرة فى الصرب وإسرائيل وبورما والفيلبين .

ويستمر هانتنجتون قائلا : ونزعة إحياء الدين تقدِّم أساسَ الالتزام الذى يتعالى على حقائق الحدود القومية ، ويوحِّد بين الحضارات مهما بعدت الدول الإسلامية بعضها عن بعض .

* والثقافة والدين عاملان شكَّلا أساس التعاون الاقتصادى الذى جمع بين عشرة أقطار إسلامية غير عربية هى إيران وباكستان وتركيا وأفغانستان وأذربيجان وكازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان وتادجيكستان وأوزباكستان ، والاختلافات الحضارية والدينية هى التى تخلق اختلافات حول المسائل السياسية .

* وقد حاول الغرب دفع القيم الديمقراطية والليبرالية للشرق الإسلامى باعتبار الديمقراطية والليبرالية قيما عالمية ولكنه لم يفلح لأن الدين الإسلامى أقوى من الجميع .

ويعترف هانتنجتون أن المجابهة أمام الغرب ستكون من المسلمين الذين هالهم عدوان الغرب على المسلمين خلال القرون الأخيرة، ثم لأن الغرب يستعمل مقياسا مزدوجا للأحداث، فهو يصارع العراق ويدكها دكاً، ويتسامح مع إسرائيل مع كثرة عدوانها على العرب.

* وينصح الغربَ ألا يغترَّ باتساع أفكاره الحضارية فى العالم الإسلامى ، فذلك فقط على السطح ، وليس لهذا أى عمق حقيقى .

* والمجموعات التى تنتمى لحضارة واحدة تعمل على الارتباط ضد المجموعات التى تنتمى لحضارة أخرى ، وعلاقات التعاون تتأسس فى ضوء الاشتراك فى حضارة واحدة.

* والذى سبب هذا الاتجاه فى الصراع هو سيطرة الغرب بعد الحرب العالمية الثانية على المؤسسات الأمنية والاقتصادية ومجلس الأمن .

* والاختلاف في الثقافة يعتبر مصدرا للنزاع ، وليس الأمر متعلقا بالثقافة فقط ، بل إن هناك اختلافا في المفاهيم كالفردية ، والحرية ، والدستورية ، وحقوق الإنسان ، والديمقراطية ، والأسواق الحرة ، وفصل الكنيسة عن الدولة .

وهناك بُلدان ممزقة على صعيد الانتماء الحضارى لكثرة الشعوب بها التى تنتمى إلى حضارات مختلفة كالاتحاد السوفيتى السابق أو الاتحاد الروسى الحالى ، وهذه يقلُّ وزنها فى الصراع

وبُلدان غير غربية اختارات التنافس مع الغرب من خلال تطوراتها السياسية والاقتصادية مثل الكونفوشية والإسلامية ، فقد أخذت الصين تورِّد السلاح إلى ليبيا والجزائر والعراق .

وستصبح هناك مباراة بين الحضارة الغربية والحضارة غير الغربية ولن تكون الحضارات غير الغربية متأثرة فقط بل ستكون مؤثِّرة أيضا .

وستصبح البؤرة المركزية للنزاع فى المستقبل بين الغرب من جانب والكونفوشية - الإسلامية من جانب آخر ، فالمجتمعات الغربية لها ملامح ثقافية تميزها عن العرب والصين .

* ويورد هانتنجتون تاريخ الصراع بين الغرب والمسلمين كالآتى :

١ - استمر هذا الصراع لمدة ١٣٠٠ سنة من عهد عمر بن الخطاب حتى العهد الحاضر .

٢ - اكتسح المسلمون أرضا كانت تحت سلطة الروم وهي سوريا ومصر والشمال الإفريقي والأندلس، ورفع الإسلام شأنها .

٣ - من القرن الحادي عشر للقرن الثالث عشر حاول الصليبيون استعادة الأرض العربية وكان نجاحهم محدودا ومؤقتا .

٤ - من القرن الرابع عشر للقرن السابع عشر ظهر زحف العثمانيين الذين فتحوا البلقان وفتحوا القسطنطينية وحاصروا فيينا .

٥ - في القرن التاسع عشر فرضت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا سيطرة الغرب على كثير من البلدان الإسلامية .

٦ - تراجع الغرب بعد الحرب العالمية الثانية ولكن النفوس محتشدة بالآلام .

ويقترح هانتنجتون على الغرب وسائل على المدى القصير وأخرى على المدى الطويل .

فعلى المدى القصير يقترح مايلي لتقوية المعسكر الغربي :

١ - دعم التعاون الأمريكي الأوربي مع إدماج أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية في هذا الصف .

٢ - الحفاظ على علاقات التعاون مع روسيا واليابان .

٣ - الحد من توسع القوة العسكرية الإسلامية - الكونفوشية واستغلال الخلافات والنزاعات في هذا المعسكر لإضعاف هذه الجبهة .

٤ - دعم الحضارات المتعاطفة مع القيم الغربية (إسرائيل) وهذه نقطة سوداء في تفكير الغرب وتفكير هانتنجتون .

وعلى المدى الزمني الطويل يقترح مايلي :

١ - ستحاول الحضارات الأخرى الوصول إلى مستوى الحضارة الغربية وستنجح اليابان في هذه المحاولة، ولذلك يجب جذب اليابان للمعسكر الغربي .

٢ - ستحاول الدول غير الغربية تحديث ثقافتها وقيمها التقليدية، وسوف تزيد تلك المحاولات من قوتها الاقتصادية والعسكرية .

٣ - يجب أن يطوِّر الغرب فهمًا أعمق للفروض الدينية والفلسفية الكائنة وراء الحضارات الأخرى .

والخلاصة : لن تكون هناك حضارة عالمية واحدة، بل عالَم يضُم حضارات مختلفة ينبغى أن تتعايش معا .

هذه بوجه الإجمال هى خلاصة البحث الذي نشره هانتنجتون عن «صراع الحضارات» وأتبعه بروفسور برنارد لويس بدراسة عن «صراع الثقافات» وهو لايخرج عن هذا الخط، وقد وصف الحروب الصليبية بأنها حرب مقدسة، وهذا التعبير مغالطة واضحة، فهذه الحرب كانت عدوانا سافرا، ولم ينس برنارد لويس جذوره اليهودية فألف كتابا عنوانه : «احذروا الشرق الإسلامى» أو «خطر الشرق الإسلامى» أو «جذور السعار الإسلامى» .

تعليقاتنا السريعة على هذه النظرية:

* هانتنجتون يحاول خلق عدو خارجى للولايات المتحدة، فكأنه بحكم غريزته الغربية يُعدّ العدة لحرب قادمة، أو كأنه يخشى أن تتوانى الولايات المتحدة فى الاستعداد .

* يتحدث عن الغرب كجماعة واحدة، وهذا خطأ، فالغرب ليس كتلة واحدة، وقد حاول الغرب التأثير على فرنسا لتكفّ عن تجاربها الذرية ولكنه لم يفلح .

* هانتنجتون ليس دارسا للفكر والقيَم الإسلامية فهاجم الأصولية مع أنه عاد فقال إن الأصولية موجودة فى اليهودية بشكل سافر وموجودة فى المسيحية والكونفوشية والبوذية .

* دخل الموضوع على أنه صراع، ونسى محاولات غرس التسامح بين الشعوب، إذ اعتبرت الأمم المتحدة عام ١٩٩٥ عام التسامح، فاتجاهه هو الاتجاه الغربى العدوانى.

* أبرز هانتنجتون أهمية الدين، وهى نقطة خلاف كبيرة بين المسلمين والغرب، فقد اختفى الدين من الغرب الذى يتبع المسيحية اسما ولايتبعها فكرا، ولكن الدين الإسلامى واسع الازدهار فى الشرق الإسلامى، وشديد الصلة بأمور الناس الدينية والدنيوية والأخروية، والدين الإسلامى واسع الحضارة، وهو يقوّى الدعائم والصلات بين أتباعه، وهو أساس قوى لإقامة علاقات أكثر قوة من العلاقات السياسية والاقتصادية كما أشار، وهاجم هانتنجتون ماأسماه «الأصولية الإسلامية» وذلك لأنه قليل البضاعة فيما يتعلق بالفكر الإسلامى، ففَهْمُ الأصولية على أنها وسيلة إرهاب فهم خاطئ، فالمسلم صحيح الإيمان إنسان أصولى يتبع أصول الدين وأخلاقياته وقيمه، وهو بعيد كل البعد عن الإرهاب والعدوانية ومتمسك بالتسامح الإسلامى كما أثِر عن الرسول ﷺ، وسنخص الأصولية بحديث بعد قليل.

وتكلم عن اصطدام المسلمين بالغرب وإسرائيل والفلبين وبورما، وعجز عن إبراز الحقيقة الواضحة وهى أن المسلمين معتدى عليهم في جميع هذه الدول.

ومما ترفضه جماعات المسلمين موضوع فصل الكنيسة عن الدولة الذى تمّ فى الغرب لطغيان الكنيسة ومحاربتها للعلم، ولكن الإسلام يرعى شئون العلم ويرعى السياسة والاقتصاد، ولايعطى لقياداته أى نفوذ كذلك الذى كان يتمتع به البابا فى العصور الوسطى، فلا فصل فى الإسلام بين الدين

والدولة ، فالفصل بين الدين والدولة فى الغرب هو الذى كان معولا لتقويض الحياة الاجتماعية والخلقية التى اهتمت بها الأديان .

وعندما يقف المسلمون فى معسكر مضاد للغرب - كما قال - فذلك نتيجة لسياسة الغرب في البلاد الإسلامية خلال الحروب الصليبية، أو عهد الاستعمار، وللتأييد المتصل لإسرائيل على حساب العرب المسلمين وحساب الحق والعدل.

وضراوة الصراع الغربى نتيجة طبيعية لتراث شاع فى الغرب عن تخيّل الصراع بين الله سبحانه وتعالى وبين آدم ، فهم يرون أن منع آدم من الأكل من شجرة معينة كان لأن ثمارها تمنح الخلود ، ونسى هؤلاء أن آدم أكل فعلا من هذه الشجرة ولم ينل الخلود .

وصراع آخر عرفه تراث الغرب هو الصراع المزعوم بين الله سبحانه وتعالى ضد إسرائيل ويحكون أن إسرائيل كان له النصر ، وتلك خرافة من خرافاتهم .

وعندما نتخيل صراعا يدور بين الغرب وبين المسلمين ، وأن المسلمين يهددون الغرب بعد سقوط الشيوعية ، لابد أن يخطر بالبال سؤال هو : مَنْ يهدِّد مَنْ؟ مَنْ صاحب القوة والجبروت والصورايخ والرءوس النووية ؟ إلا إذا كانوا يعتقدون أن الله مع المسلمين وهو الذى يحقق لهم النصر من عنده وبعونه .

وربط هانتنجتون بين الكونفوشية والإسلام بسبب بيع السلاح الصينى لبعض الدول الإسلامية ، وأعتقد أن هذه صفقات تجارية خالصة مع ترحيبنا بالصين التى لم نر منها عدوانا علينا .

ومن بقايا العدوان المتمثلة فى كلام هانتنجتون أنه حث دول الغرب على الحدّ من تسليح الشرق، وعلى استغلال الخلافات بين الـدول فى المعسكر المضاد للغرب، وعلى تسليح إسرائيل، فخرج بذلك من دوْر الباحث المحايد إلى دور السياسى المتعصب ، وهي غالبا طريقة المفكرين الغربيين.

وفى هذا الخط الذي أعلنه هانتنجتون نتساءل : ماذا أعدّ المسلمون من عُدَّة لهذه المواجهة ؟ أو بلغة أخرى: ماالطاقة التى ستُمدُّ بها الحضارة الإسلامية لتواجه الحضارات الأخرى فى ميدان الصراع ؟

ومن الواضح أن الحضارة الشيوعية قد أفلست، ولن تدخل معركة الصراع ، وخلا الجو للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية التي ستحمل العبء مع الكونفوشية أو بدونها.

وأهم مانقدمه للمسلمين استعدادا لهذا الصراع هو تصفية القضايا التى يثور حولها خلاف بين المسلمين بعضهم والبعض، وتصفية المشكلات التى يعانيها المسلمون داخل كل قطر، وكان هذا هو السبب الذى دفعنا هنا لعرض كثير من القضايا التي تشغل المسلمين، فحل هذه القضايا هدف مهم لمن يسعى لدخول منافسة حامية في القرن الحادي والعشرين.

الأصولية هى الإسلام الصحيح
ومحاربتها محاربةٌ للإسلام

وقبل أن نجيب على الأسئلة السابقة نقدم دراسة عن «الأصولية» وجذورها، ومعناها الحقيقى، وقد هاجم الغربُ الأصولية Fundamentalism كما رأينا كأنها انحراف وقع فيه بعض المسلمين والحق أن الأصولية هى يقظة بعض المسلمين واتجاهُهم للإسلام الصحيح، وقد ثار الغرب وإسرائيل لذلك، فقد كانا يعملان ليظل المسلمون فى غفوتهم، وبُعدهم عن الحماسة لدين الله سبحانه وتعالى.

والأصوليون هم: المحافظون الدينيونَ الذين يطالبون بالعودة للإسلام والتمسك به.

وأصل استعمال الكلمة للمسيحيين الذين ثاروا على العلمانيين الذين حاربوا الكنيسة.

فالأصولية عند المسيحية محاولة استرداد نفوذ الكنيسة، وقد جاء في الموسوعة البريطانية ما يلى:

يرجع نشأة الأصولية النصرانية إلى القرن التاسع عشر حيث انتهت جهود المسيحيين بنشر كتيبات بعنوان «الأصوليون» وكان معنى الكلمة: العناصر المتمسكة بالتعاليم الدينية.

ونقل الغربيون للعالم الإسلامى مصطلح الأصولية، ووصفوا به الطائفة التى تدعو إلى المحافظة على تعاليم الدين، ونسبوا للأصوليين حركات المقاومة فى لبنان وأحداث الثورة الإيرانية، كما نسبوا للأصولية الأصواتَ التى تنادى بتطبيق الشريعة الإسلامية والعودة للإسلام، وفى

نظرهم أن هذا عيب مع أن تطبيق الشريعة الإسلامية مطلب ينادى به كل المسلمين الأبرار.

وعلى هذا فعملية الصحوة الإسلامية ترعب الغرب، وكأنهم يريدون أن يظل المسلمون فى غفوة من أمرهم، وقد تمادى أعداء الإسلام فسموا الصحوة: أصولية أو الإسلام السياسى أو الإرهاب، واعتبروها خطرا على المرأة وعلى الديمقراطية وعلى غير المسلمين، وهم فى هذا يعرفون أنهم يكذبون، وكل مايهدفون إليه أن تطول نومة المسلمين وألا يهبوا للدفاع عن أنفسهم وحقوقهم.

إن الأصولية أو الصحوة الإسلامية فيها إنصاف للمرأة وتقوية للديمقراطية وتقديس لحقوق غير المسلمين.

أما إسرائيل فرأت أن الأصولية الإسلامية هى عودة المسلمين لتعاليم الإسلام واعتزازهم به، وأعلنت أن هذا يتنافى مع أطماع إسرائيل وأفكارها، وأثارت ضجة على هذا الاتجاه الدينى مستعملة الهجوم على الأصولية، ووصف الإسرائيليون هذا الاتجاه الإسلامى بأنه أخطر من القنابل، وأقوى من القوات المسلحة، ويقولون إن تخوف إسرائيل من الأصولية تحقق بحرب الحجارة التى زعزعت كيان الصهاينة.

ومظاهر الأصولية الإسلامية فى تقديرهم تظهر فيما يلى :

١ - أداء الصلوات الخمس بالمساجد.

٢ - المحافظة على أداء أركان الإسلام الخمس .

٣ - العمل على اتباع الحياة المثالية واجتناب مانهى الله عنه .

٤ - التأمل الدينى وقراءة القرآن الكريم والإقبال على العلوم الإسلامية.

٥ - المشاركة فى الأنشطة الجماعية التى تنظمها الجماعات الدينية.

٦ - تربية اللحية.

٧ - ارتداء النساء للملابس المتحشمة.

ومن هنا يتسع نطاق الأصولية عندهم فيوشك أن يشمل المسلمين جميعا، فالهجوم على الأصولية هجوم على التدين وعلى الارتباط بالإسلام.

الأصولية والحكام المسلمون :

ويقول الدكتور واضح الندوى «إن الفكر الغربى الصهيونى يُغرى بعض حكام البلدان الإسلامية ضد المسلمين، إذ يُشيعون أن النزعة الأصولية خطر على هؤلاء الحكام، ومن هنا وُجِدَ بين الحكامَ المسلمين من يحاربون المعاهد والمؤسسات الإسلامية والارتباط بالمساجد بحجة أنها تقوم بتوليد نزعة الأصولية، وأحيانا يلاحقون رواد المساجد والملتحين، فالغرب عكسوا على بعض قادة المسلمين فهم الغرب للقيم الأصولية، فأصبح هؤلاء القادة يحاربون الصحوة الإسلامية تأثرا بالفكر الغربى الإسرائيلى.

«ولقد كان من الطبيعى أن يسود القلق في أوربا بنمو الشعور بالذاتية والوعى الإسلامى، وبذل المجهودات للعودة إلى الإسلام، لأن هذا يدل على أن الشعوب الإسلامية لم تجد الكرامة فى ظل سيادة الغرب، لكنه من الغريب أن يسود هذا القلقُ قادةَ العالم الإسلامى المسلمين، وأن يتحمسوا لمحاربة الدعوة إلى الإسلام والعملِ له كتحمس القادة الأوربيين والنصارى واليهود

«إن استعمال كلمة «أصولية» هو فى الواقع تورية من أعداء الإسلام لمحاربة الإسلام. فهؤلاء أدركوا قوة الإسلام النامية. وعلموا أن محاربة الإسلام تسبب إثارة الشعوب الإسلامية، فاتخذ أعداء الأمس هذا العنوان الخادع وهو الأصولية والتطرف الدينى. واعتبروا ذلك مضادا للتقدم والحضارة وحركةً سياسية للاستيلاء على الحكم والإطاحة بالنظام القائم. واستغلت هذه الجهات بعض الكلمات أو التصرفات الطائشة لبعض الشباب المتحمسين .

«والواقع أن وسائل القمع التى تتخذها الحكومات فى الدول الإسلامية وقمعَ ممارسة النشاطات الدينية ومراقبة كل من يحمل الاتجاه الدينى، أدّت إلى ردِّ فعل عنيف، وساعدتْ على نمو هذا الاتجاه وتضخمه، وإن محاكمة الدعاة إلى الإسلام، وتعذيب رجال الدين وفرضَ القيود على تحركاتهم وكتاباتهم. وتقييدَ النشاطات الدينية أحدثت ثورة فى النفوس، وزادت من التذمر ضد النظم التى تأخذ هذا الاتجاه». أهـ

وفى الحديث عن الأصولية ينبغى أن نتذكر أن إسرائيل هى أكثر شعوب العالم فى الحفاظ على الأصولية فهم يتحدثون عن فقرات وردت فى التوراة، ويستحلون أرض فلسطين بسببها، ويوجد فى إسرائيل أحزاب دينية وقد نجح في الانتخابات الأخيرة (١٩٩٦) بعض الأصوليين اليهود، فهم يحرِّمون علينا مايحلُّونه لأنفسهم.

ربط كلمة أصولية بالعنف خطأ

ويعلِّق الدكتور محجوب عمر[١] على هجوم هانتنجتون على الأصولية بقوله:

قامت أجهزة الإعلام الغربية بربط كلمة الأصولية بالإرهاب والعنف والتشدد، والحق أن الأصولية لاتعنى ذلك إطلاقا، وهناك بعض الكتاب الغربيين الذين يفرِّقون بين المعنى الحقيقى لكلمة الأصولية وبين المعانى التى أشاعتها وسائل الإعلام، فأصبحت كلمة أصولية فى أذهان الغربيين تعطى الانطباع بالتشدد والتعصب، وهو المعنى الخاطئ الذى أشاعته إسرائيل التى هى فى الحق أول من يهتم بالأصولية بمعنى التشدد والتعصب والقسوة والسطو على حقوق الغير.

(١) الغرب والإسلام ص ٢١٢ ومابعدها.

وليس الإحياء الإسلامى عودة لقيام الدولة العثمانية، فالدولة العثمانية كانت استجابة لظروف عصرها، وهذه الظروف ليس لها وجود الآن، فسياستنا الحاضرة قوامها العمل للوصول إلى البنيان السليم وتقوية الجوانب الحضارية، والتعاون مع الآخرين الذين يميلون للتعاون.

محمد إقبال وخطاب إبليس الكبير لصغار الأبالسة :

لشاعر الإسلام الكبير محمد إقبال قصيدة عنوانها «تحذير إبليس الكبير لصغار الأبالسة»، وهى تتفق مع موضوعنا عن الصحوة الإسلامية (الأصولية) وعن مهاجمتها من إسرائيل وأتباعها:

يقول إقبال : إن إبليس الكبير جمع تلاميذه الأبالسة الصغار وخطب فيهم قائلا : احذروا صحوة المسلمين، اضربوا على آذانهم، وعلى قلوبهم، حتى يظلوا فى نَوْمتهم، فيا ويلنا يا إخوانى إن استيقظ هذا المارد، إذنْ نفوذنا سيضيع ونفقد كل سلطان على هذه الأرض.

وكأن محمد إقبال كان يحسُّ أن صحوة المسلمين آتية، «وأن إسرائيل ستمثِّل إبليس الكبير وأن نيكسون وهانتنجتون وأتباعهما فى الشرق والغرب سيمثِّلون صغار الأبالسة.

ولكن لتهدأ روح الشاعر العظيم، فالصحوة أقبلت، وسنحرسها من إبليس الكبير ومن صغار الأبالسة، وليكن الله تعالى معنا فى صراعنا ضد القوي التى تريد لنا نوْمة أطول من نوْمة أصحاب الكهف

=========

والآن ماالصورة التى نستطيع أن نرسمها لهاتين القوتين أو الحضارتين اللتين ستدخلان حلبة الصراع ؟

ونحن المسلمين ماذا عندنا لندعم حضارتنا الإسلامية لنُعدَّها لهذه المواجهة ؟ هذا ماسنجيب عنه فيما يلى :

الحضارة الغربية

التفوُّق فى المجال المادى

والتَّدنِّ فى المجال الرُّوحى

التفوق المادي للحضارة الغربية

نجحت الحضارة الغربية نجاحا عظيما فى مجال الماديات فاخترعت السيارة، والقاطرة، والطائرة، والكهرباء، وكشفت عن الكثير من الأمراض وحددت الدواء الناجح، وبذلك سادت الحضارة الغربية دون تردد فى هذا المجال، فأصبح العالم كله يمثل قرية صغيرة بسبب ثورة الاتصالات الحديثة وبسبب وسائل المواصلات الجديدة، وارتفع مستوى الأعمار فى العالم بسبب العناية بالصحة والدواء.

ولاشك أن هذا جهد علمي وعقلي ناجح ويستحق التقدير، ولكن الغرب تمادى فى اعتداده بالعلم والعقل، ونسى الغربُ أن العقل له ميدان لايتجاوزه، فسر الوجود وقضية الموت والحياة لايدركها العقل ومتروكة لله تعالى، فكما يموت الفقير يموت الأثرياء والملوك ولايغنى الدواء والطب شيئا، والآفات والأوبئة والزلازل والفيضانات والثلوج والعواصف لايوقفها العلم ولا العقل، وعند كتابة هذه السطور أصيب العالم بوباء هزّه وهو «جنون البقر» فى بريطانيا وعلى هذا فالتفوق المادى ليس هو كلّ شيء، فلابد من العودة لله وحسن الاتصال به، والاعتراف بأن النجاح المادى منحةٌ منه يقدمها للناس، وقد يوقف الله تعالى هذه المَنحة إذا اغترّ الناس بعقولهم وتوقفوا عن شكر الله المُعين الذى استقى الغربُ معارفَه منه :

الغرب تتلمذ على علوم الشرق :

ونجاح الغرب المادى نذكره ونثنى عليه، ولكننا نذكر بجواره المعين الذى استقى الغرب منه هذا التفوق المادى، ويؤكد كل الباحثين أن الشرق كان أستاذاً للغرب فى هذا المجال، وأن الغربيين اقتبسوا من علوم الشرق فى مجال المادة ماساعدهم على تحقيق ماوصلوا إليه من تطور مادي، وهذا الاقتباس حقيقة يعترف بها الغربيون قبل غيرهم، وسنروى فيما يلى سطورا مما كتبه الغربيون عن هذه الاقتباسات.

وقبل أن نقتبس آراء الغربيين عن المعين العربي الإسلامي الذى كان مصدرَ الفكر الغربى نذكر نقطة مهمة هي أن الحضارة العربية والإسلامية نسيج فريد متكامل، يشمل السياسة والثقافة والعلم والأخلاق، وهى بذلك مزيجٌ من العلم التجريبى والدين، وقد أسهم فى خلق هذه الحضارة مصادر مهمة هى الوحى الإلهى من جهة، وجهودُ العرب وأصحابُ البلاد التى فتحها المسلمون من جهة أخرى، فالحضارة العربية الإسلامية نتاجُ الوحى والشعوب الإسلامية، وهذا يؤيد ويؤكد ضرورة الوحدة الإسلامية، فكل المسلمين لهم دور فى إبداع هذه الحضارة الإسلامية، عندما شرحوا القرآن الكريم، وطبقوا توجيهاته فى حياتهم الخاصة والعامة. وعندما طوّروا الحضارة التجريبية المادية.

بل أسهم في تكوين الحضارة الإسلامية كثيرٌ من غير المسلمين كأولئك العلماء الذى كان لهم دور بالغ في ترجمة الكتب إلى اللغة العربية من أمثال آل بختيشوع وحنين بن إسحاق ويحى بن ماسويه وإسحق بن حنين وكثيرين غير هؤلاء.

اعترافات الغربيين بفضل الشرق :

والآن نجئ إلى اعترافات الغربيين التى تسجل فضل الحضارة العربية والإسلامية على مسيرتهم الحضارية، يقول Gourge Sarton[1]:

سبق للعرب أن قادوا العالَم فى مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنسانى، استمرّت الأولى ألفى سنة على الأقل أيام اليونان، وعاشت الثانية طوال أربعة قرون تقريبا خلال العصور الوسطى، وليس

(١) History of Sciences P. 61

ثمة مايمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرةً أخرى في المستقبل القريب أو البعيد .

ومما يذكر أن أوربا لم تستطع أن تنتفع بما اقتبسته اليونان من الشرق، وظل كانئا هامدا حتى استعاده المسلمون وطوّروه ثم قدموه إلى أوربا عن طريق الأندلس وصقلية .

وماذكره Gourge Sarton بإجمالى فصّله باحثون آخرون يمكن إيراد كلماتهم فيما يلى :

قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان

كانت مصر وكان الشرق موطن الفكر الأول ومصدرا للحضارة الإنسانية، ومن مصر والشرق بدأت اليونان تعرف خيوط المعرفة، ويذكر عالم المصريات الدكتور عبد المنعم أبو بكر[1] «أن مصر تعد أمًّا للحضارة، وأنه مامن شيء ننعم به الآن إلا كان للمصريين الفضل الأول فى ابتكار أصوله، ولم يبتدع اليونان أسس الحضارة الإنسانية، ذلك أن ماورثوه كان أكثر جداً مما ابتكروه، ويقول علماء الحضارة إن اليونانيين كانوا الوارث المدلَّل لذخيرة من الفن والعلم نبتت وازدهرت بمصر قبل ذلك بعدة آلاف من السنين» .

صور من الحضارة المصرية القديمة :

ولم تكن الحضارة المصرية متمثلة فقط فى الجانب العلمى الذى برز فى التحنيط والأهرامات والمعابد المصرية، وآثار توت عنخ آمون، ومعبد ابى سنبل، والصناعات المختلفة، والعطور، ومساحيق التجميل ذات الألوان التى لاتمحوها الأحداث ومرور السنوات، بل شملت مع ذلك الأخلاقَ والقِيَمَ،

(١) صحيفة الأهرام القاهرية فى ١٨/ ٦/ ١٩٧١ .

وقد أشاد المؤرخ الأمريكي بريستيد في كتابه «فجر الضمير» بالأخلاق العالية لقدماء المصريين قبل خمسة آلاف سنة، عندما حرّموا تماما وبأي شكل الكذب وشهادة الزور، وعندما حرصوا على الدعوة لاحترام الجيران وتحريم السرقة، وتقديس الأم، واحترام الزوجة، وتربية الأبناء ، والعمل الدائم من أجل الأسرة، والوطن.

وفي ديانة أوزيريس إله العالم الآخر نجد المصرى بعد الموت يواجه محاكمة عادلة توزن فيها خيرات المتوفّى وسيئاته لتقرير مآله ومصيره في العالم الآخر.

وهكذا أصبح لزاما على المتوفى أن يقرّ في تلك المحاكمة بأنه نقيّ السريرة، صنّاع للخير، غير معتد ولاأثيم ، وأنه لم يكذب، ولم يسرق، ولم ينظر إلى زوجة جاره بسوء ، ولم يعتد على حق أرملة ولامال يتيم، ولم يلوث ماء النيل، ولم يطفف في الكيل ولاالميزان، ولم يتلاعب بعلامات حدود الحقول الزراعية ليجور على أرض الآخرين.

هذه الاعترافات كانت تُنظَم شعراً، وكان لها تأثير عميق مماثل لتأثير التراتيل الدينية الأخرى المنظومة شعراً، لتضفي على المتعبِّد سحراً روحانيًا يسمو بالنفس إلى أسمى الغايات والمثل العليا.. لذلك فقد انتشرت أناشيد الشعر الديني ، وأصبحت نصوصها محفوظة عن ظهر قلب، وتتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل.

ولنسر مع مصر مرحلة أخرى من الحديث لنرى أفكارها وهي تنتقل لليونان ، فإنه ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد بدأ الطلاب الإغريق يفدون إلى مصر ويلتحقون بمعاهدها ، أو يقتبسون منها الأصول الأولى لحضارتهم، وكان من هؤلاء فيما بعد أعظم فلاسفة اليونان الذين يُنْعتون بالحكماء السبعة ومنهم طاليس وأفلاطون وفيثاغورث وديمقريطس ، كما

رفد إلى مصر كذلك المؤرخ هيرودت، والشاعر هوميروس، والموسيقى أوزوفيس وغيرهم[1] .

شهادة طه حسين :

وهناك باحث عاش عمرَه كلّه شديد الولاء للثقافة اليونانية، ومع هذا فقد اعترف بدور الشرق فى الثقافة اليونانية، ذلك هو الدكتور طه حسين الذى يقول[2] «بينما كانت الأمة اليونانية خاضعة لسلطان الشعر القصصى الذى يمثلها ساذَجة جاهلة قليلة الحظ من النظم السياسية والاجتماعية الراقية، كان الشرق قد انتهى إلى درجات من الحضارة مختلفة وراقية لاتقاس بها حياة اليونان، فكان الساميون فى بابل وآشور قد بسطوا سلطانا ضخما، وأسسوا حكومات قوية منظمة، وانتهوا إلى ألوان من الفن والعلم لاتزال تبهرنا حتى الآن، وكانت مصر قد انتهت إلى مدى عظيم من الحضارة، وليس من شك فى أن الاتصال قد تمّ بين دول الشرق الراقية وبين الأمة اليونانية الساذجة، وُجدَ هذا الاتصال واشتد، وبالتالى تأثرت الأمة اليونانية من غير شك بالحضارات الشرقية المختلفة، وأخذت عن الساميين فى آسيا وعن المصريين فى افريقية أشياء كثيرة متنوعة، ولم تكن الأمة اليونانية جاحدة ولا منكرة للجميل، وإنما كانت شديدة الاعتراف بالجميل، وربما بالغت مبالغة شديدة أيضا ، فنسبت كثيرا من الأشياء للشرقيين، بل نسبت مدنا مختلفة إلى المصريين حينا وإلى الفينيقيين حينا آخر، وعدّت نفسها دائما تلميذة للأمة المصرية وغيرها من الأمم الشرقية فى الحضارة وألوان الفنون» أهـ .

---

(1) محمود أبو الفيض : الإسلام والحضارة الإسلامية ص ٥٥ .
(2) قادة الفكر ص ٤٤ - ٤٥ .

شهادة فيليب حتى ودورة الحضارة :

وكتب الدكتور Philip Hitti[1] دراسة يعلق بها على ماترجمه المسلمون فى العصر العباسى من كتب يونانية، ويشير إلى الدائرة الحضارية ودور الشرق فيها، وفيما يلى كلماته : وينبغى ألا نبالغ فى فضل اليونان على المسلمين، إذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبلا عناصرها ومقوماتها من معارف مصر القديمة، وبابل ، وفينيقية، ثم عادت هذه المعارف إلى العالم الإسلامى وهى فى ثوب يونانى، وعن طريق أسبانيا وصقلية عبرت هذه العلوم إلى أوربا مرة أخرى هدية من الشرق الإسلامى إبان العصور الوسطى.

شهادة ألبرت فور :

وقد نشر الأستاذ على أدهم فى عدد نوفمبر ١٩٧٤ من مجلة الثقافة مقالا بعنوان : «مصر والإغريق» تَرْجَم فيه فصلا من كتاب ألفه حديثا العلامة ألبرت فور، وفى هذا الفصل يقرر ألبرت فور كثيرا من الأفكار التى أوردناها فى هذه الدراسة، ويؤكد الاقتباس الواسع الذى أخذه علماء الإغريق من مصر .

الإنتاج الجماعى ساعد على إخفاء دور مصر :

ومما ساعد على إخفاء دور مصر والشرق، أن الإنتاج الثقافى فى هذه البقاع كان جماعيا لافرديا، إذ كانت تقوم به قبل الإسلام طبقة الكهنة، فلما انتقل هذا الفكر لليونان دون أن ينسب لشخص معين، ظهر وكأنه لاصاحب له، وكان مفكرو اليونان يعملون أفرادا لاجماعات غالبا فارتبطت الأفكار

(١) History of the Arabs P.P. 306 - 307

المهاجرة من مصر ومن الشرق بأسماء يونانية تبنَّتْها، فنُسبت هذه الأفكار لهؤلاء المفكرين اليونان.

ولكن حقيقة اقتباس اليونان من مصر اتضحت بعد ذلك :

فعلى الرغم من أن الدراسة بمصر كانت جماعية كما سبق القول، فقد كانت هناك شخصيات لامعة ارتبطت بها أمور فكرية عالية، ولكن هذه الأسماء طواها الزمن فلم تبرز، ونسبت أفكارها فيما بعد إلى بعض علماء اليونان، ولم تظهر لنا الحقيقة بوضوح إلا بعد ماظهرت كشوف جديدة تضع الحق في نصابه، ومن هؤلاء الطبيب المصرى «أمحتب» الذى كان وحيد عصره في الطب والذى كَتَبَ بحثا طبيًا شاملا يحوى دراسة تشريحية للجسد كله وقد وقع هذا البحث في يد الطبيب اليونانى أبقراط ونُسب له، فأصبح يسمى «أبا الطب» وعندما أكتُشِفَتْ البردية التي تحمل البحث الأصيل، تراجعت منزلة أبقراط إلى مكانها الطبيعى، واندفع أمحتب إلى مكان الصدارة[1].

ومثل هذا يقال بالنسبة لعالم الرياضة المصرى أحمس (١٧٠٠ ق. م) الذى سقطت أعماله العلمية في يد «أديوفانتس» السكندرى الإفريقي (٢٥٠ ق. م) ونسبت له، حتى كان يعرف أنه مخترع علم الجبر، ولكن بردية أحمس ظهرت حديثا وأثبتت أنه مخترع هذا العلم، وأن أديوفانتس تلميذ جاء بعد عدة قرون منه، ونسب لنفسه أو نسبت الأجيال له عمل أحمس الأصيل[2].

اعتراف الأمير تشارلز :

ومن كبار الباحثين الغربيين المعاصرين اعترف سموُّ الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا بفضل العرب والمسلمين فقال[3] :

(١)، (٢) نقلا عن حضارة الإسلام للدكتور جلال مظهر ص ١٨ بتصرف.

(٣) الإسلام والغرب ص ١٧ - ١٨.

إن هناك قدرا من الجهل بالفضل الذى تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامى، فالعالَم الإسلامى في العصور الوسطى كان عالَما ازدهر فيه الباحثون المختصون ورجال العلم، ولكننا جنحنا إلى تجاهل ذلك وقلّلنا من أهمية ٨٠٠ سنة كانت أوربا خلالها عالة على أسبانيا الإسلامية التى حافظت على العلوم والمعارف خلال عصور الظلام، فوضعت الثقافةُ الإسلامية بالأندلس أساسَ اللبنات الأولى للنهضة الأوربية.

ويذكر الأمير تشارلز بعض التفاصيل فيقول عن إبداعات المسلمين: كانت أسبانيا فى عهد المسلمين أكثر من مجرد مخزن للاحتفاظ بالعلوم والمعارف الشرقية بل فسّرت تلك الحضارة، وتوسعت بها، وقدمت مساهمة هامة من جانبها فى كثير من مجالات البحث الإنسانى فى العلوم والفلك والرياضيات والجبر (والكلمة نفسها عربية) والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية وعلم الدين والموسيقى وقد ساهم ابن رشد وابن زهر على غرار نظيريهما الرازى وابن سينا فى الشرق فى دراسة الطب وممارسته بطرق استفادت منها أوربا لقرون عديدة بعد ذلك.

وتلك إشارة عادلة لدور المسلمين فى خدمة الحضارة العالمية.

واعترافات ريتشارد نيكسون:

ويقول Richard Nixon[1] رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سابقا فى هذا الموضوع مايلى:

بينما ذبلت أوربا فى العصور الوسطى تمتعت الحضارة الإسلامية بعصرها الذهبى، وقد أسهم الإسلام بمجهودات هائلة فى مجال العلوم،

---

(١) Seize the Moment P. 43

فى الطب والفلسفة، وقد لاحظ «ول ديورانت» ذلك فذكر أن الإنجازات الهامة فى كل الميادين قد تحققت على يد مسلمى هذه الفترة، وكان ابن سينا أعظم الكتاب فى الطب، والرازى أعظم طبيب، والبيرونى أعظم جغرافى، وابن الهيثم أعظم صانع للآلات البصرية، وجابر بن حيان أعظم كيمائى وأخيرا كان جابر من أعظم الفلاسفة، وكان العلماء العرب أصحاب فاعلية فى تطوير الفكرة العلمية، وذكر «ول ديورانت» أن الرجال العظام الذين حملوا عبء النهضة الأوربية استطاعوا ذلك لأنهم وقفوا على أكتاف العمالقة المسلمين.

ويعترف نيكسون بمثل ماذكره Gourge Sarton مما اقتبسناه آنفا من إمكان أن يعود المسلمون لسابق عهدهم فى التفوق العلمى فيقول: إن تلك الإنجازات التى حققها المسلمون الأوائل تشير إلى مايمكن أن يحققوه في المستقبل إذا أمكن وقف الصراع بهذه المنطقة.

وقبل أن نترك ريتشارد نيكسون نعلق على كلامه بقولنا إنها شهادة من رجل لايكنُ الحب والتقدير للمسلمين ويطعنهم كثيرا فى كتابه هذا، ولكنه لم يجد وسيلة لإخفاء حقائق الماضى وإمكان النجاح فى المستقبل، لمعرفته بالعقلية الإسلامية الخلاَّقة التى ورثها جيلنا عن جيل أجدادهم المبدعين.

وباول شمتز:

ومثل ذلك مايقوله «باول شمتز» عن الإسلام وقوته الذاتية يقول: وسيعيد التاريخ نفسه نحو الشرق عودا على بدء، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية الإسلامية فى الصدر الأول للإسلام، وستظهر القوة التى تكمن في تماسك الإسلام ووحدته العسكرية[1]

وجونشالك الألمانى:

ويقول جونشالك الألمانى فى كتابه «الإسلام قوة عالمية متحركة»:

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ص ٣٢٢ نقلا عن تسخير العلم والعمل لخدمة الإسلام ص ١٠٧ .

«أسهم الشرق الإسلامي في الحضارة العالمية بإنجازات ضخمة في مجالات المعرفة، ولم يتوقف تأثيره على قرن معين، بل ظل يتقلب في صور مختلفة عبر القرون حتى العهد الحاضر.

«وهناك دول عرفت الأمانة والنظافة والتجارة عن طريق الإسلام ولولا الإسلام لظلت متخلفة حتى الآن.

«وإن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لاينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون خطرا على من يناصبها العداء».

ولابد في مجال سرد اعترافات المفكرين الغربيين أن نقتبس سطورا من كتابنا «بحوث في الحضارة الإسلامية»:

يقول: Hearnshow لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا بهم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة، ولقد بُهت الأوربيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التي رجحت حضارتهم رجحانا لاتصح معه المقارنة بينهما[١].

ويقول: Gosiph Calmith[٢]: في اللقاءات بين المسلمين والأوربيين قدَّم المسلمون عنصر التأثير والإنتاج وتلقىَّ العالَم المسيحي الأثر والفكر.

ويقول غوستاف لوبون[٣]: أخذ الغرب عن المسلمين أخلاق الفروسية واحترام المرأة وتحرير العبيد، وقد كانت استفادة الصليبيين من علوم العرب أقل مما يجب لأن الجيوش الصليبية كانت جاهلة، ولم تكن تبالي بالمعارف،

---

(١) علم التاريخ ص ٦٢. ترجمة الأستاذ العبادي

(٢) Results of Crusades

(٣) حضارة العرب ص ٣٣٨.

ومن أجل هذا كانت عنايتها أكثر فى ميدان العمران والصناعة أكثر منها فى ميدان الفكر والفن.

ويقول أناتول فرانس[١] : إن أشأم يوم فى التاريخ هو يوم معركة بواتيه فى فرنسا حيث تقهقرت العلوم والفنون والحضارة الإسلامية أمام بربرية الفرنجة.

ويقول Emerton[٢] : إن الثقافة التى حصل عليها الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من الحياة البربرية ومن الجهل والوحشية، ودفعتهم قُدما إلى عالم الحضارة وكان الأوربيون يسمعون من القُسُس كلاما خاطئا عن المسلمين، ولكن المسلمين ظهروا أمام الصليبيين على حقيقتهم فوجد الصليبيون فى المسلمين إنسانية عالية وشرفا وشجاعة ووفاء بالعهد وغير ذلك من الصفات التى لم يكونوا يسمعون بها من قبل، وقد ساعد ذلك على تكوين الناحية الإنسانية فى الأوربيين، ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم.

ويقول Richard Coke[٣] : إن أوربا لتدين بالشىء الكثير لأسبانيا العربية فلقد كانت قرطبة سراجا وهاجا للعلم والمدنية فى فترة كانت عواصم أوربا خلالها لاتزال ترزخ تحت وطأة القذارة والبدائية، وقد هيأ الحكم الإسلامى لأسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة فى أوربا التى أفلتت من عصور الظلام.

ويقول ليبرى : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون[٤] .

---

(١) نقلا عن تاريخ الأندلس للأستاذ العبادى ص ٦٩ .
(٢) Midaeval Europe P. 393
(٣) The City of Peace P 147
(٤) نقلا عن حضارة الإسلام للدكتور جلال مظهر ص ١١٧ .

أما أرنولد توينبي[1] فيقرر أن العالم العربي كان في العصور الوسطى يمثّل محطات إرسال أمكن عن طريقها انتقال بعض كنوز الفكر من عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحي الغربي، وفي مقدمة مااقتبسه الغرب التسامح الديني والاتجاهات الإنسانية التي أَسَرَتْ قلوب الغربيين.

وإذا كان المفكرون يتحدثون عن أثر الأندلس والحروب الصليبية في خلق جو فكري لدى الغرب فينبغي ألا ننسى جزيرة صقلية التي مثلت معبرا مهما للحضارة الإسلامية إلى الغرب لارتباطها بتونس الإسلامية من جهة وبإيطاليا من جهة أخرى، ولأن النفوذ الإسلامي عن طريقها وصل إلى إيطاليا بعد أن عبر المسلمون بوغاز «مسينا» واستولوا على «قطانية» ومنها ساروا شرقا حتى «باري» وشمالا حتى «نابولي» و«روما»، مما دعا البابا يوحنا الثامن (تولى سنة ٨٧٢م) أن يضطر لتقديم جزية سنوية إلى السلطان الأغلبي لتأمين مقر البابا، وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية في صقلية مما جعلها معينا لأوربا للاستفادة بما بها من خبرات وعلوم في مجالات متعددة.

وكان اقتباس الغرب من علوم الشرق بعد الإسلام قد شمل العلوم التجريبية وبعض الحضارة الإسلامية الأصلية، التي جاء بها الإسلام ولم تكن معروفة قبل الإسلام كرأي الإسلام في السياسة والمرأة والرق وغيرها وقد اختلفت طريقة الاقتباس كالآتي :

اقتباس الحضارة الإسلامية التجريبية:[2]

عنيت أوربا باقتباس العلوم التجريبية لينعم الملوك بخدمات طبِّية لهم ولأسرهم وليرتفع العمران، وتعزف الموسيقى فتحقق المتع لديهم، ومن هنا

(١) حضارة الإسلام : من الترجمة العربية للأستاذ محمد فؤاد شبل ص ٤٦ .

(٢) الحضارة التجريبية سميت إسلامية لأنها عادت للحياة بجهد المسلمين وبنفقات من بيت مال المسلمين

اقتبسوا العلوم التجريبية (الطب - المعمار - الموسيقى - الفنون . . .) من الأندلس وصقيلة وكان ذلك عن طريقين :

١ - الترجمة من اللغة العربية للغة اللاتينية :

وقد وفد للأندلس عدد من هؤلاء المترجمين ليقوموا بترجمة الأعمال المهمة المتصلة بعلوم الطب والفلك والرياضة والموسيقى والكيمياء . . وقد حفظ التاريخ لنا بعض أسماء هؤلاء المترجمين الذين عكفوا على الكتب العربية لينقلوا خلاصتها إلى لغاتهم الأوربية وهم :

Adlard of Bath, John of Seville, Plato of Trivoli, Silvester the second, Alfonso x, Franco of Copogne, Gerald of Cremone.

وقد ترجم هؤلاء مجموعة كبيرة من الكتب العربية أوردها Prof. Sharif في كتابه :

Muslim Thought: Its Origin and Achievments

وقد ترجمته للغة العربية بعنوان : الفكر الإسلامى : منابعه وآثاره

٢ - الطريق الثانى لانتقال الحضارة التجريبية لأوربا كان بواسطة البعثات التى أرسلها الملوك لجامعات المسلمين ومعاهدهم فى الأندلس وصقلية ليتعلموا بها ، ومن أهم البعثات التى أوفدت تلك البعثة التى أرسلها ملك انجلترا جورج الخامس إلى أسبانيا وهى مكوّنة من فتيات الأسرة المالكة وترأسها ابنة أخت الملك ، ومع البعثة خطاب من الملك إلى الخليفة هشام الثالث يرجو أن توضع البعثة تحت رعاية الخليفة ، وقد ردّ عليه الخليفة برسالة يطمئنه على أفراد البعثة ويذكر له أن بيت مال المسلمين سيتولى الإنفاق على أعضائها . وقد أُثبتُ نصوص هذين الخطابين فى كتابى «العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى»[1] .

---

(١) العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى ص ٨٥ - ٨٦ .

اقتباس الحضارة الإسلامية الأصيلة :

أما الحضارة الإسلامية الأصلية المرتبطة بالشورى وتحرير العبيد وحقوق المرأة والعلاقات الدولية وأمثالها فقد اقتبسها الأوربيون من المسلمين بمصر وفلسطين خلال الاحتكاك بهم فى الحروب الصليبية وبخاصة فى فترات الهدنة، فالجنود الأوربيون كانوا من الرقيق ولما وجدوا الجيش الإسلامى من الأحرار ثاروا على سادتهم وحصلوا على الحرية، ولاحظ الغربيون أن صلاح الدين الأيوبى له مجلس شورى[1] فألزموا ملوكهم بتكوين مجلس مماثل، وحصلت المرأة الغربية على بعض حقوقها لتماثل المرأة المسلمة أو تقرب منها وهكذا .

الترجمة خلال الحروب الصليبية

وبالإضافة إلى التأثير المباشر للحضارة الإسلامية على الصليبيين، فإن بعض الترجمات حدثت كذلك من اللغة العربية للغة اللاتينية، وقام بذلك ادلارد أوف باث Adlard of Bath الذى انتقل إلى الشرق الإسلامى خلال الحروب الصليبية واشتغل بالترجمة لصالح قومه .

(١) انظر حديثنا عن هذا المجلس فى كتابنا عن «صلاح الدين الأيوبى : شخصيته - عصره - جهوده» .

الغرب يردُّ الجميل !!

ذلك هو فضل الشرق الإسلامى على الغرب بأقلام مفكريه من مختلف الجنسيات الغربية وفى عصور مختلفة، فماذا فعل الغرب بالعالم الإسلامى عندما طوَّر الغربُ العلومَ والمعارف ورجحت كفته على الكفة الإسلامية؟

هذا فى تقديرى سؤال مهم لنرى جذور الخير والشرِّ بين الشرق والغرب، فقد اتصل الغرب بالشرق الإسلامى فقدَّم له المسلمون أسمى ماعندهم من إنجازات ومعارف، وعندما أصبح الزمام فى يد الغرب كان بعيدا عن الاعتراف بالجميل وبعيدا عن السلوك الإنسانى، وبكلمة موجزة أخذ الغربُ من المسلمين الخير، وأعطاهم الشر والسمومَ فى مختلف المجالات :

الغرب يضرب المسلمين ويسلب ثرواتهم :

والغرب عندما جاء دوره فى العطاء كان قد اكتسى بثوب المسيحية، وكانت المسيحية عندما انتقلت من فلسطين إلى أوربا قد مسَّها العطب فى أوربا من جانبين هما :

١ - كانت أوربا تدين بتعدد الآلهة، أو - كما يقول كارليل - تدين بالتثليث أى عبادة الملك والملكة وولى العهد، فانتقل التثليث إلى المسيحية .

٢ - كانت الحياة فى أوربا عندما انتقلت المسيحية إليها حياة صراع مستمر، ناشئ عن نظام الإقطاع الذى كان سائدا، فانتقلت إلى المسيحية روح الصراع والحرب والعدوانية .

ومن هنا استعمل الغرب الأسلحة التى اخترعها فى ضرب الشرقيين وتدميرهم فهو يضرب فى كل مجال ضربا بعيدا عن الخلق القويم، يضرب

العاصىَ والمطيع، يضرب الشاب والشيخ، والرجل والمرأة، وإنه لشيئ محجل أن نروى مافعله الغرب بسلاحه فى أحرار مصر وليبيا والجزائر وإندونيسيا: عشرات الآلاف ومئات الآلاف سقطوا دون ذنب بسلاح الغرب، ولسنا فى حاجة لذكر تفاصيله هنا، وقد دونته موثقًا فى أجزاء موسوعة التاريخ لإسلامى التى يوشك الدم أن يفيض من بين سطورها.

ولم يقنع الغرب بالقتل والدم فراح يسرق الطعام والمتاع، بل راح فى إفريقية يسرق الصبيان والشباب ويسير بهم إلى أرض أمريكا ليباعوا هناك فى أسواق النخاسة بعد رحلة تعذيب وفواجع.

واستعمل الغرب السلاح الذى ابتكره فى حصد السكان الأصليين فى أمريكا وكندا واستراليا وكان من الممكن تدريبهم ورفع شأنهم، ولكنه النَّهَم الواسع الذى لايعرف الحدود ولا القيم.

ولايحسبن القارئ أن قسوة الغرب كانت ضد الشرق وحده، فمن الملاحظ أن هواية التدمير كانت طبيعة واسعة الانتشار بين الغربيين، فقد قاتل بعضهم بعضا بشراسة فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وسقط عشرات الآلاف أو مئات الآلاف منهم بحرابهم وأسلحتهم، وعندما ترى مقابر الغرب فى العلَمين تقشعر النفوس الطاهرة لهذا الطغيان الذى فتك بالشباب لتغذية الأطماع الشريرة، وهناك مقابر كثيرة فى غير العلمين.

وامتدت حروب الغرب وجناياته إلى الشرق الأقصى مستعملين أرقى ماوصل له العقل من العلم فأُلقيت القنابل الذرية على اليابان وسقط الآلاف من الأبرياء وبخاصة من الشيوخ والنساء والأطفال لإرضاء غرور الغرب بما وصل له من علم واختراع، ويقال إن الذى ألقى القنبلة على هيروشيما أحس بجرمه فانتحر، ولكن الذين كلّفوه بهذا العمل الغادر لم يحسوا جريمتهم ونعموا بما سموه انتصارا.

استعمار الدول الإسلامية كلِّها:

وأصبح للغرب السلطان على العالم الإسلامى كله، وكان ذلك أبرز مظهر للعصبية الدينية وأضخم صورة للإرهاب الدينى الذى لن ينساه المسلمون.

وكان إسقاط القسطنطينية سنة ١٩٢٢ هو قمة الهزيمة للمسلمين، ومن الواضح أن الغرب لم يتمكن من تحقيق هذه الغاية إلا بعد وعود لشريف مكة مما دفع هذا الشريف إلى التعاون مع الغرب ضد الامبِّراطورية العثمانية، ولما تحقق هدف الغرب لم يوفوا بما وعدوا به، وأعرضوا عن هذا الشريف المخدوع.

ومع أن سقوط القسطنطينية مركز الخلافة كان قاسيا على المسلمين فإن المسلمين يتذكرون دائما انتصاراتهم ضد الغرب فى دمشق وفلسطين ومصر والقيروان والأندلس فلا يعيشون أسرى الهزيمة.

وقد أفاق المسلمون مما نزل بهم من كوارث وعادوا لتكوين أنفسهم من جديد، ولكن تركيا للأسف لاتزال حتى كتابة هذه السطور تعيش موالية للغرب تأثرا بما قام به أتاتورك من بيع القضية الإسلامية للغرب والانضواء تحت لواء أوربا.

وعندما خضعت البلاد الإسلامية للغرب كان من أهم أهداف الغربيين أن ينشروا الجهالة فى الأرض التى تعلَّم فيها أجدادهم، فأفسدوا المناهج وحذفوا صورا من العلوم، وأغلقوا المدارس أو سمحوا بعلوم لاتنير الذهن ولاتطوِّر الفكر، وحاربوا اللغات القومية والتاريخ الوطنى واهتموا بنشر لغاتهم وتاريخ أبطالهم للقضاء على الروح المعنوية، ولإشاعة أن أبطالهم هم سادة الأبطال، وأن تاريخهم هو أنصع التواريخ، وشاع فى جو الاستعمار

تعبير مثل : فرنسة الجزائر أو طلينة ليبيا أي جعل هذه وتلك ذيلا لدول الغرب، وقد لعب «دنلوب» أخطر دور في إفساد التعليم بمصر تلك الدولة التي كانت رائدة في المجال الثقافي بالمنطقة عبر عدة قرون.

وأكثر من هذا فقد غرس الغرب في الشرق عيوبا قاتلة كانت سيِّئةَ التأثير في حياة الشرق الإسلامي، ومن هذه العيوب: الديكتاتورية، وتفكيك أواصر البلدان، والعلمانية، والأمية ثم إسرائيل، ولم يفعل الغرب مايخفف حق المسلمين عليه، بل إنه يأخذ دائما الجانب المضاد لمصالح المسلمين مما يوسع الهوة بينه وبين المسلمين .

الغزو الثقافي وصوره ومقاومته :

وكان من أهم ماعني به الغرب وهو يحتل البلاد الإسلامية تحقيق مايسمى «الغزو الثقافي» وكان هذا الداء يشمل التبشير والتنصير والاستشراق واستخدام وسائل الإعلام في التأثير على أفكار الشعوب الإسلامية الواقعة تحت سلطات الاستعمار .

ومن الغزو الثقافي إضعاف التعليم وبخاصة التعليم العالي ، وتبعا لذلك جذب الغرب طلاب الدراسات العليا للدراسة بالغرب بهدف التأثير فيهم وهم بعيدون عن أوطانهم .

ومن الغزو الثقافي كذلك محاربة اللغة العربية، وإحياء اللهجات واللغات المحلية رغبةً في تمزيق الوطن الواحد، بل إحياء النعرات القديمة كالفرعونية عند المصريين و الفينيقية عند أهل الشام والأشورية عند سكان العراق .. لتمزيق الوطن الإسلامي .

ومن الغزو الثقافي محاولة الدعوة لتوحيد الأديان بهدف إذابة الإسلام في هذا الإطار الفسيح .

وأثبت المسلمون أنهم فى قمة الوعى والذكاء فتغلّبوا على كل هذه المحاولات وقضوا عليها، فإنّ ضعف المسلمين لم يمتد للحضارة، بل بقيت الحضارة الإسلامية محصّنةً حتى عاد لها البهاء والازدهار.

ومن الغزو الثقافى محاولاتهم خلق الاهتمام باللغات الأجنبية ليقلّ الاهتمام باللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم ولغة الصلاة لكل المسلمين.

ومن الغزو الثقافى نشر الأفكار الغربية عن الرقص والموسيقى الصاخبة بين الشباب الإسلامى، وكذلك نشر الاختلاط المشبوه بين الفتيان والفتيات ووصل الغزو الثقافى إلى إشاعة المخدرات والسهرات المحرمة واللبان المثير.

ومن الغزو الثقافى محاولة تشويه سمعة الدعاة المسلمين بوسيلة أو أخرى لينفض الناس عنهم.

ولم يستسلم المسلمون للغزو الثقافى فقد قاوموه ببسالة، وظهرت حركات إسلامية أقضّت مضاجع الاستعمار مع أن الغرب تصدّى لها بوحشية وقسوة، ومن قادة هذه الحركات أولئك الذين أسماهم الأستاذ أحمد أمين: زعماء الإصلاح «وأهمهم محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده والسيد أحمد خان وعلى باشا مبارك وعبد الله النديم وفى الهند واندونيسيا وماليزيا وافريقية ظهر هؤلاء: محمد على جنة ومحمد اقبال، وشكرو أمينوتو وأجوز سالم وأحمد دحلان وكارتينى ومهايتو محمد وأحمد و صمدو وعثمان دانفديو.

ولنعد للحديث بشيء من التفصيل عن ردّ الجميل من أولئك الذين يدّعون السيادة والتفوق على المجتمعات العالمية.

تفكيك أواصر الأقطار :

من المثالب التي غرسها الغرب في الشرق تفكيك أواصر الأقطار كما قلنا ؛ فسوريا أصبحت سوريا ولبنان وفلسطين ، وفلسطين أصبحت إسرائيل ومنطقة حكم ذاتي للعرب ليعيشوا في وطنهم شبه غرباء ، وخلقت في المنطقة دولة سميت الأردن أو شرق الأردن لتحمي إسرائيل ، ومصر أصبحت مصر والسودان واليمن أصبحت يمنين والدول التي استقلت بعد صراع طويل بقيت مناطق كثيرة منها تحت الاستعمار الغربي فالمغرب بقيت مناطق مهمة منها تابعة لأسبانيا ، والسودان أصبح منها جزء جنوبي يعمل الغرب على فصله من الوطن الأم .

والغرب الذي يعلن أنه يهتم بالديمقراطية غرس في بلاد الشرق روح الدكتاتورية وزودها بكل الوسائل، وأضفى على الزعماء الذين اختارهم كل صنوف السطوة والسلطة فمكّن لهم، وحرم كل شعب من شعوب الشرق من أن يحكم نفسه بنفسه، وكان هدف الغرب من ذلك أن يستمر حكمُه للشرق عن طريق هذه الرموز التي وضعها في السلطة، لأن الشعب لو حكم نفسه بنفسه فإن الغرب لن يستطيع مواصلة السيطرة عليه .

نشر العلمانية :

حرص الاستعمار - قبل أن يرحل - على نشر العلمانية التي اعتنقها حتى يحارب الجانب الروحي الذي يفتخر به الشرق ويزدهي .

ومن المسلَّم به أن العلمانية نشأت في أوربا بسبب الكنيسة وطغيانها الذي سنشرحه بعد قليل ، فانحراف الكنيسة أنتج جماعة اللادينيين الذين جعلوا كل همهم مقاومةَ الكنيسة بل مقاومة الأديان ، إذ ظنوا أن كل الأديان لها انحرافُ الكنيسة المسيحية وطغيانُ الكنيسة ، وهو ظن نشأ عن جهلهم بالإسلام ومبادئه ، والمهم أن العلمانية فكرٌ غربي تسلّل للشرق ، فهي مفهوم

أجنبى سيطر شيئا فشيئا على الثقافة فى الأرض الإسلامية فأفسد التعليم، إذ طبق فى بلاد الإسلام ماطبقه الثوار على الكنيسة فى أقطار أوربا، إذ كانت الكنيسة تحارب العلم والعلماء .

واتخذت العلمانيةُ تابعا جديدا لها فى أوربا هو «التنوير» ووفد هذا الاسم أيضا للأرض الإسلامية، واتخذ مجاله فى محاربة الإسلام والقيم الإسلامية ونَشْر الكتب التى تفسد العقيدة وتثير الشبهات، مثل نشر كتاب «من هنا نبدأ» الذى كتبه الأستاذ خالد محمد خالد فى مطلع حياته وقرَّر فيه أن الإسلام دين لا دولة، ثم تراجع عن هذا الرأى وقرر فى كتابه «الدولة فى الإسلام» تأييده للحكومة الإسلامية وليس الحكومة الدينية التى اتضحت مظاهرها فى سلطة الكنيسة فى العصور الوسطى .

ومثل نشر كتاب «فى الشعر الجاهلى» الذى ألفه الدكتور طه حسين عقب عودته من أوربا وغمز فيه القران الكريم ومسَّ مقام النبوة، فهاجمته الدنيا كلها فعاد عن رأيه ونشر كتابه «فى الأدب الجاهلى» وحذف من كتابه الأول ما أثار عليه جماهير المسلمين ولكن العلمانيين يحيون هذه الأفكار التى رجع عنها مؤلفوها .

وهذا مادفع مؤلف هذا الكتاب إلى إصدار مجموعة من الكتب باسم «كتب التنوير الحقيقى» يعارض بها منشورات الظلام التى نشرها العلمانيون .

ومن العلمانية عدم إتاحة الفرصة للمفكرين المسلمين ليتولوا الحكم أو تكون لهم سلطة أو مكانة فى البلاد، وهى بلغة أخرى فصل الدين عن الدولة كما فصلت الكنيسة عن السلطة بالغرب فلا سياسة فى الدين ولادين فى السياسة كما يقولون، وهذا بعيد عن الإسلام لأن السياسة تمثل جزءا

مهما من الحضارة الإسلامية، والإسلام عميق التدخل فى شئون الاقتصاد من بيع وشراء وملكية وميراث وزكاة والتزامات فى تصريف الأموال بعدم الربا والإسراف. وهكذا

مثالب أخرى للكنيسة وللغرب :

وإذا كان انحراف الكنيسة قد أثار الغرب المسيحى عليها وخَلَق العلمانية، فإن هذا الانحراف هو الذى دفع قادة الشيوعية إلى القول بأن الدين أفيون الشعوب، وانساب هذا إلى أرض الإسلام مع أن التاريخ يشهد أن الإسلام لم يكن أبدا أفيونا، بل كان دافعا للنشاط والحركة على مرّ العصور، فباسم الإسلام قاد صلاح الدين جماهير المسلمين فى موقعة حطين، ودمر الصليبيين ثم أخرجهم من بيت المقدس، وباسم الإسلام صرخ «قطز» صرخته المدوية «واإسلاماه» وظفر بالنصر على التتار، بل باسم الإسلام قاد شيوخ الأزهر حركات الجماهير ضد عسف المماليك وأرغموا المماليك على الخضوع للحق، وباسم الإسلام وصيحة «الله أكبر» حقق المصريون النصر على الصهاينة في أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن المثالب الغربية أن الغرب خلق الديكتاتورية فى الشرق الإسلامى وحماها ثم عاد يعيب المسلمين لوجود الديكتاتورية عندهم ويمتدح إسرائيل لرسوخ الديمقراطية فيها.

والغرب هو الذى يوحى بالانقلابات العسكرية، ويحميها ثم يعدُّها من عيوب الشرق الإسلامى.

وبسبب انحراف الكنيسة هبت الشيوعية لتكون دواء ولكنها كانت الداء العضال ودفعها الغرب للشرق الإسلامى باسم «الاشتراكية».

ماأقسى ماعانى المسلمون من مثالب الغرب دون ذنب أو جريرة.

المبدعون المسلمون وموقف الغرب منهم :

حارب الاستعمار قبل أن يرحل طوائف المبدعين فى مختلف الثقافات فزجّ بعضهم فى السجون ونفي بعضهم خارج البلاد، وعندما ضعفت شوكة الاستعمار عن مواصلة تحدّى المبدعين جذبهم إلى دياره وأضفى عليهم صنوف الثراء والجاه التى حُرم منها أهل الشرق، إذ تركز الثراء فى أيدى الحكام الذين عينهم الغرب قبلَ رحيله، وحُرم الشرق من عباقرته ومبدعيه، وهكذا فُتحَ الباب لكل المبدعين والعباقرَة ليهجروا أرضهم وأهليهم وليلتحقوا بأرض المستعمر ليكونوا فى خدمة الفكر ولتحرم منهم الأرض التى أنبتتهم.

الإرهاب :

وأشاع الاستعمار أن أرض الإسلام أرض إرهاب، ونجح بصوته ونفوذه فى دعم هذه الكذبة، بل جذب ألسنة بعض أتباعه فى الشرق فأصبحوا يردّدون صوت سيدهم، وينكّلون بمن اتهموا بهذا الاتهام.

ولم يقنع الغرب بما حدث من تنكيل للأفراد بل راح بنفسه يهاجم بعض القوى الحرة فى العالم الإسلامى فهاجمت الولايات المتحدة ليبيا عسكريا سنة ١٩٨٦ . ولايزال حقد الولايات المتحدة قاسيا ضد ليبيا ففى سنة ١٩٩٦ تهدد بضرب ليبيا مرة أخرى لمنعها من إنتاج أسلحة كيماوية ، أما الأسلحة المدمرة التى تنتجها إسرائيل فتباركها الولايات المتحدة . . ياللظلم.

وربط الغرب الإرهاب بالإسلام، وتلك كذبة كبرى واتهام ظالم للإسلام، فالإسلام دين الأمن والسلام، أما الإرهاب فهو رد فعل لتعسف الغرب أو الانهيار الاقتصادى فى الشرق الإسلامى، فالجوع وبخاصة جوع المثقفين يخلق التمرد فى كل مكان وزمان، وقد قتلت إسرائيل أسرى المسلمين وتاجرت فى قطع من أجسامهم ولم يعدّوا هذا من الإرهاب.

ويبدو تأثير الغرب على الزعامات الإسلامية التى فرضها الغرب على المسلمين، يبدو هذا التأثير فى قول ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق: وعندما قصفت الولايات المتحدة ليبيا سنة ١٩٨٦ استنكر زعماء كثيرون فى المنطقة فعلتنا في العلن لكنهم امتدحونا فى المجالس الخاصة، وليس هناك مسلم واحد واعٍ يؤيد ضرب الولايات المتحدة لليبيا.

ونسى الغرب أحداث الإرهاب التى حدثت في الولايات المتحدة واليابان وفرنسا وإيطاليا وإسرائيل والتى قام بها جماعات منهم، وركزوا فقط على صور العنف القليلة التى حدثت ببلاد الإسلام.

ولم تقنع الولايات المتحدة بضرب ليبيا بل أوعزت إلى اسرائيل قبل ذلك بضرب المفاعل الذرى العراقى، وجمعت أمريكا كل القوى ضد إيران تحت مزاعم مختلفة، ولم تَعُدّ الولايات المتحدة هذه الأعمال إرهابا مع أنها فى قمة الإرهاب والعنف.

الغرب والامبراطورية العثمانية :

ولنعد لما أحدثه الغرب المسيحى بدولة الخلافة الإسلامية ومدى التنكيل القاسى الذى تعرضت له الامبراطورية العثمانية حتى ركعت للغرب عندما أصبح الزمام فى يد كمال أتاتورك الذى تمتدُّ جذوره إلى الصهيونية والعلمانية، وعندما أعلن اتجاهَه بالبلاد إلى العلمانية ورفَضَ الإسلامَ واللغةَ العربية فَتَحَ له الغرب صدر المحبة وقدَّم له صورا من العون.

ولايحسبن القارئ أن تركيا نعمت بفيض من مدد الغرب، ويقول أبو الحسن الندوى عن تركيا بعد أن رمت نفسها فى أحضان الغرب: إن دورها لم يتجاوز الاستيراد والاستعارة ولم ينبغ فيها فى هذه الفترة نابغة فى العلوم التطبيقية ولاعملاق فى العلوم والآداب، ولامؤسس مدرسة جديدة من مدارس الفكر والفلسفة، وبقيت شعبا يعيش على هامش الشعوب الأوربية[1]

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٣٢٣ .

الإرهاب صناعة حكومية :

وقبل أن نترك الحديث عن الإرهاب نعرض موجزا لمقال نشرته مجلة الإيكونوميست الأمريكية وهو يتفق مع ماذكرناه آنفا فى أكثر نقاطه، ولكنه شهادة غربية مهمة تؤكد مايلى :

* الإرهاب صناعة حكومية، وأول ماعرف كان عن طريق مساعدة أمريكا لمجموعة من الشباب الثائرين ضد زحف الاتحاد السوفيتى على أفغانستان.

* وإسرائيل ساعدت على قيام «حماس» لضرب ياسر عرفات.

* وحكومة مصر ساعدت شباب المسلمين لضرب الشيوعيين.

* وأكدت المجلة أن الإسلام بعيد عن الإرهاب، وأن ربط الإسلام بالإرهاب اتجاه إسرائيلى، مع أن إسرائيل هى التى خلقت الإرهاب بهذه المنطقة، وأقامت دولتها على أساس من الإرهاب.

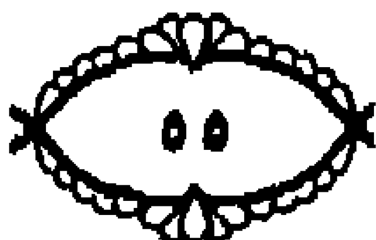
وأكدت المجلة أن أفضل الطرق للقضاء على الإرهاب يكمن فى نقطتين :

١ - إشاعة الديمقراطية الحقَّة، والقضاء على الديكتاتورية والديمقراطية الزائفة.

٢ - ألا يوجد بين شباب الخريجين عاطل واحد .

فأكثر إرهاب المسلمين موجَّه ضد الحكومات الإسلامية لديكتاتوريتها وسوء سيرتها بالبلاد، وترفضه الأغلبية الساحقة من الشعوب الإسلامية.

وهذه المعانى التى أوردتها هذه المجلة سقناها فى هذا البحث من حين لآخر.



وقد أدرك بعض العقلاء أن الاتهامات التى توجَّه للإسلام والمسلمين باطلة، وطالبوا بتصحيح الوضع، ومن هؤلاء هيلارى كلينتون زوجة رئيس الولايات المتحدة، فقد دعت فى اجتماع عُقد فى لوس الجلوس إلى ضرورة احترام الإسلام، وقالت : إن العقيدة الإسلامية تعرضت لنوع من التحامل طويل المدى فى بلادها (رويتر : أخبار اليوم فى ١/٦/١٩٩٦)

ليتها تقنع زوجها بهذا الرأى فهو من أشد المتحاملين على الإسلام والمسلمين.

وقبل أن نرفع القلم عن هذا التصوير الموجز لصورة رد الغرب للجميل نثبت بإيجاز بعض الملاحظات المهمة التى دونّاها بتفصيل فى كتابنا «المجتمع الإسلامى: أسس تكوينه - أسباب ضعفه - وسائل نهضته» وهذه الملاحظات هى :

- شمل الاستعمار الغربى جميع الدول الإسلامية دون استثناء من المغرب إلى إندونيسيا، ولم تكن هناك أية دولة مسيحية مستعمرة حتي الدول الضعيفة المتخلفة مثل الحبشة وليبيريا.

- كان صراع الغرب ضد الأرض الإسلامية صراعا ضد الإسلام بوجه خاص، ولذلك أُثر عن جلادستون وهو من مشاهير القادة الإنجليز قوله: يجب إعدام القرآن.

والحمد لله، لقد سقط الرجل وسقط جميع أعوانه وبقى القرآن مشعلا للهداية والنور وسيظل كذلك إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

- في أيام حكم أيزنهاور للولايات المتحدة اتخذ الكونجرس قرارا بتخويله أن يستعمل الجيوش الأمريكية لحماية استقلال دول الشرق الأوسط إذا

تعرضت لخطر شيوعى ، ولكن إذا تعرضْت لزحف غربى أو إسرائيلى فإن أيزنهاور ليس له هذا الحق، بل ربما بارك هذا العدوان .

- لم يقنع الغرب بما أحدثه سياسيا وعسكريا واقتصاديا بالعالم الإسلامى، بل رمى الغربُ الأرضَ الإسلامية بداء مرير هو إنشاء مؤسسات صهيونية تتظاهر بأن لها نشاطا اجتماعيا ولكنَها تُلقى السموم فى جسم المجتمع الإسلامى وتنخر فى عظامه، وتبقى تباشر نشاطها بعد رحيل الاستعمار، وهذه المؤسسات هى الماسونية والروتارى والليونز وغيرها من المسميات المماثلة ، وقد سكت زعماء العالَم الإسلامى الذين وضع الغرب فى أيديهم زمام البلاد قبل رحيله، سكت هؤلاء عن نشاط هذه الموسسات ومفاسدها، فالتصدى لها تَمَرُّدٌ على سياسة الغرب، وهو مالايطيقه رموز الغرب الذين آل لهم السلطان بأكثر بلدان العالم الإسلامى .

وأخيرا فإننا نثبت هنا نقطة مهمة عن الإرهاب هى أن انقياد الغرب المسيحى للنفوذ الصهيونى هو المشكلة الحقيقية، وهو الذى يثير ثائرة النفوس فى الشرق الإسلامى ، فالخطر الإسلامى الموهوم هو أثر لانقياد الغرب للصهيونية التى ترمى لتدمير الكون لصالحها، والتى لاترى لها حياة فى أى جوٍّ من الاستقرار .

وقد غاب عن الغرب ماتكنُّه الصهيونية من عداء للعالم، ولو فطن الغرب إلى عداء الصهيونية للمجتمع البشرى لتوقفت مساعدات الغرب لإسرائيل وبالتالى لانحلت عقدة هذه المشكلة .

وفيما يلى دراسة عن نقاط أخرى عن الغرب وعلاقته بإسرائيل

الغرب وإسرائيل

خلق الغرب دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامى، ولكن الغرب كان يخاف دائما أن يأتى يوم يستعيد المسلمون قوتهم فيلقون بهذا الكائن الغريب بعيدا عن أوطانهم ويعيدون للعرب وللمسلمين الأرض المغصوبة، ولذلك حرص الغرب على دعم إسرائيل لا أقول بالحق والباطل، بل بالباطل دائما، فأيدها فى كل عدوان قامت به، وكان «الفيتو» الأمريكى دائما فى خدمة الاتجاهات الصهيونية. ومن سنة ١٩٧٠ و ١٩٩٦ استعملت الولايات المتحدة الفيتو لصالح إسرائيل ثلاثين مرة، وذلك بالإضافة إلى العين الحمراء التي كانت كثيرا ماتغنى عن الفيتو.

ويقول نيكسون [1] عن إسرائيل : إن التزامنا ببقاء إسرائيل هو التزام عميق، إننا لسنا حلفاء رسميين، وإن مايربط بيننا أقوى من قطعة من الورق، إنه التزام أدبى وأخلاقى وحيوى، ومنذ منتصف السبعينات أعطت الولايات المتحدة لإسرائيل ٤٩ بليون دولار كمساعدات خارجية مباشرة وغير مباشرة، وبالإضافة إلى ذلك تسلمت إسرائيل ١٦,٤ بليون دولار على هيئة قروض بين سنتى ١٩٧٥ و ١٩٨٩ حولت إلى منح، والنزاع العربى الإسلامى يسمم علاقاتنا مع العالم الإسلامى، ويقلل من قدرتنا على التعاون مع دول يحكمها زعماء موالون للغرب.

ويذكر نيكسون إسرائيل بأن حرصها على ضم مناطق عربية واسعة سيجعل من إسرائيل بلادا ليست يهودية لكثرة المسلمين بها، وليست ديمقراطية لاحتوائها على شعب لايعرف الديمقراطية وهم العرب، ويقول نحن نحاول أن نخلق لإسرائيل اعترافا ديبلوماسيا كاملا، ونضمن لها حدودا

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧

آمنة، ويؤكد أنه فى حالة وقوع حروب مع إسرائيل فإنها ستعامل كأنه هجوم على الولايات المتحدة نفسها ، وقد حرصت الولايات المتحدة على تزويد إسرائيل أو على الأقل مساعدتها لتمتلك الرؤوس النووية، وعندما هب العالم لوضع ميثاق لعدم استعمال هذه الرؤوس رفضت إسرائيل سنة ١٩٩٥ الموافقة على هذا الميثاق، وأيدتها الولايات المتحدة واستعملت الفيتو لذلك.

تأثير إسرائيل على العلاقة بين الغرب والمسلمين :

يلاحظ الباحثون الغربيون المنصفون أن إسرائيل وسّعت الهوة بين الغرب والمسلمين، وأشعرته أن الحضارة الإسلامية خطر على الغرب وعلى أمريكا بوجه خاص، وجعلت حسناتنا عيوبا؛ فالقيم الإسلامية حول المرأة إنما هى تزمت ورجعية، وتشجيع الأخلاق الإسلامية موقف يخالف الحرية وهكذا.

وأعلن الباحثون الغربيون(١) أن خلق تقرير المسير الفلسطينى وقيام دولة فلسطينية فى نهاية المطاف سيكون ترياقا للصراع بين العرب وإسرائيل، فالصورة العميقة الواضحة فى رأى المنصفين أن الغرب المسيحى يساند إسرائيل اليهودية ضد العرب المسلمين، والمسلمون يدركون أن الحكومات الغربية كانت راغبة فى التدخل حينما كانت الضربات ستوجه لمسلمين كما حدث فى الكويت وفى الصومال، ولكن الحكومات الغربية لم تستجب للتدخل حينما كان غير المسلمين يَقتلون المسلمين كما حدث فى البوسنة وذلك يدخل فى مجال الكيل بمكيالين.

ولو تدخل كلينتون كوسيط أمين ودفع إسرائيل لصنع السلام مع جيرانها، فإن ذلك سيضع حدا للمأساة، وإن سلاما عربيا إسرائيليا يمكن أن يكون نواة لنهضة اقتصادية فى المنطقة، وإن لم تفعل إسرائيل ذلك فلن توجد قوة تحميها من إراقة دماء أبنائها اليهود.

---

(١) اقرأ كتاب «الغرب والإسلام» ص ٤٠، ٤١، ١٣٣، ١٣٨.

ومادامت الدول الغربية تتصرف بصورة غير ديمقراطية تجاه البلدان الواقعة فى هذه المنطقة، ومادام المسلمون يشهدون مثل هذا التحيز العميق والعنصرى من الغرب، فإن فرص قيام حوار مفتوح حول الديمقراطية هى فرص مظلمة حقا.

ويقارن المسلمون أعمال الغرب ضد العراق عندما هاجم الكويت بتقاعس الغرب عن حماية البوسنيين من الصرب، وعدم فرض عقوبات على اسرائيل لانتهاك قرارات الأمم المتحدة، وهذا يوضح أن الغرب يكيل بمكيالين، وذلك هو موطن الخطورة في الموضوع.

مؤتمر صانعى السلام بشرم الشيخ وأهدافه :

ومن بين القرارات الدولية المعمول بها أن الدفاع عن الأوطان وطرْدَ الاستعمار حقٌ مباح لأصحاب الأرض وليس عدوانا ولا إرهابا، وبهذا المفهوم العالمى الرسمى قام بعض الفلسطينيين بإحداث انفجارات تدميرية في إسرائيل فى فبراير ومارس سنة ١٩٩٦ وكانت أعمالا فى قمة البطولة فالشاب طوق نفسه بالمواد المتفجرة وفى الوقت المناسب والمكان المناسب ضغط على الزناد ففجر نفسه وفجر الأرض من حوله، حدث ذلك فى القدس الجريحة المغتصبة وفى تل أبيب نفسها، وسقط في هذه الجولات حوالى ستين إسرائيلا وجرح المئات.

وهنا انتفضت الولايات المتحدة ودعا كلينتون إلى اجتماع عاجل حَشَدَ فيه زعماء الغرب، بل زعماء بعض الدول العربية فى شرم الشيخ فى مارس ١٩٩٦ وسُمِّيَ هذا الاجتماع «اجتماع صانعى السلام» وهى تسمية دقيقة ولكن كان ينقصها أن نقول : صانعى سلام إسرائيل.

فكل الكلمات ندد بما أسمته الإرهاب، وأكثرها ذرف الدمع على ضحايا إسرائيل أما قيام إسرائيل قبل هذه الانفجارات وبعدها، وقبل

الاجتماع بحرق بيوت الفلسطينيين حرقا جماعيا، والقبض على الألوف وتجويع الشعب الفلسطيني كله بتطويقه بالجيش الإسرائيلي ، كل هذا لم ينل كلمة واحدة من زعماء الغرب، ومالإن انتهى الاجتماع حتى هرع كلينتون إلى زيارة إسرائيل ليكرر عزاءه وليقدم مائة مليون دولار مساعدة في دك حصون الفلسطينيين المعتدى عليهم، ووافق - حسابه على الله - على استمرار حصار الفلسطينيين وتجويعهم. وللأسف الشديد فإننا رأينا عقب هذا الاجتماع دعوات عربية تقدم لرئيس وزارة إسرائيل لزيارة بعض الدول العربية ، حدث هذا والحصار محكم على العرب، والجوع يحاصرهم في فلسطين.

هذه خلاصة قصيرة جدا عن الغرب وهو يردُّ الجميل للشرق بعد أن شبَّ الغرب على يديه ونفض الغبار عن جهالته بما تلقاه من الشرق من معارف وثقافة.

تدنّي الغرب وسقوطه في مجال الحضارة الروحية

ذكرنا من قبل تفوق الغرب في الحضارة المادية، فماذا كان نصيبه من الحضارة الروحية ؟ وماالثّقل الذى تمثله الحضارة المادية فى غيبة الحضارة الروحية ؟

فى الإجابة عن السؤال الأول نذكر أن الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى طغت طغيانا شنيعا، فرجال الدين ادّعوا الصلة بالله سبحانه وتعالى، وبأنهم بالتالى يتلقون الوحى منه، وأنهم يمثّلون الله فى الأرض، وبالتالى يمنحون الثواب وينزلون العقاب، وكان من حق البابا أن يشرّع وليس لأحد أن يناقشه ويقول Sir Thomas Arnold[1] فى ذلك إن البابا ميّز بسلطاته الروحية ووظائفه الدينية، وهو يقود أرواح الناس، وهو ليس شخصا مسيحيا عاديا، بل إن له سلطة دينية خاصة فهو يُوحَى إليه، وله الأمر كله، وهو يغفر السيئات، ولايملك أحد عزله، ويقضى بالحرمان حتى على الملوك، ورجالُ الدين يستقبلون الوليد ويعمّدونه، ويربطون عقدة الزواج، ويحضرون الوفاة ليضمنوا النجاة للإنسان وهو على حافة الآخرة بأدعية معينة أو بصكوك غفران يبيعونها للناس.

تسلط البابا وانحراف الكنيسة :

وتاريخ تسلط البابا يرجع إلى انقسام الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية، ثم سقوط الإمبراطورية الغربية، وهذا أتاح للبابا أن يعلن استقلاله التام عن جميع الملوك، وقد اعترف الجميع له بالاستقلال تخلُّصًا من التنافس على السيطرة على الكنيسة، وبذلك صار تعيين البابوات بطريق المجامع لابطريق الأباطرة.

---

(١) The Caliphate and The Preaching of Islam

وفى الوقت الذى لم يعد البابا تابعا لأى من الملوك أصبحوا جميعا بحكم أنهم مسيحيون تابعين للبابا وخاضعين له .

ثم خطا البابوات خطوة أخرى فأصدروا صكوك غفران عندما أحسوا بالحاجة للمال لتحقيق أطماعهم وملذّاتهم، أو لأى شىء آخر وكان القسس يوزعون هذه الصكوك على الناس، والعجيب أن هذا الصك يغفر لحامله ماتقدم من ذنوبه وماتأخر، فكأنه إجازة لحامله أن يرتكب مايشاء من الخطايا .

وتبعا لغفران الذنوب نشأ مايُسمَّى «الاعتراف» فكان على المذنب أن يعترف بذنبه فى خلوة أمام قسيسه ليغفر له خطاياه، وفى خلوات الاعتراف بين بعض القسس والسّيدات حدثت أشياء يقشعر لها البدن تحدثت عنها مجلة «رسالة الحياة» المسيحية(١)

واهتمت الكنيسة بالخوارق تبعا لمعجزات السيد المسيح، وحاربت العلم بناء على ذلك، وتبعًا لهذا الاتجاه أعدمت الكنيسة حرقا مايكل سرفتوس (١٥١٨ - ١٥٥٢) لأنه قال إنه اكتشف الدورة الدموية الصغرى مع أن العالم الدمشقى ابن النفيس (١٢٨٨ م) اكتشفها قبله بأكثر من قرنين وحكمت الكنيسة بالإعدام على جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢) لأنه قال إنه اكتشف دوران الأرض حول الشمس .

وحرقت الكنيسة كتب العلوم، وساد ظلام كثيف عالَمَ المسيحية وثار بعد ذلك المثقفون الغربيون على أعمال الكنيسة، وبالتالى ظهر المصلحون وظهر البروتستانت، وضعف صوت الكنيسة، واعتبرت أوربا سقوط سلطان الكنيسة واختفاء الدين تنويرا، وللأسف الشديد زحف شىء من هذا

(١) اقرأ عن هذه الموضوعات بكتاب «المسيحية» للمؤلف ص ٢٥٣ ومابعدها ففى هذا الكتاب اقتباسات مثيرة من هذه المجلة .

الباطل إلى بلادنا فأطلقت كلمة «التنوير» على كل مايعارض الدين ويقلل من شأنه كما ذكرنا من قبل .

الثورة على الكنيسة وعلى الدين :

والذى يهمنا فى هذا كله أن الثورة على الكنيسة أصبحت ثورة على الدين ، فخفت صوت الدين يوما بعد يوم ، واعتبر الدين عدوا للعلم والمدنية ، ثم تمادى الغربيون فى ثورتهم فأعلنوا العداء ضد كل الأديان .

والمهم أن انتصار الثورة ضد الكنيسة كان انتصارا على الجانب الروحى فى الغرب وانتهى ذلك بإنكار الإله وبالسخرية من الجانب الروحى فى الحياة ، وهكذا أفلت الغرب من طغيان الكنيسة ولكنه هوى فى بؤرة اللادينية .

وأشهد لقد عانينا ونحن طلاب في انجلترا من هذا الاتجاه الذى يرى أن الإنسان كالزرع يبدأ وينضج ثم يموت ، وأن الإله (سبحانه وتعالى) صناعة شرقية لايريدها الغرب ، وتبعا لذلك أنكروا الرسل وأشاعوا الإلحاد .

مؤتمر القاهرة ومؤتمر بكين :

ومع غيبة الإله وعدم الاعتراف بالآخرة والحساب بدأت ألوان من الانحلال الخلقى وماتبعه من فوضى جنسية حتى أنهم فى مؤتمر القاهرة للسكان سنة ١٩٩٤ كانت الوثيقة الختامية تتضمن توصيات بإباحة العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج ، وتأمين هذه العلاقة ، وإعطائها حق السِّرِّية وعدم انتهاك هذا الحق ، وإباحة الإجهاض ، ولم يوافق ممثلو مصر على هذه الوثيقة أمام إصرار الجماهير المسلمة على معارضة هذا الاتجاه الذى ظهر بالمؤتمر منذ لحظاته الأولى ، فلم تنل هذه الوثيقة إجماع الحاضرين .

ولما فشلوا فى تحقيق الإجماع على هذه الأهداف فى مؤتمر القاهرة عقدوا مؤتمرا آخر فى بكين فى السنة التالية لعلّهم فى الأرض الشيوعية يحققون ماعجزوا عن تحقيقه فى الأرض الإسلامية، ولكن بيانا صدر عن مشيخة الأزهر الشريف كان غُصةً فى حلوقهم، ويقول الذين حضروا المؤتمر إن الذين اشتركوا فيه كانوا يتّجهون للميل الغربى فى كثير من الأحوال، ولكن بيان الأزهر كان يصدّهم عن هذا الانحراف ويشدّهم للصواب إلى حد كبير.

واتجه الإغراء لكثير من سيدات الغرب لتحافظ على رشاقتها ومتع الحياة، فلا تحمل، ومن هنا أصبحت العلاقة رخيصة بين الرجل والمرأة، فإذا حدث زواج فيتفق الزوجان على عدم الحمل، وبالتالى قد يلجآن للتبنى الذى تبيحه أفكارهم، أو إلى استئجار رحم ليُربَّى فيه الجنين، وذلك قضاء على معنى الأمومة وهو معنى جليل فى الطبيعة البشرية بل في الحيوانات، ولايهمله إلا إنسان يقف محاربا للطبيعة، ومن هنا اتجه الغرب إلى الأسرة وحيدة التكوين (زوج وزوجة فقط).

الانحلال الخلقى ونتائجه:

ونشأ الانحلال الخلقى ونشأ عنه أن شاع الارتباط بين الفتى والفتاة بدون مراسم الزواج حتى وجدت فتاة بين كل أربع فتيات مراهقات فى الولايات المتحدة سنة ١٩٩٤ حملت سفاحا وتلجأ للإجهاض أو تَلدُ ولدا ليس له أب شرعى(١). واتجاه الولايات المتحدة لإصدار قرارات تيسر العلاقات غير الشرعية بين الفتى والفتاة فى مؤتمرى القاهرة وبكين كان يقصد به - كما يرى النقاد - أن تنقل الولايات المتحدة عار العلاقات الفاسدة بها إلى الديار الشرقية والإسلامية، ولكنها والحمد لله فشلت فى ذلك.

(١) الباحث دكتور عبد الهادى مصباح مقال بجريدة الأخبار فى ١٠/ ١١/ ١٩٩٥.

وغـاب الإله فى الغـرب وبالتـالى غـابت الأخـلاق، فـمن المقـرر أنه «لاأخـلاق بدون دين» وإذا اختـفى الدين اختـفت الأخلاق، وهذا هو سـر الانحرافات التى ارتكبها الغرب وهو يسطو على بلاد الشرق ويبيع الأحرار فى أسواق النخاسة ويقضى على السكان الأصليين فى الدنيا الجديدة.

وفى هذا الجو انتشر فى الغرب القلق والاكتئاب والاستهتار وعدم المبالاة وبالتـالى كثـر الخنافس، وانتـشر كـذلك الاضطراب العـقلى وكـثر اللجـوء للمصحات النفسية، وأصبح الوافدون على هذه المصحات مئات الألوف كل عـام، وقـد أكدت الاحـصـائيـات أن هناك جـريمة قتـل ترتكب فى الولايات المتحـدة كل ٢٤ دقيقة، وجـريمة سطو فى كل عشر ثوان وفى كل سـبع دقائق تتـعرض امـرأة للاغتـصاب وشـاع انفصـال الزوج عن زوجتـه بدون طلاق، ويعمد الرجل بعـد الانفصال إلى الخدانة وكذلك تعـمد المرأة، ونذكر هنا أن بعض الحيوانات لايسمح الذكر منها لأنثاه بالارتباط بغيره، ويصارع من أجل ذلك حـتى آخـر رمق، وكثـر فى الغـرب تناول المخـدرات والتلهى بالقـمـار وأوراق اليانصيب، ومايسـمى علب الليل وحوانيت الجنس والإيدز والنصب والاحتيال.

والعجيب أن الأمر وصل فى الولايات المتحدة زعيمة الغرب إلى القتل بدون سبب وبدون عداوة سابقة بل لمجرد المتعة بهذا العمل الإجرامى، وقد كتبت الأستاذة مها عبد الفتاح المصرية التى تعيش فى الولايات المتحدة فى أول ديسمبر سنة ١٩٩٣ تتحدث عن موجة مكتسحة لجرائم تحدث بلا عقل ولاواعز ولا حتى تدبير أو سبب مفهوم، جرائم تحدث بالصدفة، كوجود شخص برئ فى مكان منعزل، فهو - كما تقول - عنف بلا هدف ولامعنى كأنه نوع من أنواع الرياضـة أو التسليـة ويقوم بذلك صبيان أعمارهم بين الرابعة عشرة أو السابعة عشرة، وختمت الباحثة مقالها بقولها : وقد بدأ

الأمريكيون يدركون هول التفسخ الذى طرأ على العائلة الأمريكية ومعدلات الطلاق المرتفعة وانعدام الرقابة على الأبناء ، ثم النسبة غير المعقولة فى عدد الأطفال غير الشرعيين وكل هذا النتاج يذهب معظمه للشارع فيُحدث به الأحداث التى أشرنا لها . وكثيرا ماتحدث الخدانة غير المشروعة بين المرأة وعدة رجال، ويجىء أطفال لايعرف الواحد منهم له أبا معينا .

وفى هذا الجو الذى غاب فيه الاعتراف بالإله كثر الانتحار، وليس الانتحار إلا نتيجة للجهل بالله جل وعلا وعدم الرضا بقضائه، هذا من جانب ومن جانب آخر يعد الانتحار نتيجة طبيعية لليأس الذى خيم على عقول الناس، وقد ارتفعت نسبة الانتحار بالولايات المتحدة فى التسعينات إلى ثلاثة أضعاف ماكانت عليه سنة ١٩٥٠ ولوحظت هذه الزيادة فى الصبيان والشبان بوجه خاص. وفى النمسا تقول الإحصائيات أن عدد المنتحرين سنة ١٩٩٤ بلغ ١٧٧٦ شخصا، وفى سنة ١٩٨٦ بلغ عدد المنتحرين ٢١٣٩.

أى نجاح يتوقعه الإنسان من مجتمع غابت عنه الاتجاهات الروحية؟ ومن المعروف أن الإنسان يستطيع أن يرتكب المثالب دون أن تراه عين إنسان فالاختفاء عن العيون كثيرا مايكون ممكنا، ولكن عين الله لا تغفُل ولايمكن الفرار منها، فإذا نسى الإنسان ربَّه وأنكره فإن كل معصية يمكن أن تُرتكَب وكل خطيئة يستساغ أن تتم .

غيبة الإله وغيبة القيم الأخلاقية :

ومن غيبة الاتجاهات الروحية أن الغرب يُلقى بفائض البقول والزبد فى البحار ولايرضى أن يقدمه للجائعين والمحتاجين من البشر، ليس هذا فحسب بل إن الغرب اتبع سياسة الفصل بين مملكة الإنسان ومملكة المسيح ، وبهذا تجردت الدول الغربية من أخلاقيات المسيح عليه السلام وأجازت

لملكة الإنسان أن تهزأ بكل المبادئ والقيم الأخلاقية، وهذا هو السبب الذى يكمن وراء قيام الغرب بدفع مبالغ كبيرة للمواطنين من الخزينة العامة فى سبيل ترك بعض الأرض بدون زراعة لكى لاتسبب كثرةُ الإنتاج انخفاضَ الأسعار، وعندما تكون المخازن أو المستودعات مليئة ومكتظة بالبضائع، فإنهم لايترددون فى القيام بإتلاف بعض مابها من المواد الغذائية حفاظا على أسعارها وأنماطها التجارية المتبعة، وتحدُث كل هذه الممارسات الغربية اللاأخلاقية واللاإنسانية في الوقت الذى تشتكى فيه غالبية أبناء البشر من سوء التغذية، وتعانى مئات الملايين منهم من الجوع، بل تَهلك أعدادٌ وفيرة من البشر تقدر بالملايين كل عام بسبب الجوع والفاقة[1]

ونتيجة لغيبة الاتجاهات الروحية برز ماذكرناه ونذكره من سلب ثروات الدول المتخلفة وقتل رجالها، واستعباد أهليها.

ضعف الحضارة المادية فى غيبة الحضارة الروحية:

ونجئ للسؤال الثانى وهو: الثِّقَل الذى تمثّله الحضارات المادية فى غيبة الحضارة الروحية.

وللإجابة عن هذا السؤال نقرر أن إجماع المفكرين يتجه إلى أن ذبول الحضارة الروحية سيتبعه ذبول الحضارة المادية، وفيما يلى نقدم الأدلة على ذلك:

١ - أن الحضارة المادية بعد اختفاء الروح ستكون مثل سيارة انطلقت بدون قيادة أو حصان هاج واندفع دون كبح أو سيطرة، وستكون النتيجة تدميراً وإخلالاً بالبناء الحضارى وبالأهداف السامية، بل أن السيارة نفسها ستُدَمَّر، والحصان نفسه سينهار، ومثل ذلك الحضارة المادية فإنها

(١) د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان - العلاقات الدولية ص ٣٨ - ٣٩ .

لن يكون فيها نفع بل سيمتدُّ ضررها وتتجه للأفول .

٢ - ويقول روبرت كراين كبير مستشارى نيكسون الذى اعتنق الإسلام حديثا : إن الإنسان كالطائر، والطائر له جناحان ويمثّل العنصر الروحانى الجناح الأيمن للإنسان، ويمثل العنصر المادى الجناح الأيسر، وبدون الجناحين لايعيش الطائر، وبدون جناحى الإيمان والعمل المادى لاينجح الإنسان، وتصبح حياته لامعنى لها، والفراغُ الروحى شديد التدمير على الذات الإنسانية .

٣ - وإن الأمريكيين إذا لم يستعيدوا القواعد الروحية والأخلاقية فإن جميع أشكال الحياة ستنحط وتتفسَّخ، وسيحكم على المدنية الأمريكية بالفناء[1]

٤ - والإنسان الذى ينكر والديه ويتركهما يسهل عليه أن ينكر وطنه ويهاجر عنه .

٥ - والمال فى الدنيا الجديدة يخدع عشاق المال ويضفى عليهم من المتع والملاذ مايغرقون فيه فيعملون للحصول على المزيد منه، ولكن فى يوم من الأيام سيصحو هذا الإنسان الذى يعمل كالآلة ويسائل نفسه : لصالح مَنْ يعمل ؟ إذا كان ليس له استقرار عائلى، ولا طمأنينة لزوجة، ولا رحم يربطه بأولاده وعشيرته، واعتقادى أن هذا اليوم آت لا محالة حيث لايوجد الدافع لجهد لا بقاء له .

٦ - ومع وجود المال فاللذة به غير موجودة مع عدم الذرية الذين يرثون المال ويواصلون المسيرة .

---

(١) من خطاب له فى حمع بى النور بدمشق نشرته مجلة «صدى الإيمان» بالعدد الأول .

٧ - وقد انهارت الشيوعية لأنها أنكرت الله، ويقول الباحثون في الاتحاد السوفيتي: إن قادة الاتحاد السوفيتي بذلوا أقصى الجهد للقضاء على الأديان، وعلى الجانب الروحي بوجه عام، ولم يدركوا آنذاك أن البلاد تفقد بفقد الدين أهم مقومات الحياة، ولذلك سرعان ماذوى الوطن الذى عبث بكل القيم والعقائد، وانفكت عراه.

٨ - وأغلب الظن الذي يصل لليقين أن نضوب الاتجاهات الروحية عند الغرب سيقضى علي حضارة الغرب المادية ولن تستطيع أن تطيل البقاء بدون الواعز الروحي الذى يحرس القيم ويحمى من الانحراف، وبالتالى لن تصمد الحضارة الغربية، وقد جاء في مقدمة كتاب «العالم الإسلامى وآفاق القرن الواحد والعشرين» إن العالم يشكو من الخواء الروحى، وإن الحضارة الإسلامية بما بها من اتجاهات روحية تستطيع أن تقدم للعالم الكثير والكثير فى هذا المجال[1]

٩ - ومن يضمن أن الإنسان الذى لادين له ولاخلق ولا إيمان بوجود الإله المطلع على كل شيء والذى سيحاسب الناس على أعمالهم يوم المعاد، من يضمن أن هذا الإنسان لن يهمل فى عمله ولن يقبل الرشوة ولن يخون ؟ ومن الواضح أن عقدة الإهمال بدأت تتضح فى الغرب، عندما ترك الوالدان ابنهما أو بنتهما لمصير مجهول، وعندما ترك الزوج زوجته وتركت الزوجة زوجها، ولاشك أن هذا الإهمال سيمتد من مجال إلى مجال، فلا شيء يعدل الأولاد والأسرة، وإذا أهمل الإنسان الأبناء أو الأسرة فما أسهل أن يهمل أى شيء.

١٠ - وهكذا نقرر بقوة أن انهيار الحضارة الروحية في الغرب سيجرُّ إلى انهيار الحضارة المادية، وأن بقايا التماسك فى الغرب ليس إلا لعمق بقايا الأديان فى نفوس الجيل الماضى.

(١) العالم الإسلامى وآفاق القرن الواحد والعشرين ص ٢٤ .

وليست المسألة استنتاجية فقط، فإن مظاهر الانهيار بدأت تتضح فى صور كثيرة، فالذى يترك وطنه فى أوربا ويجذبه الثراء الأمريكى فيهاجر للدنيا الجديدة، هذا رجل لم يقنع بالتخلّى عن الأسرة فتخلّى عن الوطن والطريق أمامه مفتوح لمزيد من الانحراف .

١١ - ويقول أحد المفكرين الإنجليز محذرا من اليقظة الإسلامية، ومن تعويض الشرق الإسلامى مافاته فى مجال التكنولوجيا: «لا يساورنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام، سيكون لها النصر فى النهاية .

«وإذا كان المسلمون قد تخلفوا فى التكنولوجيا فإنهم يستطيعون تدارك ذلك، ولكن فى مقابل هذا سيكون من الصعب علينا استعادة أو إحياء التعاليم الروحية، تلك التى فقدتها المسيحية، ولكن الإسلام حافظ عليها[1]»

١٢ - وفى هذا الصدد يقول الدكتور عبد الفتاح الغنيمى: إن هناك من علماء الغرب من يتحدثون الآن ومنذ وقت ليس بقصير عن «أزمة الحضارة الغربية» وفى ذلك يقول أحد كبار علمائهم المعاصرين : إن الحضارة الغربية أساسها الاختلاف مع القيم المسيحية الروحية، وهي لذلك تمرُّ بأزمة خطيرة، فالاضطرابات التى يعانى منها الغرب أصبحت متعددة؛ القلق النفسى، والتخلّى عن المبادئ الأخلاقية، وانحلال العادات، وشيوع الرغبة المجنونة، وقد أصاب الضعف المؤسسات الاجتماعية فى الصميم[2]

(١) نقلا عن «الإسلام قوة الغد العالمية» لباول شمتز ترجمة د. محمد شامة .

(٢) الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الواحد والعشرين .

١٣ -ويقول جون ديوى : إن الحضارة التى تسمح للعلم بتحطيم القيم الروحية لهى حضارة تدمرُ نفسها بنفسها.

١٤ - ويقول جون فوستر دالاس : إن هناك شيئا مهما يسير بشكل خاطئ فى أمتنا وإلا لما أصبحنا فى هذا الحرج، وإن الأمر لايتعلق بالماديات، فلدينا من هذا الشيء الكثير، ولكن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوى، وبدونه يكون كل مالدينا قليلا.

١٥ - ويسجل التاريخ أحداث أقوام زاد غناهم وتقدُّمهم المادى ولكنهم أنكروا الله سبحانه فسقطوا فى هوة سحيقة ومن هؤلاء قوم هود الذين تحدَّث القرآن الكريم بما كان لهم من مصانع وقوة تجعلهم ذوى بطش وجبارين، قال تعالى عنهم : «أمدَّكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون» (الشعراء : ١٢٨ - ١٣٤) وقال عنهم كذلك «وأترفناهم فى الحياة الدنيا» (المؤمنون : ٢٣) ولكنهم تمادوا فى طغيانهم فأرسل الله عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات ليذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا» (فصلت : ٨٦).

وجاءت ثمود بعد عاد وأنعم الله عليهم بنعم وفيرة قال تعالى : «وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا» (الأعراف : ٧٤) فلما عصوا وأنكروا رسالات السماء دمرتهم الصاعقة وهى البرق الشديد يجئ مع صوت مرتفع وهزات تفوق هزات الزلازل وانتهى أمرهم.

والمؤكد أن هذا هو مصير كل من أعماهم ظلام المادة وأنكروا الإله سبحانه وتعالى، وقد وعد ووعدُه الحق أن البقاء للأصلح قال تعالى : «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» (الأنبياء : ١٠٥)

وعلى هذا فنهاية الحضارة الغربية مهما كان قدرها نهاية حتمية بعد انهيار الجانب الروحى .

والغرب يعطى الزمام والتأييد لإسرائيل ، وقد جهل الغرب أن إسرائيل لاتعرف الود والاعتراف بالجميل ، ويوم تحس باستغنائها عن الغرب ستكون معول تدمير لهذا الغرب ، وستتخلى عنه وتساعد على تدميره ، وقد أيَّد الانجليزُ اليهودَ واصدروا لهم وعد بلفور ، وعينوا اليهودىَّ «هربرت صموئيل» مندوبا ساميا لهم بفلسطين ليساعد قومه ، ولما قويت شوكة اليهود انقلبوا على انجلترا فدمروا منشآت الانجليز ونسفوا دورهم وقتلوا عددا منهم وشنقوا بعض رجال البوليس على قارعة الطريق وأعلن بن جوريون أنه لايستطيع حماية الانجليز من اليهود ونصح بإنهاء سلطة الانجليز فى فلسطين وتسليم البلاد إلى الصهاينة(١)

وباسم القراءة التاريخية وقوانين التاريخ نقرر أن دورة الزمن ستدور ، وكما عادت اسرائيل للحياة بعد أكثر من ألف عام ، فستعود فلسطين العربية لمجدها ، وعندما ينبثق الفجر لن تستطيع الشراذم اليهودية التى جاءت من مختلف الأنحاء أن تصمد أمام الزحف العربى الإسلامى الذى سيئرن أوانه عن قريب إن شاء الله .

مبالغات فى مجال التفوق المادى فى غيبة الروحانيات:

وفى جو من مادية الغرب والمنافسة على النجاح المادى تنافست الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى البائد على غزو الفضاء والوصول إلى القمر ومحاولة الاتصال بالمريخ : ونحن لاننكر أن هذا تفوق مادى عظيم ،

---

(١) كتاب اليهودية للمؤلف ص ١١٤ من الطبعة الحادية عشرة .

ولكنا نتساءل : ماجدوى هذا السباق المحموم، وقد كان الاتحاد السوفيتي البائد يقوم بهذا العمل، وكان له فيه السبق، وينفق عليه نفقات لايحتملها الخيال فى نفس الوقت الذى كان الشعب السوفيتى يعانى الجوع والحاجة، ولاشك أن هذه التكاليف كانت من أسباب سقوط هذا العالَم الهش.

وانفردت الولايات المتحدة بمواصلة هذا الغزو ولاتزال تنفق عليه نفقات يُرجى أن تقودها لنفس نهاية منافسها السابق.

إنها دنيا مادية مسَّها غرور النجاح فى هذا الاتجاه المادى ربما لتعود ببعض الحجارة من القمر أو لتضع علمها فوقه.

وقد اعترفنا آنفا أنه لنجاح علمى باهر يستحق التمجيد، ولكنه غير معروف الفائدة، وتنفق عليه هذه النفقات والناس فى أمكنة كثيرة من العالم يعانون الفقر والعوز، إنها مبالغات جاءت أثرًا للتطرف المادى.

ومن الجهود المادية التى لم تتضح فائدتها بعدُ، عمل أو خلق إنسان آلى بتكاليف باهظة كأن الإنسان الحقيقي كما خلقه الله نادر الوجود أو صعب الخلق، وبينما تراهم يحاربون كثرة النسل أو الانفجار السكانى إذْ بك تراهم يضيفون إنسانا آليا، ونكرر أن هذه قدرات علمية هائلة، وأن هناك محاولات لربطها بأعمال فى المستقبل، وعلى كل حال فإننا نرى أن الاندماج فى المادة تعدَّى حدوده وتخلَّى عن الالتزامات الأدبية فى هذا المجتمع، والصعود للقمر وصنع الإنسان الآلى هى امتداد لصنع أدوات التدمير كالصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية التى تتكلف الكثير ثم تودع فى المخابىء لتهديد الجنس البشرى لاغير.

ويقول المطلعون أن الغرب أتى بكل ماعنده ولم يعد عنده المزيد لذلك سيبدأ المؤشر في الهبوط.

وفى ختام هذه الدراسة عن مادية الغرب نثبت مايلى عن عداء الغرب للشرق الإسلامى :

الغرب والإسلام فى كلمات :

- إسرائيل عميلة لأمريكا وهى تأخذ من أمريكا حق العمالة .
- أمريكا قاومت نصر مصر سنة ١٩٧٣ ولولا أمريكا وتحديها لنا لحققنا أملنا الكامل في النصر .
- الغرب عدو وحدتنا وهو الذى خلق التمزق لأن الوحدة الإسلامية ترعبه .
- الغرب عدو نهضتنا وعدو التنمية عندنا ، والغرب هو الذي حال دون تحقيق آمال محمد على الذى كان على وشك أن يجعل مصر شبيهة باليابان .
- العلمانية سياسة خلقها الغرب فى بلادنا ، وبقيت بعد أن خرج الغرب ولابد من القضاء عليها لتذهب من حيث أتت .
- الإسلام لايسمح بالديكتاتورية ولابالغنى الفاحش .
- الذين يجلسون على القمة بدون حق يجب أن يتذكروا قول القائل : لو دامت الدنيا لغيرك لما وصلت إليك ، فهى ستتخلى عنك كما تخلت عمن سبقوك ، وستبقى اللعنات تنصب على الظالمين مدي الأجيال .
- الأنانية الغبية والفكر قليل العمق يدفع بعض الزعماء للتعاون مع اليهود وينسون أنه لا أمان لليهود .
- كم أخذ اليهود من المانيا لادعاء اليهود أن الألمان عذبوا اليهود ، فإذا قلنا لهم إنكم اعترفتم بقتل الأسرى المصريين وبيع قطع من أجسامهم أهالوا على الأمر التراب ورضى زعماؤنا بذلك وآثروا الصمت .

- الحكم الفردى الذى زرعه الغرب في الشرق ينشر العلمانية والإلحاد والقهر فهو نوع واسع من الإرهاب.

- قلنا من قبل إن الغرب اهتم باقتباس الجانب المادى من المسلمين وطوره، ولكنه لم يهتم بالجانب الروحى عند المسلمين، فبقى علي قوله بالتثليث وعبادة الإنسان.

غيبة الجانب الإنسانى عند الأمريكيين :

إن المعالم السوداء التى تتركها إسرائيل بالعالم العربى هى أثر من تشجيع الولايات المتحدة التى هى عدونا الأول وهى المسئولة عن كل ماتزرعه إسرائيل من بلاء ببلادنا.

والولايات المتحدة لها دور عالمى فى البعد عن الإنسانية واختفاء الجانب البشرى والإنسانى فإن الإحصائيات تقرر أنها تنفق ٥,٤ مليارات من الدولارات سنويا على الكلاب والقطط وتمنح المحتاجين فى العالم كله حوالى مليار واحد سنويا أى حوالى سدس ماتمنحه للكلاب والقطط. وتقول هذه الإحصائيات إن القطة الأمريكية تستهلك فى السنة ١٥٠ رطلا من لحوم الأبقار وأكبادها، أما الكلب فيستهلك ٤٧٥ رطلا من اللحوم المشوية فى السنة، وأطعمة القطط والكلاب تكفى لإطعام ١٢٠ مليونا من البشر(١)

---

(١) د. شوقى أحمد دنيا : التنمية والبيئة ص ٢٤ .

الحضارة الصينية

مقدمة :

ذكرنا من قبل أن بلادا كثيرة مثل كندا واليابان تدخل فى نطاق الحضارة ضمن حضارة الغرب، وحديثنا السابق عن الحضارة الغربية يشمل فى تقديرنا حضارة هذه الدول، ولكن هذا القول لاينطبق على الصين، فلها فى الكون وجود استقلالى ينبغى أن نبرز معارفنا عنه، وقد ربطها هانتنجتون بالعالم الإسلامى، ولو اجتمع العملاق الصينى بالقوة الإسلامية التى تضاهى الصين غددا وأملاً لازداد الأمل فى تحويل النفوذ العالمى من الغرب لهذه الجبهة الجديدة.

والحضارة الصينية هى من الحضارات التى يُتَوقَّع أن تبرز فى القرن الحادى والعشرين، والصين بلاد شاسعة، ومن أقدم دول العالم، وهى تسيطر على معظم آسيا الوسطى والشرقية ومساحتها أكبر من مساحة قارة أوربا، وتعدادها يزيد عن الألف مليون نسمة، وهم فى العقد الأخير من القرن العشرين مليار ومائتا مليون نسمة (١,٢٠٠,٠٠٠,٠٠).

وبسبب اتساعها يختلف جوها باختلاف المناطق، والقسم الشمالى من الصين سهل فسيح اسمه الأرض الصفراء لاصفرار لونها ولذلك يسمى سكان الصين بالجنس الأصفر.

والصينيون يجيدون الزراعة، وفى تاريخهم القديم كان الملك ينزل كل عام فى موسم الزراعة فيتولى بنفسه حرث بعض الأرض تشجيعا للزراع.

اقتصاد الصين:

وبمناسبة الحديث عن الزراعة فى الصين ينبغى أن نكمل صورة الاقتصاد فى الصين، فقادة الصين في العصر الحديث يقولون نحن نؤمن أن الزراعة

هى أساس الاقتصاد الوطنى، وأن الصناعة فى خدمة الزراعة، ومادام الشعب يجد غذاء كافيا فإن كل شىء آخر يهون[1] ولقد بدأنا فى الزراعة، ثم بعد أن زادت الأطباق على مائدة الإنسان الصينى اتجهنا للصناعة الخفيفة ثم للصناعات الثقيلة، وذلك عكس طريق الاتحاد السوفيتى الذى بدأ بالصناعات الثقيلة فالخفيفة ثم الزراعة، ومن هنا جاع شعب الاتحاد السوفيتى وثار.

وعلى هذا فالاشتراكية الصينية مختلفة عن اشتراكية الاتحاد السوفيتى، وزعماء الصين يقولون: إن اشتراكيتنا ذات خصائص صينية، فقد وضعنا الماركسية فى الواقع الصينى، ولانطبقها تطبيقا جامدا كما فعل السوفيت[2]، وهذا الاتجاه يضمن للصين أن تكون بعد نصف قرن أعظم قوة اقتصادية فى العالم، فاقتصاديات الصين أسرع اقتصاديات العالم نموا فى القرن العشرين.

ويقول الدكتور محمد السيد سليم فى مقال له بالأهرام (٢/ ٤/ ١٩٩٦) أن البنك الدولى تنبأ بأن الصين ستصبح أكبر قوة اقتصادية فى العالم بحلول سنة ٢٠٠٣ .

الصين والشرق :

ويتجه شعب الصين إلى الشرق الإسلامى، ويعلن أنه آن الأوان أن يتجه للشرق، ويقول لقد عرفنا كل مايحويه الغرب، وعرفنا أن الغرب لايقدم شيئا إلا بثمن باهظ، وقررنا أن نتجه للشرق، وأن نرى التجارب التى نجحت به وبخاصة لدى النمور الخمسة الأسيوية والتى يزداد عددها كل

(١) سعد الدين وهبه : $\frac{1}{2}$ قرن فى الصين ص ١٤ (أمضى الأستاذ سعد الدين وهبه بالصين نصف شهر ويقول إنه جمع فيه من المعلومات مايعادل جهد نصف قرن) (ص ٢١)

(٢) المرجع السابق ص ١٣ .

يوم، ويقول الصينيون إن على مصر أن تتجه للشرق، فالشمس تشرق من الشرق[1] .

وقد أبرزنا آنفا قول Huntington إن الصين والإسلام قوة هائلة يجب أن يعمل الغرب لها كل حساب، وفلاسفة النظام العالمي الجديد يعتبرون أن العقبة أمام الغرب هي الصين والإسلام، والتغلب عليها - لاسمح الله - يكمل سيادة الديمقراطية الغربية على العالم كله[2] .

الصين والإسلام :

وقد اتصل المسلمون بالصين من عهد مبكر يرجع في بعض الروايات إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فعندما انتصر المسلمون على بلاد فارس فرّ يزد جرد سنة ٢٢ هـ إلى الصين ولجأ لها، وسأله ملك الصين عن أولئك الذين هزَموا جيشه واستولوا على بلاده، فقال له إنهم بدوٌ كانوا يعيشون حياة خشنة حافلة بالصراع في الجزيرة العربية، فتردد الملك في مساعدته إذ لم يظهر له كنه هزيمة جيش ضخم وامبراطورية عظيمة أمام جماعة من البدو .

وقد اشترك المسلمون مع الصين في حربهم ضد المغول، وأبلوا بلاء حسنا، ومن هنا نالوا حظا عظيما من التقدير والإكرام، وقد أتاح لهم هذا أن يصلوا إلى بعض المناصب العالية فأصبح منهم الوزراء والقواد وحكام الولايات، وكانت الصين مجهولة حتى ارتادها العرب وكتبوا عنها، ويروى أن الكتب العربية التي ترجمت إلى اللغات الأوربية هي التي عرّفت الغرب بالصين[3] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٨
(٣) بدر الدين الصيني : العرب والصين ص ٢٨٩

وفى الصين الآن عشر قوميات تدين بالإسلام، وهناك مؤلِّفة مسرحية اسمها: هوده (هدى) ولها نشاط كبير فى كتابة الروايات والسيناريوهات وهى عضو اتحاد الكتاب بالصين.

وقد حقق الصينيون تفوقا عظيما فى بعض الصناعات مما يدل على عبقرية فذة، فهم أول من صنع الورق، والبارود، والخزف، وأول من اخترع حروف الطباعة، وهم يجيدون الحفر على العاج، والخشب، واخترعوا الأوراق المالية، ويجيدون صناعة الحرير، والأصباغ، والتمثيل، ولهم صحافة متطورة، تحتل الآن مكانة راقية بين الصحافة العالمية[1]

وكان المسلمون أول من نقل هذه الصناعات للعالم من الصين.

ومن الخواص التى تميزت بها الحضارة الصينية أنها اخترعت العجلة كوسيلة لتحريك المركبات، ولم تنقل ذلك الإبداع عن أية حضارة أخرى، ومن ثم استطاع الصينيون صنع المركبات ذات العجل والمحاور، كما اهتدوا إلى غزل الحرير من شرنقة دودة القز واحتفظوا بهذا السرّ عدة مئات من السنين .

ومن الناحية العلمية عرفوا الطب والجراحة، ويستعملون الإبر الصينية فى علاج بعض الأمراض، وهو سر لم يستطع غيرهم استيعابه حتى الآن.

واكتشف الصينيون إبرة المغناطيس منذ زمن قديم وكان اسمها «الإبرة المشيرة إلى الجنوب» وبدءوا فى استعمال هذه الإبرة منذ القرن الثانى الميلادى وهذا سهَّل أسفارهم البحرية البعيدة، وتسبب فى تقدم التجارة البحرية عندهم تقدما عظيما وبخاصة فى القرن الثانى عشر حيث بدأت التجارة العالمية تنتعش[1]

---

(١) بدر الدين الصينى : العرب والصين ص ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٢) Beazley: Down to the Modern Geography p 460

ومن أشهر ماعرف عن ماضيهم «سور الصين العظيم» وهو أثر رائع يدل على قدرة معمارية هائلة، ويُعدُّ من معجزات العمارة القديمة، ويبلغ طوله ١٤٠٠ ميل وارتفاعه ثماني ياردات، وعرضه فى القاعدة ثمانى ياردات وفى القمة خمس ياردات[1]

وقد سخَّر الامبراطور «تشين» نحوا من ربع مليون عامل للعمل فى هذا السور، وعدةَ ملايين من الدواب لنقل مااحتاجه السور من مواد البناء العملاق الذى لايزال جزء كبير منه موجودا حتى الآن[2]

وقد اتبعت الصين النظام الملكى الامبراطورى فى المجال السياسى، ولكنها بعد أن اتبعت النظام الشيوعى أخذت النظام الجمهورى بدءا من سنة ١٩٤٩ ومما يروى عن أحد ملوكها مما يدل على الحكمة أنه سئل من بعض الحكماء : هل تريد أن يتضاعف غناك، وأن يكثر أولادك، وأن يطول عمرك؟

فأجاب : لا، إن كثرة الغنى تجلب التعب لضرورة حراسة المال وتنميته، وكثرةُ الأولاد تشغل البال فى حياة الأب وتخلق الصراع بينهم بعده، وطول العمر يَجلب الضعف ويُكثر الذنوب غالبا.

وعن ماعرف عن علاقة أوربا بالصين نسجل مايلى :

- دخلت المسيحية الصين سنة ٦٣٨ م بدافع من الاستعمار والزحف الأوربى ولم تلاق المسيحية قبولا فى الصين.
- ماركو بولو زار الصين فى القرن الثالث عشر الميلادى.
- انتصار اليابان على الصين فى القرن التاسع عشر فتح الباب للأوربيين ليدخلوا الصين، وكانوا قبل ذلك يتهيّبونها.
- بريطانيا أدخلت الأفيون للصين وترتب على ذلك :

(١) الشرق الأقصى للدكتور يحيى درويش ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ونفس الصحفة .

حرب الأفيون :

أدخل الانجليز الأفيون للصين سنة ١٨٤٤ وحشدت بريطانيا قدرا هائلا من الأفيون في المخازن، فثارت الصين على هذا الوضع، ودمّرت الأفيون البريطاني المخزون، وأصدرت حظرا سنة ١٨٣٩ على استيراد الأفيون، وأخذت تراقب السفن الإنجليزية الواردة للموانئ الصينية، وقامت بذلك حربٌ شرسة تسمى «حرب الأفيون» وقد استمرت ثلاث سنوات (١٨٣٩ - ١٨٤٢)، وللأسف انتصرت بريطانيا، وأبرمت في الصين معاهدة «نانكين ١٨٤٢) التي فتحت بمقتضاها موانئ كانتون وشنغهاي وغيرهما في وجه التجارة البريطانية.

وتلك صورة من صور طغيان الغرب ببلاد الشرق فلم يقدم الغرب للشرق إلا الفواجع والآلام.

الفلسفة الصينية

الأديان في الصين :

شهدت الصين في القرن السادس قبل الميلاد حكيمين شهيرين هما «لاءوتسي» الذي ينطق اسمه أحيانا «لوتس» و«كونغ فوتسي» الذي ينطق «كونفشيوس»، وأولهما أسن بحوالى خمسين سنة تقريبا وقد تقابلا وكان «لاءوتسي» في شيخوخته، و«كونغ فوتسي» في شبابه وتدارس الثاني مع الأول بضع مشكلات، لكن كان لكل منهما اتجاه، فافترقا، فقد كان الأول داعية قناعة وزهد وتسامح مطلق، دعا إلى مقابلة السيئة بالحسنة، على نحو مانُسب للمَسيحِ فيما بَعد، أما «كونغ فوتسي» فكان يدعو إلى العدالة والاسَتقامة، ومقابلة السيئة بمثلها، ومذهب الأول يعرف «بالتاوية أو الطاوية» أما مذهب الثاني فيعرف «بالكنفوشية» وهو أكثر انتشارا وذيوعا في الصين.

كلمة عن كونفوشيوس والكونفوشية :

ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ وتوفي سنة ٤٧٩ ، ق . م وقد توفي أبوه وهو طفل صغير ، وكان كونفوشيوس ذكيا موهوبا ، فتطلع إلى العلم ، وحصّل منه قدرا كافيا ، ثم اتجه لنفسه يهذّبها ، فعنده أن أحسن العلم ما أصلح حال صاحبه ، وشُغل حينا بالوظائف الحكومية ، وخلال هذه المدة عَرف كثيرا من التجارب التي ساعدته على تفهم ماحوله من حقائق وانحرافات ، فوجد أن الخير له ولوطنه أن يتفرغ للدعوة لأفكاره ، واتخذ من حياة الصالحين والحكماء الأقدمين طريقا يعتنقه ويدعو له ، فذلك يقود إلى الحياة المثلى .

وتكوّن حوله مجموعة من المريدين الذين اعتنقوا اتجاهاته وتحمّسوا لها ، ووضعوا نظاما أخلاقيا وسياسيا رأوا أنه يقود للسلام ولخير البشرية ، ومن أهم مبادئ هؤلاء مايلي :

- ينبغي أن تعامل مرءوسيك على النمط الذى تحب أن يعاملك به رؤساؤك ، وقد شاعت هذه القاعدة فأصبحت تمثل نقطة مهمة فى البناء السياسي .

- الطاعة الكاملة من الأبناء للآباء وللأسرة ، وكان هذا المبدأ داعيا للترابط العائلى .

- طريق الوسط هو الأسلم ، حتى يبعد الإنسان عن التهاون وعن التطرف .

- اتخذت الكونفوشية تعاليم رئيسية لها هى : العلم الغزير ، والسلوك الحسن ، والطبيعة السمحة ، والعزيمة القوية ، وأعلنت أن هذه المبادئ كلها تنضوى تحت العدالة .

وهكذا بدأت الكونفوشية اتجاها خلقيا، وحركةً إصلاحية، وظلت كذلك زمنا وبخاصة أن مؤسسها لم يدّع النبوة، ولا قال بأى اتصال إلهى، ولكن الأجيال اللاحقة دفعتها لتكون دينا بين المعتقدات التى انتشرت بالمنطقة فى الصين واليابان وكوريا كالطاوية والبوذية.

وفى عصر أسرة سانج (٩٦٠ - ١٢٧٩م) تطورت الكونفوشية بواسطة أتباعها، واتجهت للاهتمام بالتقدم عن طريق اكتساب المعرفة، وكان ذلك الاتجاه يخالف اتجاهات الأديان المعاصرة بالمنطقة، فقد اتجهت هذه الأديان إلى التأمل والهدوء ولم تعن بالنشاط والحركة.

عادات صينية قديمة اختلطت بالكونفوشية :

وكان كونفوشيوس شديد التأثر بعقائد قومه الأقدمين، فاتجه مثلهم إلى عدم القول بالجنة أو النار والعقاب والثواب، ولم يدرس مشكلة مابعد الموت، معلنا أن مشكلات الحياة يصعب فهمها، فكيف بمشكلات مابعد الحياة ؟

وكان الصينيون القدماء يربطون بين الأحداث الكونية ، وبين أخلاق الملوك وأخلاق الشعوب، فالعواصف والفياضانات والزلازل والأوبئة وماماثلها، ليست عندهم إلا عقابا لانحراف الأمراء وانحراف الناس، وقد تبنى كونفوشيوس هذه الفكرة.

وكان كونفوشيوس ككل صينى تخيفه الأحداث الكونية، فهو يرتجف من قصف الرعد، وعصف الرياح، وهطول الأمطار، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، وهو يقابل ذلك بالتعاويذ والقرابين، يحاول بها أن يقى نفسه شرور هذه الأحداث.

تأليه كونفوشيوس وعبادة الأرواح :

قلنا آنفا ان كونفوشيوس لم يدّع النبوة، ولاقال بأى اتصال إلهى، ولم يكن غير مصلح اجتماعى. وكانت أفكاره حقا حافلة بالدعوة للخير والرحمة والإخلاص وأداء الواجب، ولكن بعض الصينيين من بعده انحرفوا بهذه الدعوة الخيرة واتجهوا إلى كونفوشيوس يبنون له الهياكل ويعبدونه، ويقدمون أمام تماثيله الذبائح والقرابين، ويركعون أمام تماثيله ويسجدون، وبالإضافة إلى هذا ، شاعت بالصين قبيل الإسلام عبادة الأرواح وبخاصة أرواح الآباء والأجداد، إذ كان الصينيون يعتقدون أن هذه الأرواح تعيش معهم بعد وفاة أصحابها.

من العادات الصينية :

والصينيون يحبون كثرة النسل، ولكنهم يمجدون الذكور، وعندما يبشر أحدهم بابن يعلق القوس والنشاب على الباب، دليل مولد الذكر الذي يحمى العشيرة، ويزود عنها الردى، أما إذا بشر بأنثى فإنه يعلق على بابه مغزلا دليل الخنوع والضعف.

ومن أبرز اتجاهات كونفوشيوس الأخلاقية أنه كان ينفر من الظلم، ويروى أنه رأى فى إحدى الغابات امرأة تبكى وتصرخ، فطلب من أحد مريديه أن يسألها عما أصابها، فأجابت بأن الوحوش افترست زوجها وأباها وأبناءها الواحد بعد الآخر، فسألها المريد قائلا : وبعد أن افترست الوحوش زوجك لماذا لم تهاجروا من الغابة إلى حيث يعيش الناس.

فقالت : لم نجد حكومة عادلة نستعين بها.

وعلق كونفوشيوس علي ذلك بقوله : إن الإنسان يستطيع الصبر على الوحوش الضارية، ولايستطيع الصبر على الحكومة الظالمة فإنها أشد فتكا بحياته من الوحوش[1] .

(١) سعد الدين وهبة : المرجع السابق ص ٢٤

والصين فى العهد الحاضر من الأقطار الرائدة، وقد صنعت القنبلة الذرية وهي من الأعضاء الدائمين الخمسة بمجلس الأمن، وكثيرون من المفكرين يرون أن العملاق الصيني بتاريخه وتعداده ومهاراته هو نجم القرن الواحد والعشرين.

ولكننا لاننكر أن الغموض يَلُفُّ حياة هذا المارد الكبير فمعارفنا عنه لاتسمح بأن نعطى صورة واضحة لمستقبله فى عصر صراع الحضارات.

الشيوعية الصينية:

وقد نجحت الثورة الشيوعية بالصين بقيادة ماوتسى تونج بعد صراع طويل، وكانت مساعدة الاتحاد السوفيتي ذات أهمية كبرى فى تحقيق هذا النجاح، فقد درب الاتحادُ السوفيتى آلافَ الصينيين على المشروعات المختلفة واستقبل الاتحادُ السوفيتى مئات الطلاب الصينيين لإلحاقهم بالدراسات العليا فى جامعات الاتحاد السوفيتى، وساعد الصين فى إنتاج القنبلة الذرية، وقد ظل هذا التعاون حتى مات ستالين وجاء بعده خروشوف، وألقى هذا خطابه سنة ١٩٥٦ الذى تضمن الهجوم على ستالين، ففى رأى الصينيين أن زعامة ستالين كانت لكل الشيوعيين، ومن هنا كان على خروشوف أن يستأذن زعماء الصين قبل أن يهاجم ستالين، ولكن خروشوف كان يرى أن هذه مسألة داخلية.

ثم إن خروشوف اتجه إلى القول بعدم حتمية الحرب، وإمكان التعايش السلمى مع الولايات المتحدة وهذا ماكانت الصين ترفضه.

ويلاحظ ماذكرناه آنفا عن الشيوعية الصينية أو الاشتراكية الصينية واختلافها عن اشتراكية الاتحاد السوفيتى، فاشتراكية الصين لها خصائص صينية، ومن هنا لم تسقط اشتراكية الصين عندما سقطت اشتراكية

الاتحاد السوفيتى وسقطت معها اشتراكية أوربا الشرقية لأنها كانت ذات طابع سوفيتى.

ومرة أخرى نحن مع الصين فى أنه مارد عملاق له مميزات مهمة عبر التاريخ، ولكن هذه الدولة الكبرى يلفها الانطواء والغموض، ولعل المستقبل يظهر لنا ماخفى علينا حتى الآن، ولكن الصين تعلن دائما أنها لاتسعى للمنافسة مع الولايات المتحدة، ولاتطمع فى رياسة العالم، وذلك هو أدب الصين وكافة الصينيين .

وقد لاحظ بيرفيت الفرق بين ماهى عليه ومايمكن أن تحققه فقال : يوم تنهض الصين يهتز العالم.

وكان نابليون يقول : إن الخطر الأصفر نائم ويجب ألا يستيقظ حتى لايدمر العالم(١)

ومع تعداد الصين الهائل فإنها تصدِّر الملابس والأطعمة المعلَّبة لدول العالم كله تقريبا بالإضافة إلى التحف والسجاد، وهذا ردٌّ على من يتحمَّسون ضد انفجار النسل، فمن الممكن لو عمل الناس بجدٍّ أن يحققوا مطالبهم وأن يصدروا الفائض لغيرهم .

الصين والولايات المتحدة :

يقول زعماء الصين إن الصين ليس لها رغبة فى منافسة الولايات المتحدة، ولكن الولايات المتحدة لاتصدِّق ذلك، وتنظر إلى الصين كما تنظر للإسلام على أن هذا وذاك هما القوة المنافسة لها بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وعلى العكس من ذلك تقرر الصين أنها لم ولن تدخل سباق التسلح النووى ولامعركة استعراض القوة، وليس لدى الصين رغبة فى أن

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة .

تكون دولة عظمى، والولايات المتحدة ترى أن هذا الكلام من الصين خديعة لها، وتدرك الولايات المتحدة أن مستقبل الصين يدعو لذعر الغرب، فالاتحاد السوفيتي اتجه للجانب السياسي والمنافسة في سباق التسليح مع الولايات المتحدة، وضحى الاتحاد السوفيتي في سبيل ذلك بحق شعبه في الحياة، وهذا مالاترتضيه الصين، وتعلن الصين أنها تتجه للشرق فالغرب لايقدم شيئا إلا بثمن باهظ، ومع أن الصين لديها القوة البشرية والتكنولوجيا والعلم والتطور الاقتصادى فإنها لاتتطلع لتكون قوة عظمى، أو قل لاتعلن ذلك، وقد صنعت الصين طائرات رائعة، وهى قليلة العدد ولكنها فى قمة الجودة، وصنعت الصواريخ والدبابات والمدرعات، وتحاول الولايات المتحدة تحجيم الصين، ولكنها لاتستطيع، كما تحاول الولايات المتحدة أن تتدخل فى شئون الصين الداخلية باسم حقوق الإنسان، ولكن الصين ترفض هذا التدخل .

الصين والعالم :

تسرع الصين فى خطواتها للانفتاح على العالم الخارجى، وتقود العالم فى تحديث الصناعة والزراعة والدفاع والعلوم والتكنولوجيا، وتعلن أنه لا ديمقراطية غربية، ولا اقتصاد سوق، ولامطالب أمريكية أخرى، وتميل فى اتجاهاتها للشرق، وتعلن أنها تتجه نحو العالم والعالم يتجه نحو الصين، وهذا مايقلق الولايات المتحدة، وترى الصين أن البلاد انتصرت فيها قوى التغيير وشاعت الحرية، وظهر الانفتاح، وتطور النظام الاقتصادى، وقلت الأوامر من أعلى ، وفُتحت مناطق كثيرة للاقتصاد الحر، وكثرت المدن المفتوحة للأجانب، وزاد الإنتاج زيادة كبيرة تدعو للعجب وتعلن الصين أنها تقف بجوار الدول النامية ودول العالم الثالث والدول الضعيفة، وتعارض أىَّ دولة تفرض وجهة نظرها على الدول الأخرى بالقوة والتهديد، وكل هذا يزيد من قلق الولايات المتحدة.

الثورة الثقافية :

قبل الثورة البلشفية ١٩١٧ كان لدى الاتحاد السوفيتي قاعدة صناعية، ولم يكن هناك مثيل لها في الصين عند ثورة الصين الشيوعية ١٩٤٩ بل كانت الصين بلدا زراعيا، واتجهت الثورة الثقافية إلى جعل الصين تقفز من الوضع الريفى لبلوغ الصناعة بوجهها التقنى الحديث، ورغب ماوتسى تونج في القضاء على المرحلة البرجوازية الصغيرة لبلوغ الهدف فى الصناعة، ورغب كذلك فى إحداث انغلاق ليحقق الهدف الذى يسعى إليه، فاستغنى عن الخبراء الأجانب واستدعى كل الطلبة الصينيين الذين كانوا يدرسون بالخارج .

وكان هناك جماعة من القادة بزعامة رفيق ماوتسى وصديق نضاله ليوتشاو تسى لايرى هذا الرأى، فقام صراع تزعمه ماوتسى تونج وكثرت صحف الحائط، وكان «ماو» قد كتب أول صحيفة من هذا اللون .

وقد استمرت الثورة الثقافية عشر سنوات (١٩٦٦ - ١٩٧٦) وكان سببها الحقيقى كما يقول المطلعون هو الصراع على السلطة، ولما مات ماو وقبض على أرملته وعلى عصابة الأربعة، وتولى الرئيس الحالى ونج شياوينج سيطر على الأمور، وأوقف انحرافات الثورة الثقافية، وانتقل باقتصاد الصين نقلة واسعة[1]

مشكلة تايوان :

عندما اندلعت الثورة الشيوعية فى الصين بقيادة ماوتسى تونج، دار صراع عنيف بين الثوار وتشانج كاى شيك زعيم الصين آنذاك، وأخذت

---

(١) دكتور فوزى درويش : الشرق الأقصى ص ٢٢٠ - ٢٢١ ،
ود. سعد الدين وهبة : $\frac{1}{2}$ قرن فى الصين ص ٢٩

الثورة تتقدم من عام إلى عام، وأمدّها الاتحاد السوفيتى بصور من العون العسكرى، وأخيرا حققت الثورة أهدافها واستولت على الصين سنة ١٩٤٩ ووقف زعيم الثورة (ماو) يعلن قيام الصين الشعبية، وهزيمة الجنرال كاى شيك وهروبه إلى جزيرة فرموزا، وأعلنت الصين الشعبية أن فرموزا جزء من الصين، ولابد أن تنضم لها مثل هونج كونج، ولكن فرموزا التى يطلقون عليها الآن «تايوان» ترفض هذا الاتجاه وتؤيدها الولايات المتحدة بكل وسائل التأييد الأدبى والعسكرى والمالى، والصين فى شهر مارس ١٩٩٦ تهدد وتقوم بمناورات عسكرية فى مضيق تايوان الذى يفصلها عن الصين الأم، ورفعت تايوان حالة التأهب القصوى بجيشها لمواجهة المناورات الصينية، ولكن الصين أعلنت اعتزامها استعادة جزيرة تايوان المنشقة، ولو أدى الأمر إلى استعمال القوة العسكرية، ونفت تراجعها عن غزو تايوان وعدم تخلى بكين عن سياستها التى ترمى إلى توحيد الأراضى الصينية وخضوعها لسيادتها المركزية، أما الرئيس التايوانى فأعلن أن هدف الصين عرقلة الانتخابات الرياسية التى حدد لها يوم ٢٣ مارس، والتى تجرى فى تايبيه، وطالب الصين بالتوقف عن الاستمرار فى المناورات العسكرية.

وكان الأمر يدعو للزعر، فالصين بلاد واسعة قوية لاتواجه تايوان وحدها ولكنها تواجه القوة الكبيرة المتمثلة فى الولايات المتحدة، ويسمى النقاد هذه المشكلة بالقنبلة الموقوتة، وقد هدأت الأحوال مؤقتا عندما تمّ انتخاب رئيس تايوان فى ابريل ١٩٩٦، وأعلن أن تايوان جزء من الصين، وسيتم الالتقاء بينهما يوم تزول الشيوعية من الصين الأم.

النظام العالمى الجديد
ومدى نجاحه

عندما اتجه الاتحاد السوفيتى للأفول بادر بوش رئيس الولايات المتحدة آنذاك فأعلن أن العالم يتجه للقطب الواحد الذى تدور الدنيا كلُّها حوله، ولكن بعض الزعامات الأمريكية الأخرى اتجهت اتجاها آخر وهو خلق عدوٍّ ينافس الولايات المتحدة فى زعامة العالم، فرأى ريتشارد نيكسون وهانتنجتون أن العالَم الإسلامى هو المرشح لهذه المكانة، ولم يَصفْه هؤلاء بالمنافس بل وصفوه بالعدوِّ الذى يعلن العداء أو يخفيه للولايات المتحدة، ولم تَكن لديهم أسباب لهذا التصوُّر، فاختلقوا ماأسموه الأصولية وهى فى تقديرهم تهدد المجتمع، لأنها تعنى التمسك بالدين الإسلامى والارتباط بمبادئه وقيَمه، وموقف هؤلاء نوعٌ من العَلْمانية التى تريد أن تصرف المسلمين عَن الإسلام كما انصرف المسيحيون عن المسيحية، مع أن اليهود أكثر الشعوب تمسكا باليهودية وأصولها، ولايزالون يلتقطون كلمات من التوراة ويعدُّونها مقدسة لديهم فيتملكون بها ماليس لهم، ويقتلون بها النفس التى حرَّم الله قتلها، والمهم أن الولايات المتحدة - كما ذكرنا من قبل - ادَّعت أن المسلمين هم أعداؤها وأشركت الغربَ معها فى هذا الادعاء لتقوى به ضد المسلمين.

وأغلب الظن أنهم عندما تكلَّموا عن المسلمين وعداوتهم للولايات المتحدة كانوا يقصدون المسلمين العرب أساسا، أو بلغة أخرى كانوا منحازين لإسرائيل ضد العرب، فهم لم يتخوَّفوا من مسلمى تركيا مثلا، ولكنها روح العداء القديم مع العرب المسلمين التى توهَّجت من جديد.

وهناك اتجاه آخر يصوِّر الصين العدوَّ الجديد الذى سيواجه الغرب والولايات المتحدة، وكان تعداد الصين ونهضتها الاقتصادية وتملُّكها للقنبلة

الذرية من أهم الأسباب التى رشحت الصين لهذه المكانة، ولكن الصين تنفى - كما رأينا آنفا - أنها تتجه للعداء أو منافسة الولايات المتحدة، وتقرر أنها مشغولة بتحقيق آمال شعبها ولاتريد زعامة ولامنافسة فى الزعامة، ولكن هذا الكلام الصينى مرفوض لدى الولايات المتحدة التى لاتريد أن توجَد قوة بجانبها فى الأرض، فإذا ظهرت قوة بشكل ما، مهما كانت مسالمة فإن الولايات المتحدة تعدها منافسة ومعادية.

والمهم أن العالم شهد خلال السنوات التى تلت سقوط الاتحاد السوفيتى تفرُّد الولايات المتحدة بزعامة العالم، ولم يظهر حتى الآن المنافس الذى يواجه هذه الزعامة، ونريد أن نسأل :

مالنظرة الواقعية لهذه الزعامة المنفردة حتى الآن ؟

والإجابة أن الولايات المتحدة فشلت فشلا تاما فى القيام بدور زعامة العالم، فطبيعة الزعامة الرشيدة الحيدةُ والوضوحُ، وهما صفتان لم تحاول الولايات المتحدة أن تتحلى بهما، فكان تحيُّزها لإسرائيل ضد العرب صريحا ومعلنا، وجعلت «الفيتو» لخدمة إسرائيل ومصالحها، تستعمله الولايات المتحدة كلما أرادت إسرائيل ذلك، وقد اتجه الكتّاب العرب إلى وصف الولايات المتحدة وزعامتها بأنها أخذت الجنسية الإسرائيلية، وأنها وسيط ليس فوق الشبهات، بل واضح الانحياز، وفى جو هذا التحيز الواسع لم تقنع الولايات المتحدة بالتأييد الأدبى لإسرائيل بل اندفعت الدولتان إلى إراقة الدم وإزهاق الأرواح، وظهرت عضلات إسرائيل والولايات المتحدة فى حرب ضد دولة صغيرة الحجم قليلة التعداد هى لبنان، ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد الذى أخفقت فيه الولايات المتحدة وعجزت عن التزام الحيدة، بل إنها انحازت ضد العرب المسلمين فى كل ميدان، فحاصرت العراق، ولاتزال تحاصره، ولم تتحرك عواطفها لحرمان الأطفال من الألبان والدواء والطعام، وأبرزت لذتها بهذا الحرمان القاتل وهى فى ذلك تشبه

القتلة والسفاكين وليس الزعماء والمصلحين، واستدارت الولايات المتحدة تحاصر شعب ليبيا وتفرض عليه العزلة وماتستلزمه العزلة من حرمان، وامتد العسف حتى شمل الحجاج الليبيين فحرمتهم من ركوب طائراتهم لهذه الرحلة المقدسة، وقضى الظلم الأمريكي أن تظل الطائرات الليبية رابضة في أماكنها وأن تستأجر ليبيا طائرات لنقل حُجَّاجها(١).

واتجهت الولايات المتحدة للسودان تُعدُّ لها جوانب من التنكيل، وأخذت جانب اريتريا فى صراعها ضد اليمن حول جزر حنيش.

هذا على الجانب الأخلاقى والسياسى، أما الجانب الاقتصادى فحدِّث عنه ولاحرج، فقد كانت الولايات المتحدة فى قمة الكرم والعطاء عندما

---

(١) إننا نثبت ذلك مدافعين عن ليبيا ومهاجمين مَنْ يعتدى عليها، ولكننا فى نفس الوقت نسجل أن زغيم ليبيا طَرَدَ من ليبيا العمال الفلسطينيين والمصريين، وأبقى بعض أساتذة الجامعات المعارين لبلاده دون مرتبات عدة شهور حتى يئسوا وعادوا.

خطاب القذافى فى جامعة القاهرة:

والأقسى والأمر عن هذا الزعيم أنه طلب أن تُفتَح القاعة الكبرى بجامعة القاهرة ليلقى حديثا على الأساتذة، واضطرت الجامعة للاستجابة، وإذا به يلقى على القمم الفكرية خرافات يرتفع عن مستواها أدنى الطلاب:

- تحدث الرجل للأساتذة عن معنى الديمقراطية كما يفهمها، وبناء على الفهم السقيم أوصى بالبعد عن الديمقراطية.
- حارب الأحزاب ونادى بإلغائها.
- قال بضرورة إزالة الكويت من الوجود وتقسيم أرضها بين السعودية والعراق لأنها لم تستطيع الدفاع عن نفسها، مع أن ليبيا وقفت عاجزة أمام ضربات الولايات المتحدة سنة ١٩٨٦ ولم تملك إلا العويل.

هذا نموذج من الزعامات العربية، ويقال إنه وصل للجامعة بعد ساعتين من الموعد المحدد، ولو كان الأمر لأنهيت الاجتماع الذى لم تحترَم فيه المواعيد، ولو أنهينا الاجتماع قبل حدوثه لكُفينا شر هذه الخرافات ولكن التزامنا بالقيم التى لايعرفها الضيف سبب لنا هذه الآلام.

إسرائيل التي لاتقنع:

وزعامات أخرى هرعت إلى شرم الشيخ فى مارس ١٩٩٦ لاسترضاء شمعون بيريز، ولم يقنع شمعون بيريز بما قُدم له من ترضيات، ولاقنع راعيه كليتون بذلك، ولا قنعت إسرائيل، وراح بيريز يريق دماء العرب ويهاجم المنطقة الدولية فى قانا بلبنان، ولكن الشعب الإسرائيلى يطلب المزيد، فانتخب بنيامين نتنياهو من الليكود لقيادة إسرائيل فى الفترة الجديدة، وراح نتنياهو يهدد ويتراجع في كل ما أقره بيريز.

ومما يذكر أن الفرق بين الرجلين فى الأصوات كان أقل من نصف فى المائة، ولو كان بيريز قد تعلم شيئا من العرب لوصلت معارفه رقم ٩٩٪ الذى نشهده دائما فى الانتخابات العربية التى تثير السخط والسخرية.

قدمت لإسرائيل مئات الملايين من الدولارات، وكان عطاؤها لغير إسرائيل بالقطارة كما يقولون، وكان العطاء لغير إسرائيل مشروطا بالولاء الكامل للمصالح الأمريكية، وكانت الولايات المتحدة ترقب الذين يحصلون على هذه المعونات، وتهددهم بقطعها إذا لم يسيروا في ركابها وإذا لم يجعلوا أصواتهم في المؤسسات الدولية بجانبها.

ذلك حديث عن الحيدة التي أغضت الولايات المتحدة عنها الطرف، وانحازت إلى إسرائيل، أما عن الوضوح فإن الولايات المتحدة سربلت العالم بثوب من الغموض، وتسلطت على المؤسسات الدولية، وخسر العالم في عدد قليل من السنين جهد نصف قرن من التوازن الذي كان يتحقق بوجود عملاقين يديران شئون الأرض.

لقد هاجم العالم الشيوعية، ولم نكن ندري أنها وسيلة رحمة من طغيان كانت تخفيه الولايات المتحدة.

ولاننسى الأفارقة الذين دُفعوا دفعا للدنيا الجديدة، وعمَّروها بالجهد والعرق والدم، فلما استغنت عَنهم الولايات المتحدة بعد ظهور الميكنة التي جعلت حاجتها قليلة للأيدي العاملة، حينئذ أعادتهم الولايات المتحدة إلى ركن هزيل في افريقية هو ليبيريا، وأخذوا يأكل بعضهم بعضا، ويقضي بعضهم على بعض، وضاقت بهم الأرض فركبوا سفينة للنجاة يطوفون بها ولايجدون ملجأ يحميهم، أما السادة الذين سيطروا على الثراء الذي خلقه الأفارقة هناك فلايعيرون هؤلاء البؤساء أي اهتمام.

إن النظام العالمي الجديد فشل فشلا ذريعا في العدالة والحيدة، وإسرائيل كما يقول النقاد كانت من أهم الأسباب التي سبَّبت للولايات المتحدة هذا الفشل وأصبح من الضروري أن يبرز قطب جديد أو أقطاب جدد ليحدُث

توازن فى ضبط الأمور وتسيير القافلة، وهناك قوًى كثيرة ترشّح نفسها أو ترشحها الظروف لتدخل ميدان المنافسة، ولاشك أن هذه القوى الجديدة ستواجَه بالترحاب من المجتمع العالمى الذى يتوق لاستقبالها، وقد يكون التكتل الأوربى هو الزعامة الجديدة، أو قد ينتعش الاتحاد الروسى من جديد، ويتسلم الزمام الذى تخلّى عنه الاتحاد السوفيتى، ولاشك أن الصين مع كل ماتُغَلَّف به من الكتمان مرشحة لهذه الزعامة وحدها أو مع جماعات المسلمين كما يقول هانتنجتون، ولعل ذلك هو الذى يخلق الجيدة للزعامة الجديدة المزدوجة، التى نرجو أن تفصح عنها الليالى لتكون فجرا للحرية والعدالة والمساواة التى أوشكت أن تختفى فى الظلام الذى فرضته الولايات المتحدة على المجتمع البشرى.

وقد كشفت الأيام الأخيرة عن فضيحة صارخة من فضائح التحيز الأمريكى فقد قيل الكثير حول وجود مصنع أسلحة كيماوية تحت الأرض فى موقع يبعد ٥٥ كيلو مترا جنوب شرقى طرابلس عاصمة ليبيا، وأكد الرئيس حسنى مبارك أن ذلك محض افتراء، وأن فريقا من الخبراء المصريين أكدوا عدم وجود أية منشآت كيماوية هناك ولكن الولايات المتحدة تؤكد هذه الاتهامات الكاذبة وتهدد بمقتضاها بتوجيه ضربة عسكرية ضد ليبيا وضد مناطق ترهونة المتهمة بوجود هذا المصنع.

أما الترسانة النووية الإسرائيلية المعترف بها، فلا تثير غضب الولايات المتحدة لظلمها من جانب، ولأنها أسهمت فى إنشائها من جانب آخر.

إن النظام العالمى الجديد دمَّر نفسه بنفسه، وكشف بسرعة عن تحيزه وضعفه أمام الحق والعدل، وليسقط هذا النظام الظالم، فليس مثله جديرا بالبقاء أو الاحترام.

الحضارة الإسلامية

فى مواجهة الحضارة الغربية

فى صراع الحضارات ستواجه الحضارةُ الإسلامية حضارةَ الغرب، ومعلوم أن حضارة الغرب حضارة مادية ، فما هى الحضارة الإسلامية ؟ الإجابة أن الحضارة الإسلامية نوعان :

١ - حضارة تجريبية مادية . ٢ - حضارة أصيلة

مع إبراز أن الأصالة والمعاصرة يتّضحان فى الحضارة الإسلامية، فلكل من الحضارة التجريبية والأصيلة جذور وأصول عريقة، ولكن المسلمين يضيفون دائما الجديد لتطوير الحضارة بجانبيها وحسن قيامها بمهمتها لخدمة الإنسان والأهداف العليا.

ويدرك المسلمون أن الإسلام يرمى إلي أن يكون المسلم إنسانا متوازنا، أى ليس راهبا فى صومعة، ولاسفاكا مغاليا، بل كائن اجتماعى يعطى ويأخذ، ويقدم الإسلامُ للإنسانية مجتمع الفضيلة والإخاء والمحبة، ويهتم الإسلام بخلق المساواة فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى كما قال رسول الإسلام ﷺ .

ميزات الحضارة الإسلامية :

وهذا النسق الإسلامى في المساواة يختلف عن نسق الحضارة الرومانية (وهى أصل الحضارة الغربيّة) فقد كانت الحضارة الرومانية تقسم البشر قسمين : الرومان وهم السادة ومن عدا الرومان هم البرابرة، وفي الهند كان كتابهم المقدس «منودهرماساسترا» يقسم السكان أربع طبقات هى : البراهمة وهم رجال الدين، والكشتريا وهم المحاربون، والوشيا وهم رجال المال، والشودرا وهم طبقة الخدم والعبيد، ولكل من هؤلاء مكانة والتزامات تطبيقية دقيقة(١) .

(١) انظر كتاب «أديان الهند الكبرى» من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف ص ٤٤ .

ومن مميزات الحضارة الإسلامية أن الجوانب التى جاء بها الإسلام في السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية تفى بكل حاجات الإنسان فى كل زمان ومكان .

ومن مميزاتها كذلك أنها تحترم الأديان الأخرى ولاتتعصب ضدها، وجميع أنبياء الله موضع تقديسها، وعلى المسلم أن يعترف بهم وبكتبهم الصحيحة .

ثم إنها حضارة حررت عقل الإنسان ، ونادى القرآن الكريم باستعمال العقل وتحريره، وقد شملت الحضارةُ الإسلامية مالايزال مفيدا للبشرية من تشريعات الأنبياء السابقين، وأضافت لذلك ماتحتاجه البشرية إلى يوم الدين قال تعالى : «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه»(١) وهذا يجعل الحضارة الإسلامية حلقة مكملة لحضارات الأنبياء .

والآن هيا بنا للحديث عن الحضارة الإسلامية .

ولكل من الحضارة المادية والأصيلة حديث طويل نقدمه فيما يلى :

(١) سورة الشورى : ١٣ .

١ - الحضارة الإسلامية التجريبية

والحضارة التجريبية هى التى كانت موجودة قبل الإسلام، واختفت قبل الإسلام، ثم أحياها المسلمون وبخاصة فى العصر العباسى الأول كما سيأتى بعد قليل، وهذه الحضارة تشمل الأمور التجريبية المادية كالطب والصيدلة والرياضة والزراعة والصناعة والفنون، وهذه الحضارة قد نشأت فى الشرق فى منطقة الخليج ولدى المصريين والفينيقيين وفى بلاد مابين النهرين، وقد اقتبس اليونان بعضًا من هذه الحضارة، وقد أشرنا لذلك عند كلامنا عن «قبس من حضارة مصر والشرق ينتقل لليونان» ونسرد فيما يلى تفصيلا أوردته «الموسوعة العربية الميسرة» عن واحد من هذه العلوم وهو الصيدلة :

«كان الكهنة في مصر الفرعونية يقومون بتدريس الصيدلة فى مدارس ملحقة بالمعابد فى منف وطيبة وهليوبوليس، وكانت هذه المدارس تسمى «بيت الحياة» وكان الناس يقصدونها للتداوى وقد نقشت الوصفات الطبية على العظم والطين المحروق والجلد والمعادن والخشب وأوراق البردى.

وانتقلت الحضارة الطبية إلى الإسكندرية، وبقيت هناك أربعة قرون حتى نقلها اليونان إلى بلادهم، وفى عهد البطالمة كانت جامعة الإسكندرية تدرس الصيدلة، وكان جالينوس طالبا بها، وهو الذى نقلها من مصر إلى أوربا، وقد استخدم العرب الحيوانات لتجربة الأدوية» (مادة صيدلة)

وحُكمت بلاد الشرق أو أكثرها باليونان ثم بالرومان، وكان الرومان لايهتمون بالحضارات فضعفت حضارة الشرق، ثم جاءت المسيحية وأخذ رجال الكنيسة السلطان بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية، وأعلن رجال الكنيسة أن الكتاب المقدس به كل شيء يحتاجه الإنسان ولاحاجة للبشرية بسواه، فكل ماسوى الكتاب المقدس باطل .

وتبعا لذلك حاربت الكنيسة العلوم، وقاومت وعاقبت العلماء بأقصى العقوبات التى تصل للإعدام والحرق كما حدث لجاليليو ومايكل سرفتوس، كما ذكرنا من قبل، واستمرارا مع محاربة العلم أحرقت الكنيسة آلاف الكتب التى تبحث فى الطب والعلوم، وحبست ماتبقى منها فى الدهاليز ليأكلها الزمان[1] وكان ذلك لاعتقادها أن الذي يقضى بالمرض ويمنح الشفاء هو الله وحده ولاحاجة للعلم لذلك.

وضاعت بذلك حضارات الشرق التى استنفذ إبرازها زمنا طويلا .

دور الإسلام والعصر العباسى الأول فى خدمة الحضارة :

وعندما جاء الإسلام ، وأهلَّ العصر العباسى الأول أحيا المسلمون هذه الحضارات التجريبية فأخرجوا الكتب من الدهاليز بالبلدان التى استولوا عليها كمصر والشام والعراق وفارس، وأحيانا حصلوا على الكتب من دهاليز البلدان التى لم يستول عليها المسلمون ولكن حصل صلح بينها وبين المسلمين وكان المسلمون يضعون فى شروط الصلح أن يتسلموا هذه الكتب المخزونة، ولما كانت هذه الممالك ترى أن مابهذه الكتب يتنافى مع المسيحية، فقد سلموها للمسلمين.

وتسلَّم المسلمون هذه الكتب ووضعوها فى «بيت الحكمة» الذى أنشأه الرشيد ورعاه المأمون رعاية خاصة واتجهت الجهود لخدمة هذه الكتب على النحو التالى :

١ - إزالة ما كان بها من خرافات وأساطير وشعوذة وسحر وطلاسم وتعدد آلهة وهو شيء كثير.

٢ - استكمال ما كان بها من نقص بسبب ضياع أوراق أو زوال حبر، وكان ذلك يتم بإسناد كل كتاب إلى عالم متخصص فى مادة الكتاب وموضوعه .

(١) ابن نباتة المصرى : سرح العيون ص ٩٩ والفهرست لابن النديم س ٣٣٣ .

٣ - تعريب هذه الكتب والتعليق عليها ونقلها من النظريات للتجربة والعمل.

٤ - تدريسها إلى الطلاب .

ابداعات المسلمين :

٥ - ووصل المسلمون بذلك إلى مرحلة الإبداع وإضافة الكثير على ماكان في هذه الكتب، ويلاحظ ماسبق أن ذكرناه من أن أفكار هذه الكتب المترجمة كانت من الشرق، فهى بضاعتنا رُدَّت إلينا كما يقول فيليب حتى[1] وكان الغرب قد أضاف لها الأساطير والخرافات والشعوذة فحذف المسلمون هذه الأساطير وأضافوا فكرا جديدا لما ترجموه وظهرت إبداعات المسلمين، وفيما يلى نماذج منها :

فى الجغرافيا : أجادوا رسم الخرائط وتلوينها وتجسيمها على يد البلخى وابن خرداذبه والاصطخرى والبيرونى والإدريسى .

وفى العلوم الطبيعية : ظهر ابن الهيثم الذى قرر أن الرؤية تحدث من شعاع يخرج من الشىء المرئى فيقع فى العين فتحدث الرؤية وليس من شعاع ينبعث من العين كما كان السابقون يعتقدون، ولابن الهيثم جهود كبيرة فى مجال البصريات .

وفى مجال الطب : فى هذا المجال حقق المسلمون إنجازات عظيمة جدا؛ فظهرت المستشفيات الإسلامية، وكان العلاج بالمجان، وظهر الأطباء الفلاسفة والفلاسفة الأطباء، وعرف المسلمون أعراض الجدري، والسكر، والحصبة، وطرق الحماية منها، فعرفوا التطعيم كما عرفوا التشريح، وعرفوا الطب النفسى وعلاجه، وعرفوا طب الأعشاب، وتخصصوا فى علم جبر العظام والكى، واكتشفوا دودة الإنكلستوما، وعرفوا جراحة التجميل، وعرفوا طب المسنين وخصصوا له مستشفيات خاصة ووضع ابن سينا بابا خاصا به في كتابه «القانون» كما ابتكروا «طب المساجين» .

---

(١) History of the Arabs p. 306 - 307

وكان أبقراط يرفض علاج الأمراض المستعصية وهي سياسة سادت لدى الغرب، ولكن المسلمين تعهدوا هذه الحالات بالرعاية الكاملة تبعا لقول الرسول ﷺ : إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له الدواء.

وعرف المسلمون التدليك والسَّوْنا، وكان الرازى أول من استعمل الفتيلة فى الجراح. ومن أبرز الأطباء المسلمين الرازى وابن سينا وابن رشد والزهراوى وعلى البغدادى وعمار الموصلى وابن زهر .

وفى هذا الإنتاج والإبداع حرص المسلمون على التدبُّر والتفكير تبعا لقوله تعالى : «أفلا يتدبرون» (النساء : ٨١) وقوله : «أفلم يدَّبَّروا القول» (المؤمنون : ٦٨) .

ومع العناية بالتدبر عُنى المسلمون بإجراء التجارب في العلوم التى تحتاج لتجارب، ويتجه ول ديوَرانت[1] إلى التأكيد على أن المسلمين هم الذين استحدثوا علم الكيمياء بوصْفها علما من العلوم، وهم الذين أضفوا عليها الملاحظة الدقيقة ومنهج البحث العلمى القائم على التجربة والعناية برصد نتائجها ، وابتكروا لها الآلات فتمكنوا بذلك من الكشف عن هذا الحشد الكبير من المنجزات التى كانت من المغيَّبات فى هذا الميدان، ومن أجل ذلك يقول جابر بن حيان :

- ما افتخر الحكماء بكثرة العقاقير وإنما افتخروا بجودة التدبير .
- والله لقد عملته بيدى وبعقلى قبل اليد، وبحثت عنه حتى صحً، وامتحنته فيما كذب .
- من بنى نتائجه على الدربة كان عالما حقا ومن لم يعمل ولم يجرِّب لم يظفر بشىء أبدا[2]

واستكمالا لإنجازات المسلمين فى مجال الطب نرصد نقطة مهمة هى :

(١) قصة الحضارة جـ ١٣ ص ٦٧٨

(٢) د. محمد كمال الدين : العلوم عند العرب فى أمكنة مختلفة .

الطب النفسي وطرق علاجه عند المسلمين :

الصورة التى تنقلها لنا المصادر التاريخية توضح أن الغرب لم يعرف علاج الأمراض النفسية والعقلية، وكانوا يَعُدُّون ذلك مسًّا من الشيطان، ومن هنا كانوا يربطون المريض بالسلاسل ويلقونه فى قبو مظلم، ويأتى له الكاهن كل يوم ليضربه بالسياط ليطرد عنه الجن الذى لَبِسَ جسمه.

وسَخِر المسلمون من هذا الوضع وعرفوا - كما قلنا من قبل - الطب النفسي، وَقرروا أن النفس تمرض كما يمرض الجسم وتعالج كما يعالَجُ الجسم، ومن وسائل علاج النفس علاجُ الأمراض الجسمانية بالشخص أولاً ثم إحاطته بمن يُحبُّ من الناس، ويُبعَد عنه من يكره، ويوضع المريض فى حجرة تزيَّن بالزهور، وتفوح بها الروائح العطرية، وتعزف بها الموسيقى الخفيفة.

المستشفيات مؤسسة إسلامية :

قبل الإسلام كان الاتجاه يرمى إلى عزل المرضى حتى لا يؤثروا بالعدوى على الأصحَّاء وكان المكان الذى يعزل فيه المرضى يسمى فى اللغة الإندونيسية Romah Sakit أى بيت المرضى وفى اللغة اللاتينية يسمى Hospital وهى كلمة مأخوذة من Hospitality التى تفيد الضيافة والإحسان وليس العلاج(١)

أما فى الإسلام فقد كان الاسم الذى أُطلق على مكان المرضى هو «المستشفى» أى المكان المخصص لعلاج المريض رجاء شفائه، وأول ماظهرت المستشفيات فى الإسلام كان فى عهد الرسول ﷺ، فهو الذى وضع الأساس لها، وكان ذلك فى غزوة الخندق، فقد جُرِح عدد من المسلمين فلم يدعهم الرسول يعودون لبيوتهم بل أقام لهم خيمةً بالمسجد،

(١) دكتور أحمد شوقى الفنجرى : العلوم الإسلامية جـ ١ ص ٦٧ .

وَوَكَلَ بهم من يُعنَى بشئونهم ممن لهم دراية بالطب والعلاج، وَوَضَعَت هذه الحالة بذرة المستشفيات فى الإسلام.

ثم تطوَّر هذا الوضع وظهرت أبنية المستشفيات فى عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى سنة ٨٨ هـ (٧٠٦م) بدمشق ثم انتشرت فى البلاد الإسلامية، وبمناسبة ذكر الوليد نسجل أنه تعهد الأيتام وكفلهم، ورتَّب لهم المعلمين والمؤدبين، كما رتب للمرضى من يخدمهم، وللمكفوفين من يقودهم، ورتب لهؤلاء جميعا الأرزاق المنتظمة، كما وضع المجذومين فى بيت يرعاهم طبيا حتى لا يخرجوا على الناس بعاهاتهم، ورتب لهم الأرزاق الكافية، وأعطى كل مقعد خادما يهتم بأمره، وأعطى الأرزاق للمقعد وخادمه[1].

وعرف المسلمون الطب البيطرى، وفى الحيوان عرفوا التهجين وتحسين النسل، ويعتبر كتاب «الجاحظ» عن «الحيوان» من أروع ما كتب فى هذا المجال.

وكانت معارف المسلمين التى خَلَقَت الإبداعات السابقة نتيجةً لتعليمات القرآن الكريم الذى ألزم المسلمين بالتفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح (البقرة : ١٦٤) فألزم القرآن الكريم المسلمين بالنظر والتفكير وكان من نتيجة هذا التفكير ما اهتدوا له من معارف أبْرَزَها الخالق العظيم في هذا الكون.

وفي هذا المجال هاجم القرآن الكريم من لايستعمل العقل ليستخرج الطاقة الكامنة التى أودعها الله تعالى فى السموات والأرض وفى هذا الكون، فجاء قوله تعالى : «أفلا تعقلون» (البقرة : ٤ ، وآل عمران :

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ وانظر موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف جـ ٢ ص ٧٤.

٦٥ ، والأعراف : ١٦٨ وجاء قوله أيضا «أفلا تتذكرون» (الأنعام - ٨) وقد عنى ابن رشد بإثبات أن الشريعة الإسلامية تحث على النظر العقلى وتوجيه[1] وذلك بخلاف الكنيسة التى كانت تقف فى وجه العقل والمعرفة، وتعاقب بقسوة من حاد عن ذلك كما حدث لجاليليو وسرفتوس.

وهكذا نقل المسلمون العلم التجريبى من الخرافة والشعوذة والجانب النظرى إلي الفكر والعقل والتجربة والمختبرات .

وأضاف الإسلام للحضارة التجريبية صنوف حضارة أخرى هي الحضارة الأصيلة التى سنتكلم عنها فيما بعد وفيها أخلاق الإسلام وقيمه واتجاهاته في السياسة والاقتصاد وغيرها، وسنتكلم عنها بالتفصيل بعد قليل.

المسلمون وآداب مهنة الطب :

وقد تدخل الفكر الإسلامى فى إشاعة الآداب التى ينبغى أن يتخلق بها الطبيب، وقد وضع الرازى فى ذلك كتابا عنوانه «أخلاق الطبيب» ومما جاء فيه قوله :

أول مايلتزم به الطبيب مداومة القراءة والإطلاع في المراجع الطبية مهما تقدم فى السن حتى لايغيب عنه شيء مما جدَّ من المعلومات .

ويتحتم على الطبيب حفظ أسرار مرضاه، فالمريض كثيرا مايُخفى أسراره عن أقرب الناس له، ولكنه يبوح بها إلى الطبيب .

وعندما يكشف على المرأة ينبغى على الطبيب ألا تتجاوز عينه موضعَ العلة، فهذا المكان وحده هو الذى يَنْظُر إليه ولايجوز له أن يَجولَ بعينه فى سائر البدن، وذلك هو السبيل للعفة والنجاح، ومن تجاوز ذلك تجنبه الناس وأغضب الله، وحُرِم الدخول فى منازل الأسر الكريمة .

(١) دكتور محمود قاسم : ابن رشد المفترى عليه ص ٨٦ .

والأطباء المسلمون كانوا يرون أنهم مسئولون عن الطب وبخاصة عن الأمراض المستعصية فى أى بلد إسلامى، ومن هنا نجد ابن النفيس الطبيب الشامى ينتقل لتدريس الطب فى القاهرة، وكان الرازى وابن سينا يتنقلان بين بخارى وسمرقند وإيران والعراق للتدريس والتطبيب، ومثل ذلك حدث للعلماء بوجه عام وليس للأطباء وحدهم؛ فابن الهيثم كان فى البصرة، ولكنه سرعان مالبّى رغبة الحاكم بأمر الله عندما استدعاه للقاهرة فحضر وأسهم فى بعض الأعمال المرتبطة بمعارفه .

الحضارة الإسلامية تطوّع المغول الجفاة :

هذه صورة سريعة للحضارة الإسلامية التجريبية والأصيلة (الحضارة الإسلامية الأصيلة سنعطى عنها بعض التفاصيل بعد قليل)، وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى نسجل أن الحضارة الإسلامية طوّعتْ الجبابرة، ونقلت بعض أعداءها إلى مدافعين عنها، ونعنى بذلك المغول القساة الطغاة، وعن هؤلاء يقول Sir Thomas Arnold(١) لايعرف الإسلام من بين مانزل به من خطوب وويلات خطبا أعنف قسوة من غزوات المغول، فلقد انسابت جيوش المغول تدمر عواصم المسلمين وتقضى على ماكان بها من مدنية وحضارة، وأسرفت فى القتل والتدمير والإحراق، ولكن الإسلام سرعان ماطوى هؤلاء بعد جيل أو جيلين ، فأصبحوا من أتباع الإسلام ومن رعاة الحضارة الإسلامية، وخلّد المغول بالهند صورا من الحضارة الرائعة ومن هؤلاء شاهجهان الذى - تأثُّراً بآداب الإسلام - قضى على عادة تقبيل الأرض بين يديه تحيةً له، وقرَّب إليه العلماء وشجَّع على التأليف ، وإليه ينسب الأثر الرائع «تاج محل» الذى شيده لتدفن فيه زوجته الحبيبة .

---

(١) The Preaching of Islam p. 71

ومن هؤلاء كذلك أور نكزيب الذي أصدر تنظيمات لحماية الشعب من الضـرائب الظالمة، والذى كـان يجلس للمظالم من حين إلى آخـر، والذى أعلن خطأ النظرية القائلة بأنه فـوق الطبيـعـة البـشـرية، وأعلن أنه إنسـان عادى[1].

الروح الصليبية تمنع الغرب من الانتفاع بالأخلاق الإسلامية:

وكان من الممكن أن يؤثر الإسلام والحضارة الإسلامية فى الغرب مثلما أثّر فى المغول هـذا التـأثيـر الدينى والخلقى، ولكن الروح الصليبـيـة كـانت مسيطرة على الغرب، فلم يقتبس الغرب من الإسلام إلا الحضارة التجريبية ولقطات يسيـرة من الحضـارة الإسلامـيـة الأصيلة كتـحرير الرقـيق ومـبدأ الشورى فى النظام السياسى، وكان ذلك تحت ضـغط الجنود الذين طالبوا بالحرية والعدالة على نمط الجنود المسلمين.

توقف العقل العربى والإسلامى وأسباب ذلك :

أبرزنا بعض المفاخر والإبداعات التى حـقـقـها المسلمون، ثم توقفت المسيرة بسبب الاضطرابات السياسية الداخلية، ثم بسبب ماعاناه المسلمون من هجمات قاسية أشعلتها حركة التنصير ثم حركة الاستعمار والصهيونية، وكانت الخلافة العثمانية وصراعاتها الداخلية والخارجية من أسباب ضعف المسلمين، ولاشك أن هذه عـوائق خطيـرة كـبلت العقل الإسـلامى حـينا، وصرفت الجهود إلى الدفاع عن البلاد ومواجهة الزحف الخارجي الذى قام الغرب بأكبر دور فيه، ولكننا لايجب أن نستمر خاضعين لهذه العوائق حتى بعـد التـغلب عليـها، فـقـد استطاع المسلمـون أن يقهـروا هذه العـقبـات أو أكثرها.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف جـ ٨ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

وكان من الطبيعى أن يستأنفوا مسيرتهم فى الإبداع والابتكار، والباحث المخلص لايستطيع أن يعفى المسلمين من اللوم على وقفتهم الحالية وعدم استئنافهم للنشاط الذي حققه الأجداد، فالصين مثلا طورت استعمال الإبر الصينية فى ضوء التكنولوجيا العصرية وقدمتها إلى العالم علما جديدا نافعا اهتزت له الأوساط العلمية فى أوربا(١) ومما يشفع للمسلمين بعض الشىء أن الصهيونية لاتزال تهدد كيانهم بمساعدة الولايات المتحدة حتى كتابة هذه السطور.

ونذكر بمزيد من الفخر أن بعض المسلمين نفضوا عن أنفسهم غبار الضعف واستأنفوا نشاطهم الخلّاق، ومن هؤلاء ماليزيا التى يشرفنا أنها حققت تقدما عظيما فى مجال الالكترونات حتى اعتبرت رابعة دول العالم فى هذا المجال، وفى مصر نهضة صناعية نرجو أن تحقق الكثير من الازدهار بعد أن تخلصت مصر من كابوس «القطاع العام» الذى عاق التقدم عشرات السنين، وهو من البقايا السوداء لجمال عبد الناصر وعصره.

عوامل التجمد الإسلامى بين مقاومتها والاستسلام لها:

ويقف المسلمون الآن على حافة دقيقة من الخطر، فإما أن ينفضوا عن أنفسهم الغبار ويسارعوا ليستأنفوا نشاطهم، وإما استسلام للذلة والعبودية فى عالم لم يعد يعرف مكانا وسطا بين هاتين الغايتين.

وسائل العودة للطريق الصحيح

وهناك وسائل محدّدة للعودة للطريق القويم نثبتها إجمالا أولا ثم نتدارسها بالتفصيل بعد ذلك :

(١) دكتور أحمد الفنجرى : العلوم الإسلامية ص ٣٢ .

الطريق الإجمالى للوصول للصواب :

فى كلمات قصيرة نرصدها قبل التفاصيل نذكر أن الطريق الصواب يستدعى أن نعنى عناية كاملة بأمور أربعة هى : الله - الإنسان - الكون - الحياة .

الله : فالله سبحانه وتعالى هو خالق الكون ومدبِّر أمره ، فلابد من الإيمان الجازم بوجوده ووحدانيته وصفاته التى وصف بها نفسه ، ولست أعيد هنا القول عن هذا الموضوع المهم ، فقد تدارسته بدقة فى كتابى عن «الإسلام» ضمن سلسلة مقارنة الأديان ، ونتيجةً لمعرفة الله جل وعلا يجب أن نعبده كما أراد وأن نربى أخلاقنا وأهلينا على طاعته وعلى التخلُّق بالأخلاق التى فرضها .

الإنسان : ويجئ بعد ذلك حديث عن الإنسان الذى أحسن الله خَلْقه ، وكرَّمه على كل المخلوقات ، وسخَّر له مافى السموات ومافى الأرض كما ورد ذلك في القرآن الكريم فى عدة آيات ، ومن هنا يجب احترام هذا الإنسان وحسن هدايته وعدم العدوان عليه .

الكون : وذلك يعنى كل مافى الفضاء من مجرَّات ، ويقول العلم إن المسافة بين المجرات بعضها والبعض حوالي مليون سنة ضوئية ، وذلك شىء هائل لايستطيع العقل تصوره ، ويجب علينا وعلى جبابرة العالم الإيمان بأن خالق هذا الكون عظيم جدا ، ثم علينا أن ندرك ضعفنا أمام جبروته وعظمته ، وبالتالى علينا أن نجلَّ الخالق ونسجد له ونعبده كما أراد ، وعلينا أن نعمر الكون بالعدل .

الحياة : الحياة سرٌّ من الأسرار ، لم يتفق الباحثون على تعريفها ، والله سبحانه هو واهب الحياة ، فهو جلَّ وعلا يَهَب الروح التى تجعل الحياة تدبُّ

فى الإنسان، وإذا قُبض الروح توقفت الحياة وأصبح الجسم كائنا لا حراك له ولا اختيار، ولابد من احترام الحياة والأحياء ففى ذلك احترام لصانع الحياة وواهبها جل وعلا .

وللأسف غابت هذه المعانى عن الغرب فاستهانوا بحياة أعدائهم وأتباعهم، عذّبوهم وقتلوهم وسلبوا أموالهم وحرياتهم، ومن يفعل ذلك فلا حضارة له، وبالتالى فلن يرتفع قدره فى صراع الحضارات، والحياة حق لكل كائن على الأرض من إنسان أو حيوان أو نبات .

ومن ملاحظة اتجاه الحضارة الإسلامية لهذه المبادئ واتجاه الحضارة الغربية لها ندرك أن الحضارة الغربية اختفى عنها الإله كما ذكرنا من قبل واختفى بالتالى العدل، ونسى الإنسانُ عظمةَ الكون وخالقَه .

وأصبحت الحياة قاسية منذ ضاع التوازن بين الروح والجسد، ومنذ ظهر الزهو والعجب لدى الغرب، ذلك العجب الذى مثّل كارثة على المجتمع البشرى .

ونعطى فيما يلى بعض التفاصيل للمسلمين عن الطريق السليم ليعودوا إلى الحياة المثلى ويعيدوا الحياة للحضارة :

١ - إحياء الحضارة التجريبية :

قلنا آنفا إن الحضارة التجريبية نشأت فى الشرق الإسلامى ، فى منطقة الخليج وفى مصر وسوريا والعراق، وأن الغرب تعلمها من الشرق، وإذا كانت الحضارة التجريبية نبتت فى بلاد الشرق حيث مهبط الإسلام، فعلى المسلمين إحياء هذه الحضارة فهى ليست غريبة عنهم، وليست أعلى من مستواهم الفكرى، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع فيما سبق .

٢ - الوحدة الإسلامية ومحاربة القوميات الخاصة :

ولعل من أهم مايجب على المسلمين أن يفعلوه هو محاربة القوميات الخاصة، وهناك قوميات يتغنّى بها عبّاد الماضى، فالقومية العربية تغنى بها بعض العرب وعاش لها زعيم الهزائم جمال عبد الناصر، والقومية الفارسية تشدُّ كثيرين ممن يرتبطون بماضى إيران العريق، وللأكراد قومية وللأتراك قومية وهكذا، ونحب أن نعلن أن التمسك بهذه القوميات يجلب الفساد وهو وسيلة للتفسُّخ والانحلال والضعف، فالعرب والترك والأكراد لم يعرفوا المجد والزهو إلا فى رحاب الإسلام، والحضارة الفرعونية العظيمة لم يُعدْها للحياة إلا النهضة الإسلامية، ثم إن الحضارة الإسلامية تُجَمِّع، والقوميات تفرِّق، وتحاول دول الغرب أن تتجمع مع الاختلاف في الجذور واللغات والاتجاهات الدينية، ومع الصراعات المدمِّرة التى شهدها ماضيها القريب والبعيد، وخلقت أوربا مايسمى السوق الأوربية المشتركة والاستغناء عن تصريح الدخول (الفيزا) وتحاول الآن توحيد العملة، ولم تقنع أوربا بذلك بل ارتبطت بالولايات المتحدة مع البعد الشاهق بينهما، فجمع بينهما صلتهما بالمحيط الأطلسى وبرنامج الجات وصور كثيرة من التنمية، أما العالم الإسلامى فمع الارتباط الدينى الذى يمثّل حلقات من الارتباطات فى شئون الدين والدنيا، فإن كل دولة منه تعيش وحدها مع أن القرآن الذى يؤمنون به جميعا يناديهم «إن هذه أمتكم أمة واحدة» (الأنبياء : ٩٢)

خطر الفرقة :

ويحرص الغرب على توسيع الفُرقة وإثارة التشتت بين دول العالم الإسلامى، ففى وحدة العالم الإسلامى حَتْفُ الغرب وضياعه، يقول القس «سيمون» إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على

التخلص من السيطرة الأوربية، ومن أجل ذلك يجب أن تعمل على كسر شوكة حركة الوحدة وتحويل اتجاه المسلمين عنها.

ويقول «نورانس براوت» إذا اتحد المسلمون في دولة واحدة أمكن أن يصبحوا قوة هائلة تكون لعنة على الغرب ومبادئه وأهدافه وقيمه، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون بلا وزن ولاتأثير.

مؤتمر تركيا :

ومن الصيحات الهامة للوحدة الإسلامية تلك الخطبة الخطيرة التى ألقاها نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاة الإسلامى التركى، وذلك فى افتتاح المؤتمر العالمى الخامس للتجمعات الإسلامية الذى افتتح في اسطنبول فى مايو ١٩٩٦ وحضره حشد هائل من العالم العربى والإسلامى يمثلون مختلف الجماعات والحركات الإسلامية، بالإضافة إلى الجاليات الإسلامية، وهتف فى الحاضرين : أنتم القوة الديناميكية فى القرن الواحد والعشرين، وتحدث عن قوة إسلامية موحدة على غرار حلف شمال الأطلنطى، وعملة إسلامية موحدة بدل الدولار، كما تحدث عن أمم متحدة إسلامية بجوار هيئة الأمم العالمية.

وقال قاضى حسين أحمد من زعماء الجماعة الإسلامية فى باكستان فى خطاب بهذا المؤتمر : «إن العالم الإسلامى لن يحل مشاكله إلا زعماء مخلصون يشكلون الحكومات به.

وقد حضر هذا المؤتمر ٢٥٠ مندوبا من دول وحركات إسلامية وجاليات تمثل الأقليات الإسلامية وهذا المؤتمر يتوافق مع احتفال يعقد فى هذه الأيام فى إسطنبول لإحياء الذكرى ٥٤٣ لفتح القسطنطينية.

وحاجة المسلمين ماسة إلى حضارة عالية تجسدها الوحدة، ولاتتحقق هذه الحضارة إلا بالوحدة والتعاون، وقد اجتمع الغرب على باطل عندما

تجمع فى الحروب الصليبية أو تعاون فى العصر الحديث لاستعمار بلاد المسلمين، فما أجدرنا أن نتجمع ونتّحد لتحقيق الخير لنا وللمجتمع البشرى كله.

ويلاحظ الباحثون أن الدعوة للتجمع الغربى هى أولا محاولة لإحياء الإمبراطورية الرومانية، وثانيا يقصد بهذا التجمع إعادة إحياء التجمع الصليبى ضد العالم الإسلامى فلنتنبه.

ونذكّر المسلمين بأن النصف الأخير من القرن العشرين عانى فيه المسلمون عناء شديدا فى صراعهم للاستقلال ومواجهة الغرب، وقد اتحد الغرب وهو يضرب العالم الإسلامى، فقد ساعدت بريطانيا هولندا لتستعيد نفوذها فى إندونيسيا بعد استسلام اليابان[1]، ووقفت بلاد فارس وأفغانستان تعانيان تعاونا ضدهما من روسيا وبريطانيا، واشترك الغرب كله بزعامة الولايات المتحدة وبريطانيا فى غرس إسرائيل فى المنطقة العربية لتكون رأس حربة موجهة لقلب العالم العربى والإسلامى، ولاتزال كثير من المحن والأخطار تهدد كيان العالم الإسلامى، وهذا التعاون الذى نشهده بين دول الغرب ضد المسلمين هو فى الحقيقة امتداد للتعاون الذى تمّ بين المغول والصليبيين فى العصور الوسطى ضد المسلمين.

وهذه التحديات التى تواجه العالم الإسلامى لاتقوى الدول الإسلامية متفرقةً على مواجهتها فهى تحديات تتجاوز قدرات أية دولة مادامت وحدها، فالتآلف بين الدول الإسلامية هو السبيل الوحيد للمواجهة والنصر إن شاء الله، وليس هذا التآلف بدعًا فالإسلام ليس مجرد عبادات وتكاليف، بل هو بالإضافة لذلك دين قيم وقواعد وسلوك، ومن أبرزها التعاون والتآلف اللذان ذكرهما القرآن الكريم، وقد أصبح هذا التعاون ضرورة لحفظ الحياة.

(١) انظر الحديث عن ذلك فى الجزء الثامن من موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف.

إزالة العقبات التى تعوق الوحدة :

وفى جهودنا للوحدة الإسلامية لابدّ أن نزيل العقبات التي قد تعترضنا، ومنها الخلافات على الحدود والخلافات التى ورثناها عن صراعات سابقة ، والاختلافات المذهبية ، فكل هذا لابد أن يختفى أمام الهدف الأعظم وهو وحدة المسلمين ، وينبغى أن يكون واضحا أن هذه الوحدة لاتدع قطرا إسلاميا خارجها، ونفتح الأبواب بوجه خاص لاحتضان الدول التى استقلت عن الاتحاد السوفيتي البائد، وينبغى أن ترى هذه الدول الفرق الشاسع بين ماضيها فى أحضان الطغيان الشيوعى وحاضرها فى أحضان رفاق الدين والفكر والتاريخ .

٣ - إعادة قراءة التاريخ الإسلامى والاستفادة منه :

التاريخ الإسلامى معين مهم يجب أن نحرص عليه أداةً لجهودنا فى إعادة بناء حياتنا، ويلاحظ أن المستشرقين حرصوا على التقاط مواطن الضعف والهزائم فى تاريخنا وقدموها للمبشرين ليواجهوا بها المسلمين كوسائل لإضعاف شأن المسلمين والتأثير على حماستهم .

ولكن التاريخ الإسلامى حافل بالمفاخر، وينبغى أن نبرز هذه المفاخر ونذيعها لتكون سلاحا فى يد القائمين بالصحوة الإسلامية ، فلابد أن نتجاوز الهزائم والفتن التى حدثت فى العالم الإسلامى، وأن نبرز الانتصارات الكبرى السياسية والعسكرية والثقافية التى ستكون خير دافع لتحقيق أمثالها فى عالمنا المعاصر، وهى بالتأكيد ستشدُّ أزر الذين يستعدون لدخول معركة صراع الحضارات، ويسعدنى أننى قدمت هذه المفاخر فى موسوعة التاريخ الإسلامى التى تشمل تاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن وتبرز مشكلات الأقليات الإسلامية وذلك فى عشرة مجلدات كبيرة .

ومع إبراز مفاخر المسلمين يجب أن نكون على ذكر بالمخازى التى تورط فيها الغرب عبر التاريخ من حروب وصراعات وقنابل ومظالم وخيانات، وعدم وفاء بالعهود والوعود، وعلينا أن نبرز بوجه خاص أن الغرب فشل تماما فى إسعاد الإنسان، ونتيجة لتعاسة الإنسان فى الغرب نجد أعظم دول أوربا كفرنسا والسويد وألمانيا بها أعلى نسبة من المنتحرين .

٤ - اقتراحٌ لخطة عمل :

ولتحقيق الأمل فى الوحدة الإسلامية لابد من وضع خطة عمل وإعداد خطواتها والبدء بإصرار للمواجهة . وفى اعتقادى أن خطوات العمل ينبغى أن تكون كالنموذج التالى الذى نقدِّمه ونذكر أنه قابل للتعديل تبعًا لرؤًى مشتركة سليمة :

أولا : القضاء على الديكتاتورية بالعالم الإسلامى قضاءً تاما، فالديكتاتورية حريصة على الفرقة التى تضمن للديكتاتور سيادة مطلقة فى مكان ما، والديكتاتورية هى التى تخلق الصراع بين المفكرين والقادة، فالمفكرون يريدون أن يعيشوا فى جو من الحرية يساعدهم على الإنتاج والإبداع، والقادة يعيشون فى ظل الديكتاتورية ولايطيقون جو الحرية ولايسمحون بها، وينبغي أن نؤمِّن الديكتاتور الذى يعود للديمقراطية، ونُطَمْئنه بأنه سيجد فى رحاب المسلمين ولاءً وحبًا يفوق ماينعم به من تأييد غربى .

ثانيا : عدم تدخل الجيش فى الحكم، والمواجهة الصارمة لزحف الجيوش على السلطة فى انقلابات عسكرية، واعتبار ذلك خيانة، عظمى لأنه تهديد لسلطة الشعب وحقوقه .

ثالثا : محاسبة صارمة لمن استغل نفوذه أو سرق بلاده عن طريق انقلابات عسكرية أو غيرها .

رابعا : اتخاذ السبل الممكنة لاسترداد الأموال الإسلامية التى أودعها هؤلاء اللصوص ببنوك الخارج، ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن عشرات المليارات من الدولارات أودعها بعض المصريين بالخارج.

خامسا : تصفية الخلافات بين الدول الإسلامية بعضها والبعض، فلا يمكن أن يطول الخلاف بين مصر والسودان وبين المغرب وموريتانيا وبين قطر والبحرين والسعودية وبين اليمن والسعودية، واليمن وأريتريا والبحرين والإمارات وإيران.

وأنا كمصرى أحس بأخوةٍ عميقة تربطنى بكل سودانى، وأتمنى أن تزول الجفوة بين مصر والسودان، وأن تكون مصر هي البادئة بإعلان الوفاق، وأعتقد من صلاتى بالسودان أيام عشت بينهم أنهم يعتبرون مصر شقيقة كبرى، وكانوا أهم وأول من شاركنا مأساة هزيمة يونيو الأليمة.

سادسا : تصفية الخلافات الداخلية كالخلاف فى العراق بين الدولة والأكراد وكذلك في تركيا. والقضاء على بقايا الزحف العراقى على الكويت، بإطلاق الأسرى وإعادة الأموال التى لم تعد، ولو سارت الدنيا على أن يهجم القوى على الضعيف لفسدت الأرض فهناك على كل قوىٍّ من هو أقوى منه، والعالم الذى يأكل فيه القوىُّ الضعيفَ هو عالم الأسماك والحيوانات.

سابعا : القضاء تماما على عناصر الشر والإرهاب بالعالم الإسلامى كله، فهذه العناصر تريق الدماء، وتجلب الخراب، وتوقف سيل السياحة، وتحدث اضطرابا فى الاقتصاد، وهذه الحركات المدمرة بعيدة كل البعد عن الفكر الإسلامى الذى يرعى الأمن ويحثُّ على السلام، ومن الوسائل السهلة للقضاء على الإرهاب كله أو بعضه القضاءُ تماما على

البطالة وعلى أزمــة الإسكان ، فــالموظف الذى له أســرة وسكن لن يشترك فى الإرهاب.

ثامنا : الاهتمام بالمرأة المسلمة ، فقد قرر الإسلام للمرأة حقوقا كثيرة وعظيمة ، فسبقت كل نساء العالم ، ثم تقهقرت المرأة المسلمة بإهمال المسلمين لحقوقها ، وقد مرَّ على الأزهر الشريف أكثر من ألف عام دون أن يقبل المرأة فيه طالبة وباحثة ، وقد تدارك الأزهر هذا الأمر بعد عدة قرون ، وبعد أن تمكنت الجهالة من المرأة خلال هذه الفترات الطويلة المظلمة.

تاسعا : إنشاء سوق إسلامية مشتركة يُعْرَض فيها كل ماينتجه العالم الإسلامى ليكون فى متناول الدول الإسلامية الأخرى ، وسنجد أن هذه السوق تغطِّى كل حاجيات العالم الإسلامى.

عاشرا : اسرائيل : الوباء الكبير الذى يَمُدُّ خيوطه ليس للعرب وحدهم ، ولا للمسلمين وحدهم ، بل للعالم كله ، فلا صديق لإسرائيل ، بل هى تتجسس الآن على الولايات المتحدة كما تذيع الأنباء من يوم إلى يوم ، ويوم تقوى لن تتورع فى عضٍّ اليد التى امتدت لها بالإحسان ، والعالمُ العربى هو المنكوب الأول بهذا الوباء ، فلابد من التعاون الكامل بين العرب بعضهم والبعض وبين المسلمين بعضهم والبعض لمواجهة هذا الوباء وتقصير خطاه حتى يأذن الله بالقضاء عليه.

ولاشك أن إسرائيل تعرقل مسيرة الإصلاح فهى :

(أ) تهدِّد بحرب شاملة مستعينة بالولايات المتحدة ، ونواجه نحن ذلك بالاستعانة بالله العلى القدير.

(ب) لاتحتمل اجتماع الرئيس حسنى مبارك مع الرئيس حافظ الأسد في الإسكندرية فى ديسمبر سنة ١٩٩٤ وترى أن ذلك الاجتماع كان ضدها وتهدِّد بمقتضاه.

(ج) تحرص على التطبيع، والتطبيع معناه سرقة الثراء العربي.

(د) الاحتفاظ بالرءوس النووية وعون امريكا لها في ذلك، وفي ابريل سنة ١٩٩٦ شاع خبر تسرب الإشعاعات النووية من المفاعل النووي الإسرائيلي في ديمونه، وهو عمل خطير قد يكون مقصودا، فإسرائيل لاتتورع عن شيء، فقد دفنت إسرائيل نفايات نووية في صحراء النقب تعادل ٣٦ طنا وسلّل الإشعاع إلى المياه الجوفية.

وتمّ اتفاق إستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل وهو حافل بالخطورة على العرب جميعا، وفي نفس الوقت نقنع بكلمة من الولايات المتحدة فلا نرفع الصوت بالاحتجاج . ويقول المطلعون أن هذا الاتفاق الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل ينسف عملية السلام، فإسرائيل لاتحتاج إلى سلام مع هذا الاتفاق.

(هـ) قتلت الأسرى المصريين وهي جريمة كبرى يوارونها بالصمت، وللأسف يساعدهم رؤساؤنا في الصمت، حول هذه القضية، ولم تقف المسألة عند قتل الأسرى، بل تمادى الطغيان الإسرائيلي، فأدخلت الجثث عقب قتلها المستشفيات وتمّ تقطيعها إربًا وتاجرت إسرائيل في أجزائها، وتحولت إسرائيل بذلك إلى تاجر في قطع غيار من أجسام الأسرى المصريين والفلسطينيين.

وكلمات الأستاذ محمد الحيوان في الوفد يوم ١٣/ ٢/ ١٩٩٦ عن هذا الموضوع تثير الشجن والسخط وهي تستحق التسجيل، وأقتطف بعضها فيما يلي حتى لاننسى.

* إسرائيل قتلت الأسرى المصريين . . وسكتنا ولم نتكلم . . مع أننا كنا نعرف . . حتى أذاعت إسرائيل الخبر . . فماذا فعلنا . . سكتنا أيضا . . كأنّ أولادَنا مجردُ حشرات داست عليها الجيوش المتحاربة في سيناء . .

وإســـرائيل باعت أولادنا قطع غـــيـــار . . وتوزعت قلوب أولادنا على مستشفيات العالم . . والأكباد والكلى . . وتحولت إسرائيل إلي تاجر كبير فى قطع الغيار الآدمية . . ولابد أننا عرفنا ذلك وسكتنا أيضا . . حتى أذاع الزميل د. سعيد اللاوندى الصحفى بالأهرام هذه القصة . . ولم تتحرك وزارة الخارجية . . ولم تحاول إثارة الموضوع دوليا . . واكتفت بقراءة القصة كما قرأناها . . وكأن هذه القصة والأعضاء لاتعنى أحدا فى مصر . . وألف خسارة وحسرة على كل أم فقدت وليدها فى الحرب مع إسرائيل . . عندما تتصور وتتخيل . . كيف دخل ابنها المستشفى . . وكيف ذبحوه . . وقطّعوه ثم عرضوا قلبه وكبده وكليتيه للبيع . .

* القصة بشعة تحرق كل كبد فى مصر . . والقصة تؤكد أن إسرائيل ليست دولة تحترم القانون الدولى . . وقواعده الإنسانية . . ولكنها عصابة تفعل أى شىء . . فى أى شىء .

وهذا الحادث البشع لن ينساه المصريون أبدا وإن نسيته الحكومات .

وعند كتابة هذه الكلمات فى مطلع عام ١٩٩٦ يتضح لنا خطورة الهرولة التى تقوم بها الأردن للعناق والحب مع إسرائيل، وقد حاول الأردن العناق مع العراق إبان زحفه على الكويت، ولكن هذا الزحف فشل، وقد وجد الأردن فى إسرائيل بديلا عن العراق وأعتقد أن الواجب علينا أن ننذر الأردن فإما أن تكفّ عن هذه الخيانة أو ننبذها وتعلن خروجها على الصف العربى الإسلامى . ولحقت سلطنة عمان بالأردن، فقد دُعىَ رئيس وزراء إسرائيل لزيارة بعض الدول العربية وقدمت له الهدايا الثمينة، وللأسف يتم هذا مع الحصار القاتل للعرب فى فلسطين وهو شىء يدعو للحسرة والألم، ويقولون ان التسلل الإسرائيلى للدول العربية يتمّ بمساعدة الولايات المتحدة وضغوطها على الدول العربية الموالية لها .

وفى الثانى من فبراير سنة ١٩٩٦ نشر الأستاذ وجيه أبو ذكرى بالأخبار كلمة خطيرة عن مصر وإسرائيل والأردن ونقتطف سطورا منها لنسجل موقف الأردن في الصراع الدائر.

الرؤية التآمرية للمستقبل!

لم يبق سوى أقل من عامين، ويكون قد مضى على اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عشرون عاما، وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة فإن السلام المصرى الإسرائيلي يسير بخطوات بطيئة، أو أنه أشبه «بمحلك سر» وهو مايطلق عليه «السلام البارد» وفى نفس الوقت فإن السلام الأردنى الإسرائيلى يسير بخطوات مهرولة، وعناق حار، ودموع لمشاركة الآلام الإسرائيلية إن وجدت.

وليس سرا أن إسرائيل تريد تشكيل جبهة أردنية إسرائيلية لمواجهة مصر سياسيا واقتصاديا، فمصر لاتريد الانطواء تحت مظلة إسرائيل وفى نفس الوقت ترفض إسرائيل سلام الأنداد مع مصر، وتعتبر أن صراعها فى المنطقة منذ القدم هو صراع مصرى إسرائيلى وأن الصراع المستقبلى القادم هو أيضا صراع مصرى إسرائيلى، وفى سبيل ذلك فإنها أى إسرائيل - تنتهز فرصة السلام الحالية - وكأنه مرحلة مؤقتة - وتبحث عن المعلومات والأسرار المصرية وكأنها فى حالة حرب معها، وكما قال لى مسئول أمنى بأن جهاز الموساد الإسرائيلى يعمل بنشاط وكفاءة عالية - هذه الأيام - للتجسس على مصر، ورصد كل المعلومات الاقتصادية والعسكرية والعلمية عن مصر.

(و) واسرائيل تحاول تحطيم الجبهة العربية:

إن الأحداث التى تمر بها المنطقة في الشهور الأولى من عام ١٩٩٦ تؤكد أن إسرائيل تحاول تحطيم الجبهة العربية، فالعرب يتغنون دائما بقولهم «من

المحيط إلى الخليج» ويبدو أن إسرائيل وضعت خريطة العرب أمامها وبدأت تحرك الأوراق فاتصلت بطرفى الخريطة عن طريق صلاتها بالمغرب ويهود المغرب، ثم قفزت للطرف الآخر فخلقت جوا من الود مع سلطنة عمان، ومنها قفزت إلى قطر وقد زار بيريز مسقط وقطر ولقى هناك استقبالا حماسيا عظيما .

ولم ينس بيريز قلب الخريطة العربية فوثق صلاته بالأردن حتى أن محادثات عسكرية تدور بين الطرفين ، وهو اختراق خطير للجانب العسكرى العربى ، ومما يدل على سخرية بيريز بالعرب أن هذه الاتصالات تتم مع حصار قاتل للعرب في فلسطين ، ومع إيقاف حركة السلام ، فكأن حماسة مسقط وقطر والأردن تأييدٌ لموقف إسرائيل من تجويع العرب ، ولما كان من الصعب أن تحتوى الولايات المتحدة وإسرائيل بلاد العراق وليبيا ، فإن الدولتين العربيتين واجهتا سخط أمريكا وأصبحتا تحت حصار مرير ، وتوشك السودان أن تلحق بهما ، وهذا كله إرهاق للقوة العربية ، وصلاتُ إسرائيل بمسقط تضرب وحدة دول الخليج فى الصميم ، وتحارب زعامة السعودية في الوحدة الخليجية ، فهى أعمال متعددة الأهداف لصالح إسرائيل .

ولم تنس إسرائيل أن يكون لها نفوذ فى قلب الخريطة فأضافت تونس إلى الأردن ، وأقامت بتونس قسما لرعاية مصالح إسرائيل .

وفتحت هذه الأوضاع الأبواب الاقتصادية وأبواب السياحة لإسرائيل ونحن هنا نقابل هذه الحركات العربية الجاهلة بالمثل العربى الشائع

«إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض»

ويُخشى أن ماتمرُّ به فلسطين ستمر به أية دولة من هذه الدول المتهالكة على إسرائيل فتكون كالحشرات التى تلقي بنفسها فى النيران .

ودولة إسلامية أخرى كانت خلال عدة قرون تمثّل العالم الإسلامى كله، وهى تركيا أقامت علاقات عسكرية مع إسرائيل، وهى حماقة لايرضى عنها الإسلام ولا المسلمون، ولحسن الحظ لم تعد العلمانية تمثل البلاد بعد فشلها فى الانتخابات العامة وحصولها على نسبة تقل عن النسبة التى حصل عليها حزب الرفاة الإسلامى ومع هذا فالعلمانية لاتزال تحرك الاتجاه ضد الإسلام وتتحالف مع إسرائيل .

(ز) القدس :

ومن الضربات الموجعة التى تحاول إسرائيل إنزالها بالعالم الإسلامى موضوع القدس وهى المدينة المقدسة لدى المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها، فهى ليست خاصة بالعرب وحدهم بل إن مشكلتها ومحاولة إسرائيل السيطرة عليها مشكلة تؤذى ملايين المسلمين، بل وتؤذى كذلك المسيحيين، وقد شنَّ الصليبيون حروبا ضارية ضد المسلمين من أجل القدس فى العصور الوسطى .

وعدوان الصهاينة فى الأرض المقدسة امتد وتوالى ونحن نتابعه بالتدوين حتى يأذن الله فنواجهه بالقصاص، ولسنا ننسى مذبحة دير ياسين (١٩٤٨) وصابرا وشاتيلا، وحريق المسجد الأقصى (١٩٦٩) والمجرم هارى جومان الذى أطلق النار على المصلّين فى ابريل ١٩٨٢ . وفاجعة الخليل (١٩٩٤)، وجنوب لبنان ومعركة قانا سنة ١٩٩٦

ومن أخطر مايدعيه اليهود من آثار بالقدس مايسمى «حائط المبكى» وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى، فاليهود يرون أن هذا الحائط هو أحد أسوار هيكل سليمان، ويدل على كذب هذا الادعاء أنه كان قد ظهر فى أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين، ومع انحياز بريطانيا لليهود فإن القضاء البريطانى حكم سنة ١٩٣٠ بعدم صحة هذه المزاعم، وبعض اليهود يخففون

هذا الادعاء فيرون أن جانبا من أحد جدران المسجد الأقصى بنى بأحجار أخذت من هيكل سليمان، ويتجمع اليهود للبكاء على ماضيهم عند هذا الحائط ولذلك يسمى «حائط المبكى».

والمسلمون يعظمون المسجد الأقصى الذى أسْرى بالرسول إليه. قال تعالى: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله» كما يعظمون فيه الصخرة وهى المكان الذى ابتدأ منه المعراج ويعظمون كذلك مجموعة كبيرة من المساجد التى بناها المسلمون عبر التاريخ وبخاصة مسجد عمر بن الخطاب.

كلمة عن تاريخ بيت المقدس:

وقد بَنَى اليبوسيون وهم بطن من العرب الكنعانيين هذه المدينة حوالى ألفى سنة ق. م وأطلقوا عليها أور سالم نسبةً لأحد ملوكهم، ثم سميت يبوس باسم هذا البطن العربى.

وعندما استولى عليها داود بعد ذلك بحوالى ألف عام سميت أورسليم أو أورشليم وانقسمت المملكة العبرية بعد سليمان بن داود سنة ٩٣٥ ق. م إلي مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها سامرا ومملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم، وسقطت مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق. م على يد سرجون الثانى ملك آشور ثم سقطت مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق. م على يد نيوخذ نصر، وانتهى بذلك ملك اليهود فى فلسطين كلها، فعهد اليهود بفلسطين يبدأ من عهد ١٠٠٠ ق. م إلى ٧٢١ و ٥٨٦ ق. م.

وفتح المسلمون فلسطين سنة ٦٣٨ م ولم يكن بالقدس يهودى واحد، وقد ساعدت بريطانيا اليهود ليعودوا إلى فلسطين وليحتلوا القدس (اقرأ كتاب اليهودية للمؤلف)

٥ - الوحدة الإسلامية لا القوميات :

ولنعد بمزيد من الشرح للقوميات الخاصة، فنتذكر أن عبد الناصر كان ينادى بالقومية العربية، ولكنه فى نفس الوقت هاجم أكثر الملوك العرب والرؤساء شر هجوم، ونعتهم بأحط النعوت، ومات وقد خلق أكثر من صدع فى هذا العالم العربى الذى كان ينادى فى الظاهر بالوحدة بين دوله.

ولم تقنع بعض الأصوات العربية بما يسمى القومية العربية فاخترعت تمزيقا آخر أسمته (البعث) ولم نر من هذا البعث إلا صور الدماء والفناء.

والجيوش الإسلامية التى قهرت أعظم امبراطوريتين فى العصور الوسطى، هذه الجيوش كانت تضم أشتاتا من رجال القبائل التى كانت متنافرة، فلما اتفقت حققت النصر العظيم.

وعلى هذا يجب أن نكوّن من جماعاتنا وشراذمنا قوةً واحدة متعاونة وستكون هذه القوة محطاً آمال الجميع، ولايتنافى أبدا أن يكون الإنسان مصريا مثلا حققت جذوره الفرعونية كثيرا من الأمجاد في ميادين العلم والثقافة والفن، لايتنافى هذا مع المجد الإسلامى الأشمل، فلكل بلد من بلاد الإسلام مجدُها وحضارتها القديمة، ولكن الأحداث قضت على هذه الحضارات، ولم يُعدها للحياة إلا الإسلام الذى أزال عن الحضارات القديمة غبار الزمان، وقدّم إلى جانب ذلك حضارة إسلامية تدعو للفخر والاعتزاز، واعتقادى أن القوميات المختلفة كالأنهار الصغيرة التى صبّتْ فى نهر فسيح خالد هو الإسلام الذى يبعث الخصب والنماء فى العالم الإسلامى كله أو في المجتمع البشرى جميعه.

ومن عيوب القوميات أنها تفرض مصلحتها على حساب القيّم وحساب الآخرين، وذلك لايتقبله الفكر الإسلامى الذى يرعى القيمَ من جانب والعدالة من جانب آخر.

أوزبكستان . . والشيشان والبوسنة والهرسك :

وفى عملية توطيد الوحدة الإسلامية وإقامة بنيانها يجب ألا ننسى جماعات إسلامية كبيرة ذات ماض عريق فى الإسلام انفلتت من جحيم الاتحاد السوفيتى أو تحاول أن تنفلت منه، وذلك يشمل أوزبكستان وتركمانستان وقازاخستان وغيرها من الدول التى خرجت من هذا النطاق الحديدى الملحد، كما يشمل هذه الدولة المجاهدة التى تتحدى مع حجمها الصغير ملايين الاتحاد الروسى وهى الشيشان، وينبغى كذلك ألا ننسى أن نمدَّ خيوط الود إلى البوسنة والهرسك تلك الدولة التى أظهرت فى مواجهة الصرب ولاتزال تظهر ضروبا من البطولات غير هيابة ولامترددة.

والوحدة الإسلامية التى تنادى بها لها دعامتان :

الدعامة الأولى : أن تكون شاملة فلا تبقى دولة عربية خارج نطاقها.

الدعامة الثانية : تحديد مفهوم هذه الوحدة بحيث تلتزم كل الدول الإسلامية بالخضوع لهذا المفهوم، فلا هرولة ولاتطبيع علاقات سياسية . . إلا بموافقة صريحة من قيادة الوحدة، وتؤخذ الأصوات بالأغلبية المطلقة أو بأغلبية الثلثين، ويخضع الجميع لهذه القرارات.

ويقرر الباحثون أن العرب ضنوا بالمال على إعلان دمشق فمات، وكان موته موتا للوحدة العربية ولأمل العرب، وموت الوحدة سلاح تستعمله إسرائيل لصالحها .

وبعد موت إعلان دمشق أصبحت العلاقة بين بعض الدول العربية وإسرائيل أقوى من العلاقة بين العرب بعضهم والبعض .

الوحدة الإسلامية تضمن التكامل الاقتصادى :

العالم الإسلامى في مواقعه الجغرافية المختلفة به كل العناصر التى يحتاجها الإنسان ، وعندما تتم الوحدة ستنبثق عطايا الله لهذا العالم أكثر مما

نشاهده اليوم ، ففى هذا العالم الإسلامى مناطق فسيحة لزراعة الحبوب لا أقول لتكفى العالم الإسلامى ، بل توفر فائضا كبيرا ، وفى هذا العالم فيض من النفط والغاز يجلب للعالم الإسلامى الكثير من العملات الصعبة ، وفى العالم الإسلامى سيل المطاط والتوابل والأخشاب ، ومناجم من القصدير .

وتنتج مصر أجود أنواع القطن ، وفى جبال إيران ثروة واسعة من معدنى النحاس والحديد ، وفى تركيا يوجد خام الحديد بكميات كبيرة .

والعالم الإسلامى به الجو الجميل والمطر الغزير والأشجار الضخمة والأيدى العاملة الميسورة والثقافة الرفيعة والعلاقات الإنسانية السامية والتاريخ المجديد .

ويسيطر العالم الإسلامى على أخطر الممرات المائية فى العالم ، ففيه قناة السويس والبوسفور والدردنيل ومضيق جبل طارق ومضيق ملقا وباب المندب ومضيق هرمز .

وفى كلمة قصيرة نقرر أن الوحدة الإسلامية ستضمن تكاملا فى كل مجالات الحياة ، بالإضافة إلى السيادة السياسية التى لن تتحقق إلا بالوحدة .

٦ - وحدة المسلمين بأوربا وبالولايات المتحدة :

وبمناسبة الحديث عن التجمُّع والتآلف الذى ننادي به بين الدول الإسلامية بعضها والبعض ، هناك نداء آخر بالتآلف والتجمُّع بين المسلمين فى أوربا وفى الولايات المتحدة ، ولاشك أن مسلمي أوربا سيكوِّنون جبهةً قوية لو اتحدوا وتعاونوا ، ومن الواضح أن قوة آل الفايد بانجلترا هزَّت غطرسة أعداء العرب والإسلام فما بالك لو تجمع مع آل الفايد جماهير المسلمين بالمملكة المتحدة!! ومثل ذلك يقال عن المسلمين بالولايات

المتحدة، والمسلمون فى كلا الجهتين فيهم قمم وعباقرة وأصحاب أموال ومراكز، ومن هنا فإن تجمعهم سيحقق لهم كيانا عاليا فى المواطن التى يعيشون بها، و سيكون هذا التجمع ذخيرة هائلة ومددا عظيما للتجمع الإسلامى، وعلى المسلمين أن يَمدُّا هذا التجمع بالكتب والدعاة، ويقال ان المسلمين بالولايات المتحدة أكثر عددا من اليهود هناك، ولكن التفكك هو الذى يقلل من شأنهم، ومن حقنا أن نتوقع الخير الكثير من تجمع وتآلف المسلمين فى أوربا وفى الولايات المتحدة.

ولعل هذا الصوت يصل إليهم، ولعلهم يستجيبون له، ولست فى حاجة لأذكرٌ كل مسلم بأن رباط الدين أقوى وأعمق من رباط الجنس واللون والوطن، فالإسلام دين ووطن لكل معتنقيه، وهو بين جميع المسلمين ميثاق متين، وعندما يكون هناك تجمع موحّد فى أوربا والولايات المتحدة يجب أن نقيم علاقات قوية بين التجمع الإسلامى فى الشرق وهذا التجمع الجديد فى الغرب، وللأسف الشديد تتوزع قوى المسلمين فى أوربا وفى الولايات المتحدة بين كثير من الاتجاهات والمذاهب الإسلامية، ونتمنى أن يتناسى المسلمون هذه المذاهب فى موطنهم الجديد بالغرب، وأن يلتفوا جميعا حول فكرة واحدة هي الإسلام.

٧ - ضرورة مهاجمة الدكتاتورية الظاهرة والمقنعة :

وعلى المسلمين أن يقضوا على الدكتاتورية الظاهرة والخفية فقد قدّم الإسلام الشورى للمجتمع البشرى، وكان النداء بالشورى أول نداء فى هذا المجال سمعته البشرية، والعجيب أن العالم التقط هذا النداء وتمسك به وطوّره، وفى نفس الوقت تخلّى عنه المسلمون فى أكثر البلاد الإسلامية.

٨ - القضاء على الاختلالات الاجتماعية :

ومع التخلص من الديكتاتورية فى البلاد الإسلامية، تلك التى زرعها الغرب يجب أن نتخلص أيضا من الاختلالات الاجتماعية وهى أيضا من صنع الغرب الذى منح ثراء واسعا لأتباعه ورموزه وحَرَمَ الآخرين.

والإسلام يرفض الغنى الذى جاء بطريق غير شرعى، ويحارب الإسلام الفقر، وكان الرسول محمد ﷺ يقول : أعوذ بالله من الكفر والفقر، فسئل : أتعدل الكفر بالفقر يارسول الله، فقال : نعم (النسائى : باب الجهاد) وبعض المسلمون يمتلكون المليارات وبعض المسلمين يعانون الحاجة.

٩ - عدل الحاكم عبادة :

ويرى الإسلام أن الحاكم العادل يؤدّى بذلك نوعا من العبادة يقرِّب الحاكم من ربه، والحكْم الجائر يُبْعد الحاكمَ عن ربه، ويُنزل عليه سخط الخالق والمخلوق، وكما يتحتّم علىَ الإنسان أن يُخلص فى عبادته، فكذلك يتحتم عليه أن يُخلص فى الحكم لو أسند إليه، وألا يجعله غنيمة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إن للناس نفرةً من زعمائهم، وأعوذ بالله أن تدركني هذه النفرة، وكل حاكم يستطيع أن يتعرف على مدى هذه النفرة، بأن يُجْرىَ انتخابا حرا كذلك الذى أجراه تشرشل بعد جهوده فى الحرب العالمية الثانية أو أجراه بوش بعد نجاحه فى معركة الخليج، فوجدوا نفرة من الناس، فقد قال البريطانيون عن تشرشل إن النجاح كان بأيدى الشعب وتضحياته فى الميادين العسكرية، وفى تحمله للحرمان، وقال الأمريكيون أن بوش أوشك أن يغترَّ بالنجاح ولانحب أن يحكمنا حاكم مغرور، وهكذا، وأُشهد الله أن كثيرين من حكام المسلمين قد نفرت الشعوب منهم، والنفرة تتبعها لعنة فى الحياة وبَعْد الحياة، فلعل الحكام المسلمين يعتبرون بكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعندما يطغى الحاكم سيعُم الطغيانُ المجتمع ويتحمل الحاكم وزر الذين قلدوه فى سلوكه، يقول الإمام الماوردى(١) :

السلطان إمام متبوع وسيرته دين مشروع، فإن ظلم لم يعدل أحد، وأن عدل لم يجسر أحد على الظلم.

ونضيف أن الحاكم إذا أخذ مكانه بانتخاب مزوّر فإنه لن يستطيع أن يمنع التزوير فى انتخابات الأعضاء للمجالس المختلفة، وعلى هذا فإن سلوك الملوك والرؤساء سيصبح نموذجا لسلوك ولاتهم، وستصبغُ ميولهم وأخلاقهم، فهو المسئول الأول عن كل ما يحدث بالبلاد، لأن كل مايحدث انعكاس لتصرفاته.

والحاكم الذى تزوّر الحكومة لنجاحه يتغاضى هو أيضا عن انحرافات هذه الحكومة، ولهذا فلماذا سكت رئيس مصر عن حكومة عاطف صدقى التى اقترضت المليارات وتحملت فوائدها دون أن تستعملها، وظل ذلك عدة سنوات كما ذكرت أخبار اليوم فى عددها الصادر بتاريخ ٣/ ٢/ ١٩٩٦، ولم يحاسب أحد عاطف صدقى ولا حكومته على ذلك.

وقد صَرَخ الدكتور زكريا عزمى منددًا بهذا التصرف صرخةً دونتها أخبار اليوم فى نفس العدد قال فيها: إن تحمُّل الدولة فوائد تأخير القروض وعدم الاستفادة بها ومن المعدات والآلات التى نشتريها بهذه القروض هى نفس ملاحظات الأعوام السابقة وكأننا ننفخ فى قربة مقطوعة.

وقد نشرت أخبار اليوم وهى صحيفة حكومية خبرا من هذا النوع عن الاستهانة بالقروض والمنح التى تكبِّلنا وتجعل منا عبيدًا للمانحين ولاتستفيد منها البلاد، وإنما تتبخر عند ذوى السلطة، قالت أخبار اليوم فى عددها بتاريخ ٢٤/ ٢/ ١٩٩٦ :

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٠

هذا الموضوع يثير نقطة مهمة . . وهى أن هناك كثيرا من المنح تحصل عليها مصر بالملايين ويتم موافقة مجلس الشعب عليها . . ثم ينتهى الأمر عند ذلك . . فلا يراقب المجلس كيفية إنفاق هذه المنح . . ولامدى استفادة مصر منها، ولم يعد سراً أن كثيرا من أموال هذه المنح أصبحت تذهب فى صورة مصروفات على شكل مكافآت وحوافز مجزية للعاملين . . . وسيارات فاخرة للخبراء والمشرفين وأحيانا علي تأجير أو شراء مكاتب (شيك) فى الأحياء الراقية وعلى عمولات مستترة، وفى النهاية تتبخر المنحة . . ولايتبقي للمشروع الأصلى إلا الملاليم!

١٠ - القضاء على العلمانية :

ومع القضاء على الديكتاتورية يجب القضاء على ربيبتها العلمانية كما ذكرنا من قبل، وتهدف العلمانية إلى إبعاد المتدينين عن الحكم والإدارة، ونرى أنه مادام العالم الإسلامى يجيد ماتستلزمه الوزارة التى سيتولاها، فليس من العدل أنْ تمنعه من ذلك لمجرد معرفته بالفكر الإسلامى، والعلمانية فى الحقيقة جاهلة بأصول الفكر الإسلامى، وتعتقد أن رجال الدين الإسلامى لهم من السلطات مثل ماكان للكنيسة فى العصور الوسطى، وأنهم سيحاربون العلم كما كانت الكنيسة تفعل، وسيُصدرون صكوك غفران وقرارات حرمان، وهذه المزاعم بعيدة كل البعد عن المسلمين.

فالإسلام يرعى العلم، ويحث عليه، ويرفع شأن العلماء فى أى فرع من فروع المعرفة، والآيات القرآنية والأحاديث التى ترفع من شأن العلم وأهله كثيرة، قال تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون» (سورة الزمر : ٩).

وقال تعالى : «ربى زدنى علما» (طه ١٢٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء» (البخارى - باب العلم) .

وقال عليه الصلاة والسلام : «العلماء ورثة الأنبياء» (البخارى - باب العلم).

والعلم فى الإسلام ليس العلم الدينى فحسب، بل كل علم ينفع الناس[1] ويدخل فى ذلك الطب والهندسة والفلك وغيرها، وعندما يقول الله تعالى : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» فإن هذا معناه التزام المسلمين بتصنيع وسائل الدعوة كالميكروفونات والمطابع والورق وهكذا .

١١ - القضاء على الإرهاب :

وعلى المسلمين أن تتكاتف قواهم لمقاومة العنف والإرهاب فالإسلام دين الأمن وحماية الدم والعرض والمال كما ذكرنا من قبل ، وقد قرر أقسى عقوبة على المعتدين من قتلة أو لصوص أو قطاع طرق . . والإرهابيون يدخلون فى نطاق قطاع الطرق الذين قرر القرآن الكريم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، حسب مدى جريرتهم .

والإسلام دين سلام ومن آيات القرآن الكريم الأولى قوله تعالى : «ادخلوا فى السلم كافة» (البقرة : ٢٠٨) . وقد علّمنا العالَمَ أن الإسلام ليس إرهابا ، وكان المسجد مصدر نور ومعرفة ، وليس كالكنيسة فى العصور الوسطى التى كانت مصدر إرهاب وعقاب ، ومحاربة للعلم وآله ، إذ استَعْمَلَت الحرق والقتل ، فأمرتْ بإحراق يوحنا هوس وجيروم وأحرقت كتب أبيلارد وسُجن حتى الوفاة ، ومن وسائل مقاومة الإرهاب القضاء على البطالة تماما ، فالبطالة هى البذرة التى تنبت المخدرات والعصابات والجرائم .

ويجب أن نقضي على الخرافة التى تزعم خطر العالم الإسلامى على المدنيَّة الغربية ، فالعالم الإسلامى عالم الود والتعاون ، ويكفيه أن يرد

---

(١) اقرأ «مع القرآن الكريم» للمؤلف ص ٧٧ ومابعدها .

الهجوم إذا هوجم، وقد خلقت إسرائيل هذه الفكرة ضد العالم الإسلامى بدون دليل ولا برهان، ولكن الولايات المتحدة لاتحتاج من إسرائيل دليلا ولابرهانا، فإذا قالت إسرائيل أيَّدتها الولايات المتحدة وخضع الغرب كله، وليس صعبا أن نعمل لنزيل هذه الغشاوة عن عيون الغرب، وذلك باتجاهنا المتحمس للكدح والعمل والقضاء على أى مظهر من مظاهر الإرهاب.

لقد عاشت إسرائيل حياتها كلها على الإرهاب وسلب حقوق الآخرين، استعملت هذا السلاح ضد الغرب وضد الإنجليز قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ وضد وسيط الأمم المتحدة، ثم تنسب لنا صفة بارزة من صفاتها.

١٢ - القضاء على التبشير والتنصير والروتارى والليونز:

ومع إيقاف العلمانية والإرهاب يجب أن نوقف التبشير والتنصير الذى جاء للبلاد الإسلامية مع الاستشراق ومع الاستعمار فلم يعد في البلاد الإسلامية مكان لهذا الهراء والتضليل، ويدخل فى هذا النطاق قفل أبواب الماسونية واتباعها المسماة: الروتارى والليونز، فليست هذه المؤسسات إلا محالات صهيونية للتضليل وغرس الخيانات فى نفوس البسطاء والمخدوعين[1]»، وقد جاءت هذه المؤسسات للعالم الإسلامي بعد فشل الحروب الصليبية، فما صعب عليهم أن يحصلوا عليه عن طريق الحرب أرادوا أن يحصلوا عليه عن طريق هذه المؤسسات، ومما يذكر عن نشاط التنصير ما أوردته الإحصائيات الرسمية من أن مجموع التبرعات التى دفعت لأغراض كنسية كانت سنة ١٩٨٩ مبلغ ١٥١ مليارا من الدولارات الأمريكية وإن عدد المجلات والدوريات والنشرات التى تخدم التنصير والتبشير وصلت إلى ٢٢٧٠٠ من المطبوعات، وقد وزعت من الأناجيل خلال هذه السنة ٧٢ مليون و ٥٥٢ ألف نسخة[2].

---

(١) اقرأ عنها بعض التفاصيل فى كتاب اليهودية للمؤلف.

(٢) نقلا عن منهاج الداعية ص ٥٣

وتوضح التعليمات التى يتبعها المبشرون أن تنصير المسلم عمل شاق، ويكفى زعزعة فكره الدينى بشبهات وحيل متعددة، فإذا وصل المبشر أو مؤسسات الروتارى والليونز لهذا المدى فقد حققته هدفا جيدا.

١٣ - حقوق الأقليات الدينية والعرقية بالعالم الإسلامى :

ونقطة مهمة يجب أن ينتبه لها المسلمون وهى احترام الأقليات الدينية والعرقية إلى أبعد الحدود، فالدين لله سبحانه وتعالى أما الوطن فللجميع، وقد انطلقت آيات كثيرة من القرآن الكريم تقرر هذا المعنى قال تعالى : **«لكم دينكم ولى دين»** (الكافرون : ٦) وقال : **«فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»** (الغاشية : ٢١)

وقد وقع المسيحيون فى أحط الدرجات عندما أقاموا محاكم التفتيش وحاولوا إرغام الناس على دخول المسيحية.

ويجب أن نثبت بمزيد من الفخر أن مسلمى مصر ثبتت عندهم فكرة حرية الأديان وهم يتعايشون مع الأقباط بكل المودة والتعاون، يحدث هذا فى المدرسة والجامعة والمجتمع ويسكن فى بيتنا أسرة قبطية تربطنا بها روابط ود وإخلاص عميقين.

ومايقال عن الأقليات الدينية يقال كذلك عن الأقليات العرقية، وكل مسلم يحس بالمرارة عندما تنزل تركيا أو العراق صورا من الظلم أو التنكيل بالأكراد ولنتذكر العملاق الكردى صلاح الدين الأيوبى الذى نفخر بسيرته وجهوده فى كل البلدان الإسلامية.

الفقهاء المسلمون وقضايا الديكتاتورية والانتخابات المزّورة :

وقبل أن نترك هذه الموضوعات التى أوردناها بإيجاز لإصلاح حالنا نقتبس سطورا قليلة من عالمنا الكبير الشيخ محمد الغزالى يتحدث فيها عن نفس القضايا بالكثير من الوضوح والبيان قال فضيلته فى كتابه الصغير «نظرة

على واقعنا الإسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى» (ص ٢٥ وص ٥٥ ومابعدها) :

«إن تزوير الانتخابات خيانة عظمى، والذين يأتون الحكم عن طريق التزوير هم طاعون يغتال الكفايات والأمانات»

والنائب عن الدائرة أو الأمة يتقاضى مرتبا عاليا نظير عمله، ويأخذ مكافآت عن حضور الجلسات العامة وعن جلسات اللجان، ويأخذ مزايا أخرى كثيرة كاستعمال فندق المجلس والاستمتاع ببعض الرحلات والامتيازات، وإذا جاء هذا الرجل إلى المجلس نتيجة تزوير فإن كل هذه الأموال حرام عليه ويعد سارقا لها، وينبغى أن يحاسب عليها.

«وأنى والله في شك فى إسلام عدد كبير من حكام المسلمين، بل فى إسلام عدد كبير ممن حملوا ألقابا دينية لها رنين وبريق، وأعتقد أن بقاء الكفر في الأرض والزيغ في شتى الأفئدة يرجع إلى مسلك أولئك الذين لوثوا تاريخنا، ولقد فزعت وأنا أرى كبيرا من رجال الدين يصفق كصبي طائش لأحد الحكام.

«والذي يسرق الرغيف يسجن والذى يسرق المخبز ينجو، وهناك لصوص لايتهمون ولايقدمون للعدالة لأن لهم مناصب مهيبة وألقابا طنانة، سرقوا شعوبهم جهرة، ونمت لهم ثروات طائلة، ولاتوجه لهم تهمة.

«سبقتنا أوربا إلى تقليم أظافر حكامها فقتلت بعضهم فى ثورات حانقة، ووضعت دساتير دقيقة لضبط مسالك الباقين حتى صار الحكم هناك خدمة عامة يختار لها الأكفاء، أما الشرق الإسلامى فإن الفساد السياسى إستفحل فى أكثر ربوعه.

«إن كل المصائب التى تحيق بالعرب الآن سببها هزيمتهم سنة ١٩٦٧ والغريب أن صانع هذه الهزيمة أو بطلها الفذ لم يُوجَّه له لوم أو ينسب له عيب ! (بل له الآن حزب لايخجل أن يُنْسَب إليه)

«ان الحكم الفردى عظيم المهارة في التحريف والتزييف والنجاة من الشبهات.

«وان حكم الديكتاتور عبد الناصر ترتب عليه حدوث أربعة حروب هي حرب سنة ٥٦، ٦٧، ٧٣ وحرب اليمن الطويلة، وكل هذه الحروب نشأت عن تأميم القناة بدون وعى فجلبت على مصر الخسائر والديون التى تنوء بحملها الأجيال»

وأحد ضباط عبد الناصر مات فى لندن فوجدوا فى مسكنه مليون جنيه استرلينى نقدا غير الجواهر وغير مافى البنوك، لقد سرقت الديكتاتورية أمال البلاد وكل حقوقها.

١٤ - ترتيب البيت الإسلامى :

إن البيت الإسلامى الخاص (الأسرة) يوشك أن يكون قد تأثر بنظم الحكم فبعُد عن الإسلام؛ فشت فيه الديكتاتورية، وبعُد عن حسن المعاشرة، واختفت فيه حقوق أفراده، وكثرت به البدع، وتقطعت أوصاله، وظهرت به التطلعات التى لاتستند إلى أسس سليمة، فالأب يريد لابنه أرقى درجات العلم غير ناظر إلى مدى كفاءة الابن ومواهبه، والمرأة تنافس النساء الأخريات غير ناظرة إلى مستوى حياة زوجها، والزوج يتصرف دون استشارة آل بيته وهكذا. .

أما البيت الإسلامى الكبير وهو المجتمع فقد خلا أو كاد من روح الإسلام حيث اختفى التعاون وحسن الجوار، والعدالة مع الصديق والعدو

وإصلاح ذات البين، وبر الوالدين، ورعاية اليتيم، والوفاء بالوعد، والعدالة، والمساواة، والعفو، والصبر، وفشت الرشوة، والحسد، والكبر، والسخرية بالآخرين، والغيبة والنميمة . .

وليس ذلك الا لضعف الداعية الإسلامى من جانب ولفساد نظم الحكم ونظم التعليم من جانب آخر، والعجيب أن من أهم اتجاهات العلمانية ألا يسند التعليم إلى قيادات من ذوى الثقافة الدينية حتى لايفسد، كأن التعليم الذى أسند لغير هؤلاء مدى طويلا لم يفسد بعد، وكأن العلمانيين لايرون ولايسمعون بمدى انحطاط التعليم عندما أسند لغير ذوى الثقافات الإسلامية.

ونحن فى حاجة ماسة لإعادة ترتيب البيت الإسلامى الخاص (الأسرة) والعام (المجتمع) لنعيد علاقة وثيقة بين هذا البيت وبين الإسلام، فإن العلاقة قد انفصمت، وأصبح أثر ذلك خطرا على المجتمع الإسلامى.

كانت تلك هى أهم الوسائل التى يجب أن نحققها لمجتمعنا الإسلامى ليستأنف جهوده فى مجال الحضارة المادية، حتى يحقق آمالنا فى الوصول إلى غاية سعيدة.

ونعود مرة أخرى لنكرر ونقرر ضرورة عودة اليقظة للحضارة المادية واستعادة أمجاد المسلمين فيها، ولن يفلح المجتمع الإنسانى إلا بحضارة تخدم البشر وتساعد على رفعة شأن الإنسان، نريد حضارة خيِّرة لا حضارة شريرة مهلكة، كتلك الحضارة الغربية التى روَّعت الإنسان وأهلكته أو تركته خائفا مذعورا من احتمال الهلاك، فالحضارة الغربية جعلت العالم يعيش فى رعب.

والطريق لحضارة البناء أن ينمو العلم فى بيئة تعرف الدين والأخلاق حتى يعمل العقل منطلقا حرا إلا من قيد الإيمان وقيد الأخلاق، وهذه البيئة

هى البيئة الإسلامية، وقد آن للمسلمين بعد أن تحرروا سياسيا أن يسيروا فى نضالهم العلمى، وأن يأخذوا دورهم فى الاختراع والابتكار والصناعة.

وليفطن المسلمون إلى حقيقة مهمة هى أن ماحصلوا عليه من حرية واستقلال سيضيع ويَفنى إذا لم يحرسه المسلمون بالتقدم العلمى والتقدم الاقتصادى أو قل الاستقلال الاقتصادى.

وهذا هو دورنا في الحضارة التجريبية، أن نستأنف النشاط الذى برَّز فيه أجدادنا وحققوا فيه تقدما هائلا اعترف به العدو والصديق، فالحضارة التجريبية ليست بعيدة عنا، وليست مجالا خارج مواهبنا، وكل مانريده أن نستأنف هذا النشاط فى جو من الحرية والديمقراطية الحقيقية، وبذلك نحقق لمجتمعنا وللمجتمع البشرى حياة أزهى وأنضر.

ولاشك أننا ونحن نسعى لإعادة الحياة للحضارة المادية فى بلادنا - نجدنا محتاجين إلى عون مَنْ سبقونا في هذا المجال، وأغلب الظن أن الغرب سيضنُّ علينا بخبراته وتفوقه، ولذلك ينبغى أن نتوقع عونا من الجهات المتفوقة والتى لاتبخل بالعون كالصين واليابان، ومن المعروف أن اليابان مدت لنا يد العون فى إعادة بناء (الأوبرا) وأنها تعمل على تنشيط الجهود الاقتصادية مع الدول الآسيوية، وللصين كذلك مظاهر عون واسع مع الدول الإسلامية، فهى التى بنت قاعة المؤتمرات بمصر وبنت نظيرا له شامخا فى السودان، فمن حق الصين واليابان أن نشكرهما وأن نوثق العلاقات بينهما وبين العالم الإسلامى وبخاصة خلال فترة الكدح التى نحاول فيها استعادة كياننا فى العلوم التجريبية، وهذا مافعلته ماليزيا فقد طلبت العون من الغرب فضَّن عليها فاتجهت لليابان ففتحت اليابان لها أبواب المعرفة.

محاولة التسرب إلى تفكيك قوى الغرب :

وينبغى ألا نظن أن قوى الغرب متراصةً وقوية البنيان، لا ، فالمنافسة بين دول الغرب موجودة وعنيدة، ومن الممكن أن نضرب على هذا الوتر، وأن نوثّق صلاتنا ببعض دول الغرب التى يضعف فيها النفوذ اليهودى، وإذا استطعنا أن نجذب بعضها إلى جانبنا، نعطيها ونأخذ منها فإن نصرنا سيكون أكيدا إن شاء الله ، وكما فرقت الولايات المتحدة الدول العربية وباعدت بين بعضها والبعض الآخر فيجب أن نحاول التفريق بين دول الغرب، وليست العلاقات بينها أقوى من العلاقات بين دول العالم العربى، ومن دول الغرب من تفتح لنا الآفاق، وماعلينا إلا أن نحاول بإصرار الخروج من سيطرة الولايات المتحدة، وان كانت الحاجة الاقتصادية تشد مصر إلى الولايات المتحدة، فهناك دول عربية لاتحتاج إلى أى عون اقتصادى خارجى .

٢ - الحضارة الإسلامية الأصلية

مقدمة : بعد الكلام عن الحضارة التجريبية يجئ الدور للكلام عن الحضارة الإسلامية الأصيلة .

وإذا كان عيبُ المسلمين بالنسبة للحضارة المادية هو عدم مواصلة الجهد لخدمتها، فإن عيبهم بالنسبة للحضارة الأصيلة أبشع وأفظع، إنه إهمالها تماما أو قل الجهل بها، وتعبير «الحضارة الإسلامية» محبب للنفوس ولكن معرفتهم بحقيقتها ضئيلة أو نادرة، ولقد سألنى أستاذ بشىء من الاستنكار قائلا : ماهى الحضارة الإسلامية؟ أليست هى التاريخ الإسلامى وفزعت من السؤال ومن الإجابة من إنسان المفروض أنه عالى الثقافة فى مثل هذه الشئون، وليس هذا فحسب فالحضارة الإسلامية ليس لها نصيب يذكر في الكليات الإسلامية، فهى فى كلية دار العلوم مثلا لها ساعة واحدة في الفرقة الرابعة فقط ولا وجود لها فى الفرق الأخرى فى حين يوجد للنحو والصرف والعروض وجود واسع فى جميع الفرق الدراسية .

وتواجهنى كتب كثيرة عنوانها «الحضارة الإسلامية» أو «الحضارة العربية الإسلامية» وأسارع وألتقطها وأحرص على تصفحها بسرعة وهيهات أن أجد بها أى ذكر للحضارة الإسلامية الأصيلة، فكل ماتهتم به هو جهود المسلمين فى خدمة الطب والرياضة والفلك والبصريات والعمارة، وهذه فقط جوانب من الحضارة المادية التجريبية، بل يمكن القول إن هذه الحضارة هى حضارة المسلمين وجهدهم، أما الحضارة الأوسع فائدة والتى جاءت من عند الله سبحانه وتعالى، ووصلتنا عن طريق القرآن الكريم أو السنة المطهرة فلا ذكر لها على الإطلاق مع أنها هى الحضارة الإسلامية المهمة التى نفخر بها والتى لا يزال زمامها فى أيدينا، أمّا الحضارة المادية التجريبية فقد أفلت

منا زمام أمرها والتقطها الغرب وسار في مجالها مسيرة طويلة، ولم يعد لنا منها إلا الذكرى يوم كان للمسلمين دور فى رعايتها.

ولقد تعرفتُ على هذه الحضارة الإسلامية الأصيلة ليس عن طريق الكتب التى كتبها العرب، بل عن طريق ماكتبه الغربيون، فمنهم من التقط فحوى هذه الحضارة وأنها غير الحضارة المادية التجريبية. وأنها ليست من صنع العرب الأقدمين، ولا من إبداع الفراعنة، ولا من اليونان وغيرهم، وإنما هى منحة السماء لسكان الأرض، فلقد ورد فيما كتبه الغربيون كلماتٌ قصيرة ولكنها تدل على إدراكهم لهذه الحضارة، وذلك ككلام غوستاف لوبون عن أخلاق الفروسية عند المسلمين، وكلامه عن حقوق المرأة، وتحرير العبيد، ومثل كلام إمرتون عما شاهده الصليبيون لدى المسلمين فى الشام ومصر من إنسانية عالية وشرف وشجاعة ووفاء بالوعد وغير ذلك من الصفات التي لم يكونوا يسمعون بها، ومثل كلام أرنولد توينبى عن التسامح الدينى والاتجاهات الإنسانية لدى المسلمين، وقول بروفيسور شريف الهندى المسلم : ومن الينابيع الفكرية الإسلامية تلك النظم التى وضع الإسلام بذورها إذ رسم للمسلمين أخلاقا جديدة وشرع لهم فقها جديدا كذلك، وقدَّم لهم نظريات سياسية واقتصادية وفلسفية حديثة، فجعل الطابع الجديد للأخلاق أن تكون عملية، وللسياسة أن تكون ديمقراطية، وللفلسفة أن يكون التوحيد أساسها، كما فرض الدِّينَ الإسلاميَّ دينا عاما لجميع البشر.

وعندما التحقتُ بجامعة كمبردج اقترح القائمون بالأمر هناك أن يكون موضوع دراستى لدرجة الدكتوراة هو «التربية الإسلامية»
History of Muslim Education

وكل هذه التلميحات أوحت لى بهذا النوع المهمل فى دراسة الحضارة الإسلامية، وعقدتُ العزم على ملء هذا الفراغ، وأثمرت نتيجة جهودى «موسوعة الحضارة الإسلامية» التى تتكون من عشرة أجزاء، يتحدث الجزء الأول والثانى منها عن الحضارة التجريبية، ثم يتحدث كل جزء من الأجزاء الأخرى عن جانب من جوانب الحضارة الإسلامية الأصيلة كعطاء الإسلام فى مجال السياسة، أو الاقتصاد، أو التربية، أو الحياة الاجتماعية، أو العلاقات الدولية، وبهذا الجهد اكتملت الحضارة الإسلامية بجانبيها : المادية والأصلية.

غير أننى فى هذا الكتاب أرى أن جديدا يجب أن ينضم إلى مادونتُه فى تلك الموسوعة.

وقبل أن نسير مع جوانب الحضارة الإسلامية الأصيلة ونضيف إليها الجديد، قبل ذلك نقرر بحق أن الحضارة الإسلامية نموذج راق عاش وحقق نجاحا عظيما، ويمكن أن يمتدَّ ويتجدد نفعه، بخلاف الحضارة الغربية التى أسالت الدماء وأثارت الفزع عندما كان لها السبق في المجتمع البشرى.

والآن نعود إلى جوانب الحضارة الإسلامية الأصلية بالمزيد من الشرح والبيان.

فى مجال العقيدة

الإسلام واضح وحاسم فى مجال العقيدة، إذ أن البشرية قبل الإسلام، لم تستطع أن تقبل الوحدانية وأن تثبت عليها، فألّهت الشعوبُ الأنبياءَ والصالحين، بل ألّهت الأحجار والأصنام والكواكب، وجاءت رسالات الله تعالى بالتوحيد، ولكن هذه الرسالات رُفضت أحيانا كرسالة نوح وصالح . . أو حُرِّفت كاليهودية إذ قال اليهود بإله واحد لبنى إسرائيل ولغير بنى إسرائيل آلهتهم، وكالمسيحية التى اتجه أتباعها إلى التثليث ، ومن أجل هذا جاء الإسلام قاطعا فى موضوع الوحدانية وقال بالوحدانية المطلقة التى لاتشوبها شائبة، ودلل عليها أدلة عقلية ونقلية لاتحتمل الشكوك أو التردد .

وأصبح الإيمان بالله الواحد سمةً من سمات الفكر الإسلامى امتاز بها على كل الأديان والأفكار، ومَعْلَما من معالم الهداية يلجأ إليه من يطلب الهداية والرشد، ومن أجل هذا فإن الدكتور روبرت كراين الذى كان كبير مستشار نيكسون عندما سئل : لماذا أسلمتَ ؟

أجاب : إن القول بالوحدانية عند المسلمين هو أهم المبادئ التى جذبتنى للإسلام، فقد كنت فى شبابى على وشك أن أصبح راهبا كاثوليكيا، ولكننى أحسست بعجزى أنْ أشدَّ الناس لدين يؤمن بالتثليث ، إذ كان يقينى ثابت أن الله لايمكن إلا أن يكون واحدا، فلما استمعت للجملة التى يردِّدها المسلم العالم والجاهل وهى «لا إله إلا الله» وجدت فيها ضالتى ودخلت فى هذا الدين [1] .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تتحدث عن وحدانية الله، ولكن لما كان من الممكن أن يقول غير المسلم إن ماورد فى القرآن ليس دليلا مسلَّما به

(١) من خطاب للدكتور روبرت فى مجمع ابى النور بدمشق والخطاب منشور بمجلة صدى الإيمان (العدد الأول) ص ٩ .

لعدم إيمانه بالقرآن . لهذا جاءت فى القرآن الكريم آيات عن وحدانية الله ولكن فى صيغة عقلية ، ومن ذلك قوله تعالى : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (سورة الأنبياء : ٣٢) وقوله : «أفمن يخلق كمن لايخلق» (النحل : ١٧) وقوله : «أتعبدون ماتنحتون» (الصافات : ٩٥)

فالعاقل سواء كان مسلما أو غير مسلم يدرك أن تعدُّد الآلهة ينتج الفساد فى الكون لاحتمال أن يأمر هذا بأمر ويأمر الثانى بأمر آخر .

ثم إن العاقل لايسوى بين الإله الخالق ومن لايخلق ، ولايقبل العقل السليم أن يعمل الإنسان تمثالا من حجر أو خشب ثم يجلس ليعبده ويسجد له[(١)]

والإسلام بذلك يرفض أى مظهر من مظاهر التعدد ، فيرفض عبادة الأولياء وشطحات الصوفية .

(١) هناك دراسات مهمة حول هذا الموضوع ص ٥٠ - ٥١ من كتاب المناهج الإسلامية للمؤلف .

فى مجال السياسة

وأهم مايعنينا فى مجال رأى الإسلام فى السياسة أن نذكر الشورى التى أوجبها الإسلام ووردت بها آيات قرآنية حاسمة، مثل قوله تعالى : «وشاورهم فى الأمر» (المائدة : ٨٥) وهو أمر واجب النفاذ، وقد جاءت هذه الآية بعد مشورة فى غزوة أحد ترتَّب عليها نوع من الهزائم الحربية، فكأنَّ القرآن الكريم يقول للرسول : لاتكن نتيجة الشورى في هذه المرة دافعةً لك لترك المشورة بعد ذلك.

وقال تعالى أيضا : «وأمرهم شورى بينهم» (الشورى : ٣٨) والمتعمق فى فهم كلمات هذه الآية يدرك بسهولة أن معناها هو توجيه من الله سبحانه وتعالى للرسول بأن المشكلات مشكلاتُ الناس، فليكن لهم رأى فى حَلِّها عن طريق الشورى.

والشورى فى الإسلام هى الشورى الحقيقية مع من يَصلُون إلى مستوى المستشارين، وهى مُلزمة مادامت لاتختلف مع نص صريح، فلا اجتهاد ولامشورة مع وجودَ نص صريح، ومما يدل على الالتزام بالشورى أن الرسول ﷺ اتخذ أبابكر وعمر مستشارين له وقال لهما : لو اجتمعتما على رأى ماخالفتكما فيه[1] (مسند أحمد)

وإن الشورى - وبخاصة فى تحديد الحاكم واختياره - ضرورية جدا، وقد اتضحت الشورى، ووُضعت معالمها من عدم تولية الرسول ﷺ خليفة من بعده، وتركه هذا الأمر للمسلمين علي الرغم من أن الرسول كان يحس بقرب نهايته منذ نزلت الآية الكريمة : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة : ٤) وكذلك لم تكن وفاته مفاجأة، فقد مرض وتمرض عند السيدة عائشة عدة أيام[2]

---

(١) انظر كتابنا شبهات المستشرقين ضد الإسلام : مناقشتها وردُّها (موضوع موقف الإسلام من الديمقراطية)

(٢) ابن هشام : السيرة جـ٤ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

وقد وضَّحتُ في كتابى «السياسة فى الفكر الإسلامى» أن أبا بكر تولى بعد مشاورات مؤتمر السقيفة، ولم يكن لأبى بكر منافس، واستشار أبو بكر الصحابة فيمن يخلفه، واختار مَنْ اختاره الناس ، فقد توقع أبو بكر وفاتَه ولم يكن من الممكن أن يترك المسلمين بدون خليفة والحرب دائرة بين المسلمين وبين الفرس والروم، وترك عمر الأمر بدون تعيين خليفة ليرى المسلمون رأيهم فى ذلك، وبعد مقتل عثمان وفدت الوفود وبينها أهل بدر لاختيار على .

وانتكست الشورى بعد الخلفاء الراشدين، ويرى ابن خلدون أن التعيين أصبح ضرورة لخطر نقل الخلافة من الأمويين إلى غيرهم بعد معاوية .

وتبعا لقاعدة تغير الحكم تبعا لتغير الزمان والمكان والظروف التى سنشرحها بعد قليل يجب أن يُختار الحاكم بالانتخاب الفردى ولمدة محدودة كما ارتأى ذلك العقلُ البشريُّ السليم .

مخاطر بسبب الاستبداد :

وقد وقع المسلمون فى كثير من الأخطاء والأخطار لعدم وجود الشورى، فقد أقدم عبد الناصر على تأميم قناة السويس دون أن يستشير أحدا، ولم يعرف نائبه ووزير دفاعه عبد الحكيم عامر خبر إقدامه على هذا العمل إلا وهما فى الطريق إلى الإسكندرية، وقال عامر له : إن هذا العمل سيجر إلى حرب وجيشنا غير مستعد، ولم يتراجع الرجل الذى كان يبحث عن الدعاية لنفسه مهما كانت النتائج

وقامت فعلا حرب ١٩٥٦ بأهوالها، وخسائرها الكثيرة، وتسببت هذه الحرب فى حرب ١٩٦٧ التى انتهت بكوارث وبهزيمة عبد الناصر هزيمة ساحقة، وقد تحدث عبد الناصر عن حرب ١٩٦٧ فقال فى التليفزيون على

(١) ابن هشام : السيرة جـ ٤ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

الملأ : إن الطريق إلى القاهرة كان مفتوحا أمام إسرائيل، ولم يكن هناك جندي واحد يعرقل أي تقدم لإسرائيل وكرر أنه هو المسئول عن ذلك، كما أعلن أرقاما فادحة عن خسارة مصر في هذه المعركة المشئومة، فذكر أن مصر خسرت في هذه الحرب ٨٠٪ من سلاحها.. و ١٠,٠٠٠ جندي و ١٥٠٠ ضابط، وأسرَ ٥٠٠٠ جندي و ٥٠٠ ضابط لم يعد أكثرهم، وتذكر المراجع أن ضحايا هذه الحرب كانت ٣٥,٠٠٠ بين قتيل وجريح قتل أكثرهم، واعترفت إسرائيل سنة ١٩٩٥ بأنها قتلت الأسرى، وقد أشار لذلك عبد الناصر في حديثه السابق عندما تكلم عن الأسرى وذكر أن أكثرهم لم يعد.

وبمناسبة الحديث عن خسائر ١٩٦٧ نذكر نقطتين مهمتين :

١ - حرب اليمن وهي أيضا من مبتكرات عبد الناصر القاتلة، وقد استمرت من عام ١٩٦٢ إلى هزيمة ١٩٦٧ وقد ضحّت فيها مصر بـ ٢٠,٠٠٠ شهيد و ١٠٠,٠٠٠ معوّق وملايين الجنيهات الذهبية المصرية التي كانت تُنفَق كل يوم[1] حتى نضب الرصيد الذهبي بالخزانة المصرية.

ومن ضعف عبقرية هذا القائد أنه كان يحارب في جبهتين : إسرائيل واليمن وكان ذلك من أسباب الهزيمة.

٢ - إن حرب ١٩٦٧ وهزيمتنا فيها استلزمت حرب الاسترداد التي قام بها الرئيس أنور السادات سنة ١٩٧٣ وحصلنا فيها على النصر ولكن بتضحيات جديدة واستدانة لاتزال عبئا على رقابنا.

وبسبب عدم الشورى اجتاحت جيوش صدام حسين رئيس العراق اجتاحت دولة الكويت، ودمرت وسلبت ثم انهارت أمام القوي العالمية التي

(١) اقرأ عن هذه الأحداث الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامي «للمؤلف..» واقرأ (وجيه أبو ذكرى : ذكريات هزيمة يونيو الأخبار ٢٧/ ٥/ ١٩٩٤) والزهور تدفن باليمن.

دمرت العراق وقضت على تقدمه وحاصرته وبالغت فى النكاية به حتى كتابة هذه السطور سنة ١٩٩٦[١]

عدم الشورى وكارثة القطاع العام :

والدكتاتورية في عهد عبد الناصر تجاوزت الأخطار فى المجال السياسى والعسكرى، ومدَّت مثالبها إلى المجال الاقتصادى، فقامت حركة التأميم الجائرة التى حرمت المجتهدين من ثرواتهم، وتركتهم جياعا، ولم تُبْقِ هذه الأموالَ في أنشطتها، بل وكلتها لما سمى «القطاع العام» الذى مثَّل فى مَصر حتى نهاية القرن العشرين دور النشل والسرقات، ونقتبس عنه مما نشرته أخبار اليوم الحكومية فى ١٧/ ٢/ ١٩٩٦ مايلى :

«الأرقام تقول إن عدد شركات القطاع العام هو ٢٩٠ شركة وأن رأسمال هذه الشركات يقدر بـ ٨٨ مليار جنيه بينما الديون المتراكمة عليها خلال السنوات الماضية ٧١ مليار جنيه وإن خسائر تلك الشركات فى العالم الماضى فقط ٢ مليار ونصف المليار جنيه . . !!

ولم تذكر الإحصائيات العبء الكبير الذى تتحمله ميزانية الدولة كل شهر كمرتبات للموظفين والعمال فى تلك الشركات . . والغريب أن معظم تلك الشركات الخاسرة تُوَزِّع على موظفيها أرباحا وحوافز وعلاوات . . !!

إن بيع هذه الشركات إلى القطاع الخاص سيجعلنا نتخلص من التكية التى عانينا منها كثيرا . . ويصبح لها «صاحب» يدير العمل بأسلوب اقتصادي . . ويجعل الموظفين والعمال ينتجون بعد أن ظلوا طويلا يعتبرون مرتباتهم معاشات . . وبذلك تتحول هذه الشركات إلى شركات منتجة ومربحة .

---

(١) اقرأ عن هذه الأحداث (أحداث العراق والكويت للمؤلف)

لقد كان عبد الناصر والديكتاتورية سبب الكوارث على السياسة والاقتصاد والجيش .

الانقلابات العسكرية :

إن العالم الإسلامى كله تقريبا اختفت الشورى الحقيقية منه، وربما ليس هناك انتخاب حقيقى إلا فى الباكستان، ومع هذا فهى مهددة دائما بانقلابات عسكرية ضد الحكم الديمقراطى الذى يجئ نتيجة للشورى، والانقلابات العسكرية بلاء أصيب به الدول الإسلامية ودول العالم الثالث، فالعسكريون لايعرفون الاستقرار، ويستخدمون الأسلحة التى سلمها الشعب لهم لحراسة البلاد، يستخدمونها ليضربوا بها الشعب ويسيطروا عليه ويسلبوا ماله، ويمثل السودان صورة كريهة من هذه الصور، فقد أجرى الفريق سوار الذهب انتخابا حرا، وبمقتضى نتائجه سلَّم السلطة طواعيةً للحكومة التى اختارها الشعب برياسة الصادق المهدى، ولكن انقلابا عسكريا هب كالعاصفة الهوجاء وسلب الحكم بقوة السلاح. والعجيب أن العسكريين فشلوا دائما ولكنهم لجهلهم لا يرتدعون بالفشل بل يحاولون مرة أخرى ومرات، لقد وكلت لهم الشعوب حراستها ولكن هؤلاء العسكريين أغاروا على الشعوب بدل أن يحرسوها، فأصبحوا داء وكنا نرجو أن يكونوا دواء وكان انقلاب يوليو ١٩٥٢ فاتحة هذه الانقلابات .

والديكتاتورية التى يعيش فيها العالم الإسلامى هى سبب المأساة، وعندما يرى الحاكم أنه غير مؤيد من الشعب يرمى نفسه فى أحضان الغرب أو فى أحضان إسرائيل أو فى أحضان العسكريين، وتدور الدائرة على البلاد.

والذى يدَّعى الديمقراطية عليه ليكون صادقا وليعرف نفسه - أن يسند الانتخابات لحكومة محايدة وسيرى أن أتباعه ينافقونه وأنه ليس له مُعين إلا هذه الأفواه الكاذبة .

قضايا جديدة
ترتبط بالنظام السياسى الآن
تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف

ذكرتُ فى كتابى «السياسة فى الفكر الإسلامى» شروط الحاكم المسلم، وشروط أهل الحل والعقد والتزام كلٍّ نحو وطنه ودينه، ولكن جدّت فى الساحة العالمية أوضاع يمكن أن نتبنّاها فهى مكملة للمسيرة الديمقراطية ولاتتنافى مع الفكر الإسلامى، ولامانع من الانتفاع بالأشكال التنظيمية التى يبتكرها العقل البشرى، مادامت لاتتعارض مع الفكر الإسلامى، وهذه الأوضاع فى قمتها البرلمان، والأحزاب، والانتخابات، ومدة الرياسة للرؤساء.

واتّباع هذا الفكر الجديد يتمشى مع قاعدة إسلامية هى مراعاة الزمان والمكان والظروف عند تحديد حكم، فالقرآن الكريم راعى الزمان وظروف الناس فى الزام المسلمين بالمواجهة أو عدم المواجهة تبعا لعدد المسلمين وعدد أعدائهم، قال تعالى : «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا» .

ثم خفف الله سبحانه وتعالى على المسلمين وقال : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين»[1] .

وتبعا لمراعاة الظروف أمر الرسول ﷺ بإحراق نخل بنى النضير ليُضْعف قوتهم التى كانت عاتية ، أما أبو بكر فكان يأمر بعدم المساس بالزرع والشَجر والمبانى ، إذ رأى أن المسلمين أصبحوا من القوة بحيث لايحتاجون لذلك فى مسيرتهم للنصر .

---

(١) سورة الأنفال : (٦٥ - ٦٦)

وفيما يتعلق بموضوع العدد الذى وردت الآيتان الكريمتان عنه، نذكر اتجاهات الفكر الإسلامى فيما يلى ثم نستأنف الكلام عن التغيرات التى طرأت على الحكم تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف :

الفرار أو المواجهة :

هناك رأى يضع مقياسا ماديا للفرار يمثّله ابن عباس الذى يقول : لما نزل قوله تعالى : **«إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين»**[1] كان على الواحد ألا يفر من عشرة وكان الفرار من عشرة فأقل يعد فرارا، أما إذا ولىَّ الواحد من أكثر من عشرة فإنه لايعد فرارا، فلما نزل قوله تعالى : **«الآن خفف الله عليكم وعلم أن فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»**[2] أصبح على الواحد أن يصابر اثنين ، ويقول ابن عباس : من فرَّ من اثنين فقط فر، ومن فر من ثلاثة فلم يفر[3] ، واعتنق ابن رشد مذهب ابن عباس فقرر أن العدد الذى لايجوز الفرار منه هو الضعف[4]

ملاحظة العدد تكون قبل المعركة فقط :

ولكن أكثر الباحثين لايرون هذا الرأى ويبيحون ملاحظة العدد قبل المعركة، أما إذا نَشب القتال فليكن الثبات لنيل إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة، وأوضح دليل على ذلك ماحدث فى غزوة حنين عندما فاجأ مالك بن عوف جيش المسلمين من شعاب الجبال وألقى عليهم وابلا من القذائف وهم يسيرون في الممرات الضيقة التى كانوا يجتازونها قبل أن يستعدوا للقتال، وفى هول المفاجأة انشمر المسلمون راجعين لايلوى أحد منهم على أحد[5] ولكن الرسول وقف كالطود الشامخ لايعرف الفرار ولا الهرب ووقف معه جماعة من المهاجرين والأنصار وصمدوا للعدوِّ محاربين حتى

---

(١) سورة الأنفال : ٥٦ .
(٢) سورة الأنفال : ٦٦
(٣) الشوكانى : نيل الأوطار جـ٧ ص ١٥٢ - ١٥٣
(٤) بداية المجتهد : جـ١ ص ٣٩٨
(٥) ابن هشام : جـ٢ ص ٢٨٩

عاد لهم الذين دفعتهم المفاجأة للهرب، ولو كان الفرار من المعركة مباحًا لما وقف هؤلاء يواجهون عددا يزيد عشرات المرات عنهم ويفوقهم استعدادا.

وفي غزوة مؤتة واجه جيش المسلمين وعدده ثلاثة آلاف مقاتل جيشا من الغساسنة والروم عدده مائتا ألف مقاتل، وعندما أدرك المسلمون قبل المعركة هذا الفارق الكبير في العدد أخذوا يتشاورون، وقال بعضهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ، نخبره بعدد عدونا، فإما أن يُمِدَّنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى.

فقال عبد الله بن رَواحة: ياقوم، والله مانقاتل الناس بعدد ولاقوة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة.

وفي هذه المعركة حارب جيش المسلمين بحماسة بالغة، وخر قائد الجيش زيد بن حارثة. فحمل الراية عبد الله بن رَواحة فخر أيضا، فحملها بعده جعفر بن أبى طالب فلحق بصاحبيه، فحملها خالد بن الوليد الذى أدرك أن فى استمرار المعركة فناءً لجيشه دون طائل فانسحب بعملية باهرة، إذ أثار الغبار خلف جيشه فأوهم الروم أن مددا ضخما جاء من المدينة فلم يتبع الرومُ الجيشَ المنسحب[1]، وكان انسحابه لمزيد من الاستعداد حتى يستطيع يوما أن يقابل الروم مقابلة يثأر فيها لمن خروا فى هذه المعركة، وربما كان ذلك النوع هو الانسحاب الوحيد الذى يجيزه الفكر الإسلامى فيما نرى، ومع ذلك فإن المسلمين لم يغفروا لخالد وجيشه أن يفروا من المعركة وقابلوهم صارخين «يافُرَّار، فررتم فى سبيل الله» ولكن الرسول اعتذر عنهم وأمّل في الخير منهم فى المستقبل، وقال ليسوا بالفُرار ولكنهم الكرار إن شاء الله، ومع هذا الاعتذار من الرسول الكريم فقد بقى الذين انسحبوا

(١) ابن هشام: جـ٢ ص ٢٥٨ وابن القيم: زاد المعاد: جـ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦.

مع خالد يحسون بالخجل لهذا الانسحاب ويتوارون عن الوجوه، رُوِيَ أن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين، فقالت : مايستطيع أن يخرج، طالما سمع الناس يصيحون به : يا فرار، فررتم في سبيل الله !! فآثر أن يقعد فى بيته ولا يخرج[1] .

وينبغى أن يلاحَظ أن غزوة مؤتة حدثت فى السنة الثامنة للهجرة، أى أنها حدثت بعد حوالي ست سنوات من نزول سورة الأنفال التى بها آيات العدد التى أوردناها آنفا، وقد كان الواحد من جيش المسلمين يقابل حوالى سبعين من جيش الروم والغساسنة وكانت عملية الانسحاب تبعا لخطة وليست عملية فرار، ومع هذا لم يغفر المسلمون ذلك ، وأخذوا يعيِّرون به المنسحبين، ولو كان العدد يمكن أن يلاحَظ بعد بدء المعركة لما وقف المسلمون من جيش مؤتة هذا الموقف .

ابن حزم لايبيح الفرار لغير ضرورة ملحة :

ولعل ابن حزم كان من أدقِّ من تحدثوا عن هذا الموضوع وأحاطوا بأكثر أطرافه، فلنعد له لنرى رأيه، يقول ابن حزم:

«ولا يحل لمسلم أن يفر عن مشرك، ولا عن مشركين ولو كثر عددهم، إلا أن ينوى فى رجوعه التحيز إلى جماعة المسلمين، أو أن ينوى الكر إلى القتال، فإن لم ينو إلا أن يولى هاربا فهو فاسق لقوله تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**»

والآن بعد أن وضَّحنا أن الحكم يتغير بتغير الزمان والمكان والظروف، نتكلم كلمة عن المؤسسات السابق ذكرها والتى ابتكرها الفكر البشرى لتنظيم عملية السياسة .

(١) ابن هشام جـ٢ ص ٢٦٠ .

البرلمان :

هيئة تشريعية يختارها الشعب لتقوم بالتشريع في الأمور التى ليس فيها نص مقدس، ويجب أن يرشّح لهذه الهيئة ليس مَنْ يعرف القراءة والكتابة فحسب، بل من يستطيع أن يزاول هذه المهمة الصعبة، واعتقادى أنه ينبغى ألا نبالغ فى عدد أعضاء البرلمان وألا نبالغ فى الامتيازات المالية والأدبية التى تُمْنحَ لهم ، واعتقادى أن مجلسا واحدا «مجلس الشعب» يكفى ولاحاجة لمجلس آخر مجلس الشيوخ أو الشورى «وبخاصة أنه ليس له صوت ولا رأى مسموع كما هو الحال في مصر، فهو عبء على الميزانية وعلى دافع الضرائب، دون أن يكون له ثقل فى الحياة السياسية والاجتماعية، ومهمة هذه المجالس تجعل من السخرية أن يُختار لها العمال والفلاحون وهو نظام ليس موجودا للأسف إلا فى مصر، وماذا يستطيع العامل أو الفلاح أن يفعل لاقتراح القوانين أو دراستها وإبداء الرأى فيها؟

ولما كان من مهام هذا المجلس أن يراقب السلطة التنفيذية ويسائلها إذا أخطأت، فإنه ينبغى ألا يجمع عضو مجلس الشعب بين العضوية وبين وظيفة تابعة للسلطة التنفيذية، فكيف ينتقد عضو «مدرِّس» بوزارة التعليم وزير التعليم مثلا؟ وقد سمعنا مرة صوت وزير يقول لعضو فى المجلس : كيف تنتقدنى وأنت موظف عندى ؟

الأحزاب :

تجمعات متنافسة يتفق رأى كل تجمع منها فى السياسة العامة الداخلية والخارجية، وهذه الهيئات تتنافس فى خدمة الوطن وإعلاء شأنه، ولكل منها برنامج وأعضاء ، والشعب يختار من يرتضيه من هذه الأحزاب تبعا لسمعتهم وقدراتهم ومنهاجهم، والحزب الذى يحصل علي الأغلبية يؤلف الوزارة.

الانتخابات :

وهى رأى أفراد الشعب فى اختيار الأعضاء الذين يمثّلونهم، وبالتالى اختيار الوزارة التى ستجئ بناء على أغلبية أعضاء البرلمان، وقد أجرت حكومة الجزائر انتخابا حرا فحققت جبهة الإنقاذ الإسلامية أغلبية ساحقة، فعمدت الحكومة إلى إلغاء هذه الانتخابات لإعراض الشعب عن هذه الحكومة، وتفجرت الدماء بسبب ذلك الإلغاء.

والانتخابات الحرة هى أساس الديمقراطية، وقد سبق أن ذكرنا رأى الشيخ الغزالى الذى يقرر أن تزوير الانتخابات خيانة عظمى، وسجلنا أن ماياأخذه عضو جاء بالتزوير من مرتبات وامتيازات هى سرقة من مال الشعب لن يبارك الله فيها وسيحاسب عليها، ويجب استردادها منه .

وللأسف الشديد لاتوجد انتخابات حرة فى العالم الإسلامى إلا قليلا جدا ، وفى مصر قضت أعلى درجات القضاء بإلغاء بعض الانتخابات بسبب التزوير ، ولكن نغمة عجيبة اندفعت فى المجلس المطعون فيه بأنه «سيد قراره» فأصبح بذلك المتهم هو القاضى ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وفى الغرب لاتستطيع هيئة أن تتدخل فى مسيرة الانتخابات، فالشعب فى قمة القوة واليقظة، وكثيرا ما أجرى بعض الزعماء الانتخابات ثم رسبت أحزابهم وهذا مالا يتوافر فى البلاد العربية حيث يخشى الناس رجل الشرطة ووسائله.

وفي الهند هناك هيئة مستقلة تماما تُجرى الانتخابات من الألف إلى الياء، وقد أجرت الانتخابات وأنديرا غاندى رئيسةٌ للوزراء ورسبت رئيسة الوزراء ورسب حزبها، وأجرت هذه الهيئة الانتخابات مرة أخرى وأنديرا غاندى خارج الحكم فنجحت ونجح حزبها.

ما أحوجنا إلى هيئة كهذه فى كل بلد عربى وإسلامى حتى تتوقف التدخلات والاتهامات وتسير الأمور مسيرة عادلة .

والبرلمان الذى يجئ نتيجةً لتزوير الحكومة يكون أداة سهلة فى يد الحكومة فتفرض عن طريقه القوانين التى تؤذى الناس وتمسُّ حرياتهم ولايستطيع مثل هذا البرلمان معارضة الحكومة لأنه صنيعة يدها، ولهذا تصدر القوانين سيئة السمعة فى عصور هذه البرلمانات ومن هذه القوانين القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥ الذى صدر فى ليلة واحدة ظلماء وقضى على حرية الصحافة والصحفيين ونكل بهم ويسميه الصفحفيون قانون اغتيال الصحافة ويشكو منه الصحفيون فى الصحف القومية وصحف المعارضة على السواء .

مدة الرياسة :

تختلف البلاد فى تحديد مدة رياسة رؤساء الدول، ولكنها جميعا - فيما عدا البلاد الإسلامية - تحدِّد المدة، فقد تكون المدة سبع سنوات تجدَّد مرة واحدة أو لا تجدد على الإطلاق وقد تكون خمس سنوات، وكان الدستور المصرى يجعل المدة ست سنوات تجدد مرة واحدة ولكن النائبة «فايدة كامل» فى عهد الرئيس السادات اقترحت حذف تعبير «مرة واحدة» وسرعان ماوافق المجلس إرضاء للرئيس وبناء على ذلك أصبح التجديد مطلقا بدون حدود، صحيح أن السادات لم ينتفع بذلك لنهايته فى أواخر المدة الثانية ولكن حسنى مبارك جُدِّد له للمرة الثالثة ولاندرى المستقبل، ولم تعرف مصر «رئيسا سابقا» فتلك صفة لايحبها الرؤساء بمصر للأسف الشديد .

وطول مقام الرئيس فى منصب الرياسة يجعله ينسى مشاكل الشعب وآلامه لأنه لاينزل الشارع ولايعانى من الغلاء وسموم البيئة ولذلك يعتبر التجديد للرئيس وبالا على الشعب.

ونقطة أخرى هى أنه ليس فى مصر انتخـاب للرئيس، وإنما استفتاء فقط، فثلثا مـجلس الشعب يرشح الرئيس الذى هو رئيس الحزب صـاحب الأغلبية المطلقة ويجـرى استفتاء يقـال فيه نعم للتجـديد، والترشيحُ والاستـفتاءُ شىء صورى ١٠٠٪ فالرئيس هو الذى أتى بالأغلبيـة الساحقة بمجلس الشعب عن طريق السـمـاح بتـزوير الانتـخـابات، وعن طريق فـرض ٥٠٪ من العـمـال والفلاحين الذين يعـرفون تماما أنهم جاءوا للمـجلس ونعموا بخيـراته بسبب فكر الرئيس وأفضاله وهم لذلك يردون الجميل بترشيحه للرياسة، والعامة فى مصر يقولون تعبيرا دقيقا عن هذه الحالة هو : شيلنى وأنا أشيلّك.

إن العـالم الذى نتـصل به ونزوره يسـخـر من هـذا الوضع ، والمسـتـقـبل يحتاج لرئيس حـاسـم قـانع يضع نهاية لهـذا الأسلوب العجيب ، فتُحَدَّد المدة ويجىء الرئيس بانتخاب حر وليس باستفتاء .

تلك هى المأساة التى نعيش فيها والتى سببت الحروب والخسائر وقتلت الإبداع والابتكار فى البلاد ، فلا يعيش إبداع أبدا مع ديكتـاتورية ، ولا يغنى أبدا أن نسميها ديمقراطية فالكل يعرف أنها تسميه خداعة .

وتزوير الانتخابات فى مصـر مسئولية كبرى واسعـة النطاق لأن كثيرا من الدول الإسلامية تسير خلف مصر التى تعتبـر الشقيقة الكبرى التى يَقتدى بها الكثيرون.

وانتخابات سنة ١٩٩٥ وصفت بأن البلطجية تسلطوا عليـهـا ، ولذلك سقط فيها عشرات القتلى ومئات الجرحى ، ونجح فيها بعض القتلة ، ورسب كثير من القمـم ، وقد نشرت الصحف قوائم تدعـو للحسرة عن القـمـم التى استُبعدت ورسبت والتوافه التى دخلت المجلس ، ومن الذين رسبوا كما ورد فى كلمـة الأسـتـاذ لمعى المطيـعى فى «الوفـد» فى ١٠ ديسـمـبـر سنة ١٩٩٥

المهندس ابراهيم شكرى ابن شربين ونائبها منذ عهد الملكية والذى نادى قبل الثورة بتحديد الملكية الزراعية وسُجن عدة مرات من أجل مصر.

نعمان جمعة : نائب رئيس الوفد، وعميد عمداء كلية الحقوق صاحب الفكر الواضح والقلم الجرئ.

إبراهيم دسوقى أباظة : مثقف جعل الديمقراطية قضيته، وهو صاحب قلم ممتاز نزيه .

محمد عبد القدوس : صاحب أعلى الأصوات فى الانتخابات لمجلس نقابة الصحفيين ويتسابق لانتخابه المسلمون والمسيحيون.

منير فخرى عبد النور : من أسرة مسيحية مناضلة ضحت بالكثير من أجل الوطن.

طلعت رسلان : نائب الزقازيق الذى لم يتحمل الظلم فثار وأخرجوه من مجلس الشعب فى الدورة الماضية وعزموا على عدم إتاحة الفرصة له ليعود للمجلس مع تأييد الجماهير له.

ودخل المجلس أفراد لايمكن أن نورد أسماءهم ربما خوفا منهم فالبلطجة كانت سلاحَهم فى هذه الانتخابات وللأسف منهم بعض من كانوا وزراء ولكنهم أخلُّوا بكل القيم.

هذه الانتخابات نسجل عنها هذه الكلمات فهى نموذج في الفساد الذى يجب أن يتورع عنه المسلمون.

وفى هذه الانتخابات (١٩٩٥) قضت محكمة القضاء الإدارى ببطلان انتخاب ٢١٨ فائزا وذكرت أنه حكم واجب التنفيذ بالمسودة واستشكلت وزارة الداخلية فى الحكم ولم تتعرض المحاكم لإيقاف تنفيذ هذه الأحكام،

وقررت دائرة فحص الطعون عرضها على الدائرة الأولى بالمحكمة الإدارية العليا التى حدَّدت جلسة ٢٤/ ١٢/ ١٩٩٥ لنظرها ثم أجلتها إلى جلسة ٤/ ٢/ ١٩٩٦ وفى أثناء هذه المدة تم انتخاب الإعادة، وحلف الناجحون اليمين القانونية واختير أحد المطعون فيهم رئيسا للمجلس، وقرر المجلس أنه «سيد قراره» وأصبح المتهم هو القاضى.

فكأن الاستشكال والطعن قصد به تأجيل الموضوع ليحلف الأعضاء اليمين ولينتقل الأمر إلى «سيد قراره»

البلطجية والاشتراكية :

والبلطجية ثمرة طبيعية للاشتراكية التى أعلنها جمال عبد الناصر وبمقتضاها استولى على أموال الناس بدون سبب وبدون عوض، وظهر البلطجية على هذا الخط، فقد اتجهوا إلى الاستيلاء على مقاعد مجلس الشعب وعلى حقوق غيرهم فى كل مجال بدون حق، والناس على دين ملوكهم.

وعند كتابة هذه السطور نشر الأستاذ مجدي مهنا بالوفد فى ٢٥/ ١/ ١٩٩٦ مقالا خطيرا يضم بصوت عال هذه المعانى وتلك الأفكار، ويسرنى أن أنقله بحذافيره فلست أنا وحدى الذى يقول بهذه الآراء ولكن الجمهور كله يرفع بها صوته وكذلك كتب الدكتور عزت صقر يوم ١/ ٢/ ١٩٩٦ وقد اقتطفنا بعض سطوره ننقلها بحروفها بعد كلمة الأستاذ مجدى مهنا :

فى الممنوع بين الوعود والواقع :

هل هي ظاهرة مصرية أن يبدأ كل حاكم عهده بحديث الطهارة والنزاهة والضرب بيد من حديد لكل من تسوّل له نفسه العبث بمقدرات الوطن

واحترام حقوق الإنسان، والتمسك بالديمقراطية كمنهاج لنظام الحكم. والحرص على مناخ الحريات العامة. والدفاع عن مكاسب العمال والفلاحين. وحماية حقوق الشعب ومصالح محدودى الدخل. ورفع مستوى الغالبية العظمي المطحونة. . ثم ينتهي العهد بعكس كل مانادى به وبمسحه بأستيكة !! فرائحة الفساد تعم. والديمقراطية يتحقق منها الشكل فقط. والشعب رغم مرور السنين وتعاقب الحكومات يئن ويتوجع. والمعاناة لاترفع عن كاهله. والانتخابات تُزوَّر في كل مرة. وكل صوت يرتفع بالشكوى. يجرى تجريحه، والطعن في نزاهته، والتشكيك في وطنيته.

الحاكم في مصر. . نعرف على وجه الدقة متى يبدأ حكمه ولكن دائما لانعرف متى أو كيف ينتهى ؟

ماسبب هذه الظاهرة الغريبة التى عاشتها مصر طوال الأربعين عاما الماضية؟ هل لأن الحاكم بنص الدستور يتمتع بسلطات مطلقة؟ فلا يحاسبه أحد؟ هل لأن فترة ولايته غير محددة المدة ومفتوحة وبلا نهاية؟، فيطلق يده ويتصرف كما يشاء. ويأمر وينهى ؟ وقراراته لاتناقش. ورغباته مجابة. وإرادته فوق إرادة الشعب. ويحكم بتفويض إلهى أو بواسطة قوى غيبية وليس وفق إرادة شعبية. ودولة المؤسسات هى فى الحقيقة والواقع دولة سيادة الرئيس. له أن يصدر الأحكام وما على المؤسسات سوى السمع والطاعة. إن السبب الرئيسى فيما نعانى منه من فساد وتسيُّب هو تفشى هذه الظاهرة المرضية واستمرارها. وعدم النص فى الدستور على تحديد سلطات وصلاحيات رئيس الجمهورية بحيث لايخرج عنها ولايتجاوزها وعلى تحديد فترة ولاية كل رئيس فلا تزيد عن عشر سنوات وبالتالى نعرف متى يبدأ حكمه ونعرف منذ البداية متى ينتهى ؟ أما أن نترك تحديد النهاية للقدر

وللسميع العليم فهذا معناه استمرار نفس السياسات والأوضاع الخاطئة التى عانينا ومازلنا نعانى من تراكماتها حتى اليوم، والأجيال القادمة ستعانى من الأوضاع الحالية وستدفع الثمن نيابة عنا.

ولافرق بين نظام الخمسينات والستينات، ونظام السبعينات ونظام الثمانينات والتسعينات فالجوهر واحد وان اختلف الشكل. بداية نظيفة. والنهاية مجهولة !!.

سبب الفساد :

للدكتور عزت صقر :

السبب الرئيسى لتخلف مصر هو ولاشك النظام الذى يحكم البلاد، نظام حكم فرد مطلق شمولى. فهو لايعتمد إلا على أهل ثقة يساندون الحاكم ويحافظون على استمراره. وفى استمراره استمرارهم. وعلى ذلك يكون ولاؤهم هو للحاكم. فيكفى الحصول على رضاه، ولو كان بالتزلف والرياء والنفاق. إنه بالطبيعة نظام لايسانده إلا ضعاف النفوس وعديمو الكبرياء. يضربون بالعلم وبالأصول عرض الحائط إذا تعارض مع رغبة الحاكم، لايهمهم إرضاء الله والعمل لمصلحة الناس. بل رضاء الحاكم. فتكون عيونهم ليس إلى السماء ولكن إلي الأرض فقط، حيث الحاكم ولىُّ نعمهم وبئس مايظنون.

والحاكم لايختارهم عادة من بين العلماء ومالكي نواصى العلم والمعرفة. ولكن ممن يسهل السيطرة عليهم ويهون عليهم كلُّ غالٍ فى سبيل الرضا السلطانى. فيكونون أدوات لتنفيذ توجيهات الرئيس.

ولايمكن أن ندخل القرن الحادى والعشرين ونحن نعانى من هذه العوائق التى تشدنا للوراء ولاتسمح لنا بالانطلاق.

فى مجال الاقتصاد

الجزء الرابع من موسوعة الحضارة الإسلامية مخصص للحديث عن الاقتصاد في الفكر الإسلامي، وأقرر أنني كتبته بأقصى ماأستطيع من الدقة والورع، وأهم ما أبرزته فيه التزام المسلم بالكسب الحلال، ثم بزكاة ماله والتزامه بإقراض المحتاج مادام القرض سيستعمل فى المصلحة

وينبغى أن يلتزم المسلمون بالاقتصاد الإسلامى، فالحضارة الغربية بشقيها مرفوضة ، فالرأسمالية عدوان لبعض الناس على البعض الآخر بواسطة الذكاء والحيل، والشيوعية حرمان الجماهير لصالح الأقلية كما حدث فى الاتحاد السوفيتى، والمنهج الإسلامى فى الاقتصاد منهج يجمع بين حاجة الفرد والمجتمع، فالفرد يكدح فى حدود المباحات ويربح، ثم عليه أن يقدم زكاة للمحتاجين، ويجب أن تستوعب هذه الزكاة كل المحتاجين الذين لايجدون عملا أو غير القادرين على العمل، وعلى المسلمين السعى الجاد لعمارة الأرض تنفيذا لقوله تعالى: «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» (هود : ٦١)

الاقتصاد الإسلامى ومزاياه :

والاقتصاد فى الإسلام مبنى على أسس طبيعية وفضائل إنسانية ومبادئ إلهية ، فلا يسوى الإسلام بين المجد والكسول، ويحترم الملكية الفردية التي جاءت من طريق مشروع وأدى صاحبها حق الله، والمال فى الإسلام هو مال الله «ولله ملك السموات والأرض ومافيهن» (المائدة : ١٣٠) والملكية الخاصة وظيفة اجتماعية لإدارة مايملكه الإنسان حسب تعليمات المالك الحقيقى وهو الله تعالى، ومعنى هذا أن يكون التصرف فى المال بعيدا عن الرشوة والإهمال والإسراف والاحتكار، وأن ينفق من هذا المال ولايخزنه قال تعالى «وأنفقوا مما رزقناكم» (البقرة : ٢٥٤) ولايكنزه بل يطلقه فى متاجر أو مزارع أو مصانع حتى يستفيد عدد من العمال من هذا المال.

وإذا لم تكف الزكاة التزم الغنى بدفع المزيد، فالإسلام لا يقبل أن يوجد جائع أو محروم قال عليه الصلاة السلام (ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم).

ونظام الميراث يفتت الثروات حتى لاتجتمع الثروات فى أيد قليلة قال تعالى : «كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم» (الحشر : ٧).

مدى سلطة الحكومة فى المال الخاص :

وعندما يكون المال حلالا وأدى صاحبه حق الله فهو بذلك ملكية خاصة ليس للحكومة أن تتدخل فيها إلا للصالح العام كشقّ طريق أو حفر ترعة على أن تدفع للمالك تعويضا ناجزا وعادلا، وقد تدخلتْ حكومة الانقلاب فى مصر فى المال الخاص بدون حق فأحدثت ارتباكا خطيرا راح ضحيته الملايين بالمصادرة والتأميم فقد صادرت بعض الأموال وأممتها لتجييع الناس، فالجائع لايثور ولتستولى على الغنى الذى اعتبرته سلاحا لايترك فى أيدى الناس، وكان تدخلها فى عدة مواقف:

١ - قانون الإسكان :

قررت حكومة الانقلاب إيقاف إيجارات المساكن عند القدر المتواضع الذى كانت عليه قبل الانقلاب بل خفضته عن الإيجار المتفق عليه، وترتب على ذلك توقُّف الناس عن البناء، وبالتالى أصبح الحصول على مسكن شيئا مستحيلا وظهر الغلاء، واستفحل، فظهرت مفارقات عجيبة فوكيل الوزارة أو الضابط الكبير بالجيش يسكن بسبعة جنيهات فى جاردن سيتى والطالب المغترب يسكن بمائة جنيه فى حجرة مشتركة فى إحدى حوارى الأحياء الشعبية، وارتفعت شكوى الملاك المظلومين، إذا أصبح إيجار الشقة فى الزمالك لايشترى كيلو من اللحوم أو كيلو من الفاكهة، ولكن سلطة السكان

الأقوياء على ذوى الأمر كانت أقوى فلم يسمع للعدالة صوت وأصبحت أجرة العمارة لاتكفى استهلاك المياه والمجارى وأجرة البواب، وترك بعض الملاك إيجارات العمارات للبوابين، إذ استوعبت أجرة البواب كل دخل العمارة، وحصل حقد وكراهية بين الملاك والمستأجرين، وتمنى الملاك أن تهدم المساكن ليكونوا أحرارا فى أرضها.

وحكومتنا السنية هى الحكومة الوحيدة بين حكومات العالم التى تفعل ذلك، وتحابى السكان على حساب الملاك، وكان عليها إذا أرادت مساعدة المستأجرين أن يكون ذلك على حسابها لا على حساب طائفة أخرى، ولعل حكومتنا السنية تظن أن الملاك أغنى من المستأجرين، وهذا خطأ فادح، فالكثيرون من المستأجرين يعملون بالخارج أو يشتغلون بالمهن الحرة أو التجارة وأرباحهم وحياتهم أعلى بكثير من مستوى الملاك الذين ضاعت حقوقهم بين جهل الحكومة وأطماع المستأجرين، ولم يوجد بين المستأجرين من يخاف الله، ويرفض قرار الحكومة الذى هو بعيد عن العدالة، واعتمد المستأجرون على قرار ظالم ليس من حق الحكومة أن تصدره، ولابد من تصفية هذه المظالم قبل أن ندخل القرن الواحد والعشرين، حتى لاندخله والعداء والكراهية يسيطران على حياتنا.

وعدم اهتمام ولى الأمر بالعدالة فى هذا الموضوع انعكس - كما ذكرنا - على المستأجرين الذين نعموا بهذا الظلم ، ونسوا أنهم يعتمدون على قرار باطل، ماكان من حق ولى الأمر أن يصدره، لأن الفكر الإسلامى لايسمح لولى الأمر بالتدخل فى المال الخاص على هذا النحو كما ذكرنا .

ومن هنا فالمستأجرون شركاء مع ولى الأمر فى المسئولية، وكل السكان عرفوا الغلاء الملتهب فى طعامهم وشرابهم وملابسهم وفى أثمان الأدوية وكل الحاجات المنزلية، وفى أجور الأطباء والمدرسين بل والخدم، ولكن

المستأجر لم يقبل أن يمس الغلاء مسكنه، بل إن منهم من يصرخ بأن ملاك العمارات القديمة قد استردوا أثمان الشقق من هذه الإيجارات عبر السنوات الماضية، ونسألهم : من أين جئتم بهذا التشريع ؟ هل باع لكم المالك مسكنكم بمبلغ شهرى تدفعونه له ؟ وأكثر السكان لهم شهادات استثمار لدى الحكومة يأخذون عليها عائدا حوالى ١٢ إلى ١٥٪ من قيمتها فماذا يكون موقفهم لو قالت الحكومة لهم بعد بضع سنوات : لقد استرددتم أثمان هذه الشهادات عن طريق العائد الذى تصرفونه كل عام؟ ولم يَعُدْ لكم شيء بعد ذلك . هل يقبل الملايين من أصحاب شهادات الاستثمار هذا الادعاء.

إن القضية هى قضية ظلم الحكام وتدخُّلهم فيما لايجوز لهم أن يتدخلوا فيه ، وساعدهم المستأجرون فى أكل أموال الناس بالباطل ، والله سبحانه وتعالى سيحاسب هؤلاء وأولئك ولن يبارك فى مال نهب بدون حق .

٢ - قضية توظيف الأموال :

ظهر فى المجتمع المصرى مجموعة ممن نسميهم «الشطار» فأعلنوا أنهم مستعدون لأخذ مدخرات الناس لتوظيفها وتنميتها ودفع عائد لأصحابها ، وتبارى هؤلاء فى تقدير هذا العائد حتى أوصلوه إلى ٢٥٪ وربما أكثر ، وأخذت وسائل الإعلام الحكومية دورها فى الدعاية لهذه المؤسسات ، ووقع الإنسان المصرى فى الفخ ثقة فى وسائل الإعلام الحكومية ، ثم ظهر أن بعض مؤسسى هذه المؤسسات يتلاعبون فى أموال الناس ، فاستعملوها فى تجارة المخدرات والذهب وسربوا الملايين منها إلى حساباتهم الخاصة بالخارج ، ولكن لذكائهم ظلوا يدفعون العائد لمن يطلبه ويردون الأموال لمن يريد أن يستردها .

ثم تدخلت حكومتنا السنية منذ ثمانى سنوات فأوقفت نشاط هذه المؤسسات ووضعت يدها على أموالها ومصانعها وكل ممتلكاتها .

لماذا فعلت الحكومة ذلك ؟ وهل كان ذلك لصالح المودعين؟ لقد ظننا في أول الأمر ثقةً في حكومتنا السنية، ولكن الحكومة أخذت هذه الأموال والمدخرات وأغمضت عنها الطرف .

هناك مرضى كانوا يأخذون العائد أو بعض رأس المال لعلاجهم ، وهناك فتيات وضعن مدخراتهن لإعداد بيت الزوجية في المستقبل، وهناك شباب فعلوا ذلك لنفس الغرض أو لبدء مشروع عمل في المستقبل، ولكن الحكومة أغمضت الطرف عن الجميع، فكم من مريض مات وهو لايجد مالا للعلاج، وكم خطبة انحلت لمصادرة أموال الفتى أو الفتاة ولا أحد يدرى لماذا تدخلت الحكومة، وكان المفروض أن تتدخل لإصلاح الأحوال ولكن الأحوال زادت سوءا، ولايعلم إلا الله متى ستنجاب هذه الغشاوة عن الحياة المصرية المنكوبة .

إسرائيل والتطبيع والشرق أوسطية.

هناك نقاط سياسية مهمة ينبغى أن تضاف لهذه الدراسة الاقتصادية، هى أن المؤتمرات العالمية للسلام سمحت لإسرائيل أن تنفرد في المفاوضات بكل دولة على حدة، وتسبَّب عن هذا خطر بالغ، فالأردن مثلا كانت تتطلع لهذا الموقف لتعرب لإسرائيل عن الحب الدفين الذى لم تكن تستطيع أن تجهر به أمام الآخرين، وليست هناك دولة عربية تستطيع أن تصارع إسرائيل وحدها فى مجال الحوار، والعجيب أن بعض الدول العربية اتجهت للتعاون مع إسرائيل بحجة أن مصر عقدت معها معاهدة، ونسى هؤلاء تلك الحروب الضروس التى كانت بين مصر وإسرائيل وتدخُّل الرئيس كارتر، وكان لابد من مظهر التعاون لتخرج إسرائيل من أرضنا بعد الحرب القاسية التى خضناها سنة ١٩٧٣ ، ولاشك أن التطبيع المصرى مع إسرائيل كان كما

يقولون «مخلك سر» طيلة السنوات الماضية، فلا مجال لاتخاذ مصر نموذجا.

السلام الدافئ والسلام البارد :

ومما يدل على الفرق بين مصر والأردن أن صحفيا إسرائيلا علّق علي المفاوضات الدائرة بين سوريا وإسرائيل بقوله لوزير خارجية مصر (د. عمرو موسى) : نريد سلاما دافئا مع سوريا على غرار السلام مع الأردن وليس سلاما باردا مثل السلام مع مصر.

وسبب هذا السلام البارد هو طبيعة المماحكة الإسرائيلية.

وخلال الفترة الأخيرة برزت قضيتان أساسيتان هما : القوى النووية الإسرائيلية، والأسرى المصريون الذين راحوا ضحية مذابح وحشية ارتكبها بعض قادة الجيش الإسرائيلي بزعامة رابين خلال حربى ٥٦ و٦٧ ففى هاتين القضيتين كان لمصر موقف واضح يتسق مع مبادئ القانون الدولي. وكان لها مطالب محددة لتسوية الخلافات الناتجة عن استمرار فتح تلك الملفات. ولكن للأسف لم تبادر الحكومة الإسرائيلية فى عهد رابين أو خلفه بيريز إلى طرح أية مبادرات لتسوية تلك الأزمات، منتهجة بذلك نفس السياسة التى تتبعها مع بقية القضايا العربية الهامة الأخرى، مثل قضية القدس والانسحاب من الجولان السورى والوضع النهائى للكيان الفلسطينى.

والنقطة الثانية هى صيحة إسرائيل بالتطبيع مع العرب، وقد صَرَخْنا وصرخ سوانا من المفكرين بأن التطبيع معناه سرقة الثراء العربى، فإسرائيل قد استولت على الكثير من الأرض العربية فى العهد المشئوم عهد عبد الناصر، ولكنها لم تنتفع بالأرض بل أنفقت على حراستها أكثر من أى نفع آخر، فاتجهت لتعيد الأرض وتتعامل اقتصاديا مع العرب البسطاء وهى بذلك تضمن سوقا واسعة مملوءة بالدنانير والدولارات والدراهم، يحملها

أفراد ليس للفكر الاقتصادى عند بعضهم ثقل يذكر، وإسرائيل دولة شديدة الاتصال بمراكز الإنتاج في العالم، وهي نفسها منتجة وستقدم ماتستورده وماتصنعه لرواد السوق العربية، وذلك أحسن ألف مرة من احتفاظها بالأرض، وكان نيكسون من الذين نصحوا إسرائيل بذلك كما ذكرنا من قبل.

وقد اعتمدت إسرائيل فى هذه الجولة الاقتصادية على ثلاث هيئات تكنُّ لإسرائيل كل الإخلاص ولا ترعى للعروبة والإسلام حرمة وهذه الهيئات هى الولايات المتحدة الأمريكية التى تؤيد هذا الاتجاه، وتسعى له، وتبذل لنجاحه كل الوسائل، ودولة المغرب التى يعيش بها عدد من اليهود الذين لهم نفوذ وسلطان، والأردن التى لاتعرف إلا الانتهازية، ولاتحس منذ نشأت بالتزامات إسلامية أو عربية والتى ترى فى مساعدة إسرائيل وسيلة لإرضاء الولايات المتحدة والحياة فى كنفها، ولانستبعد هذا من الأردن التى وقفت مع صدام حسين وهو يهاجم الكويت رجاء أن تنال من الفريسة جزءا، وأن يعيد لها صدام حسين ماكان الأجداد الأشراف يحكمونه وهو الحجاز، على فرض انتصاره أيضا على السعودية، فلما فشل صدام حسين أدارت له الأردن ظهرها، وأصدرت قرارا بخفض صادرات الأردن للعراق بنسبة ٥٠٪ ، وكانت هذه ضربة قاسية ضد بغداد، ولكن هذه الضربة ليست عجيبة بالنسبة للأردن، ولم يقنع الأردن بذلك فى مجال ضرب الاقتصاد العربى ودعم الاقتصاد الإسرائيلى، فقد أعلن وزير الزراعة الإسرائيلى بأن الأردن فتح أبوابه وطرقاته لإسرائيل لنقل البضائع والمنتجات الزراعية الإسرائيلية إلى أسواق دول الخليج.

وبالإضافة إلى هذه الجبهات الثلاث التى تتعاون لتنشيط مايسمى بالتطبيع هناك هيئة رابعة دُفِعَ بها إلى دولاب العمل لأنها حريصة علي

الكسب المادي، تلك الجبهة هى التجار، وهؤلاء بطبيعة عملهم حريصون على الربح، وليس فى ذاكرتهم شيء ذو بال عن المستقبل السياسى للبلاد، فهمهم أن يدخلوا المنافسة، وألا يتركوا السوق لزملائهم، ولعلها المرة الأولى التى يشترك فيها التجار مع الزعامات السياسية فى مثل هذه المؤتمرات، وأعتقد أن صفقات تمت بين التجار العرب (الشطار) وبين زملائهم فى إسرائيل من الماكرين وشديدى الحرص على بلادهم.

وحتى نتصور حجم المأساة ننقل سطورا من كلمة الأستاذ سعيد سنبل كتبها من الدار البيضاء عند انعقاد المؤتمر المشئوم بها، وهي منشورة بجريدة الأخبار في ٤/ ١١/ ١٩٩٤ وفيها يقول :

«التعاون بين المغرب وإسرائيل تعاون قوى ووثيق، وهو لا يخضع لأية ضغوط أو قيود، وهو أقوى وأوثق مما يتصور الكثيرون.

«وبمناسبة انعقاد قمة المغرب الاقتصادية وهى القمة التى تشارك فيها إسرائيل وبعض البلدان العربية صدر عدد خاص مشترك من جريدة مغربية وجريدة إسرائيلية، وجرى توزيعه على الأعضاء وتتصدر صفحته الأولى صورة كبيرة للملك الحسن ملك المغرب وهو يسير بين إسحق رابين وشيمون بيرز، وكتب الافتتاحية رئيسا تحرير الجريدتين، وقال رئيس التحرير الذى ينتمى للعرب إن اجتماع العرب فى الدار البيضاء ضربة للمتطرفين الذين يقاومون حركة السلام، بل إن تطرفهم يجعلنا نسرع الخطا للسلام، وقال رئيس التحرير الإسرائيلى المخلص لبلاده : إن التجار فى المغرب يستطيعون الآن بدء التجارة مع إسرائيل بحرية كاملة وإن كانوا لا يستطيعون الاتجار معه الجزائر ولا تخطى الحدود بسهولة.

«أما القمة الاقتصادية الثانية فقد عقدت في الأردن ويلاحظ حسن اختيار الموقع لانعقاد القمة، والملك حسين يتقدم بسرعة هائلة لتحقيق

أطماع إسرائيل، وقد بكى بحرارة لوفاة صديقه إسحق رابين واصطحب معه زوجته إلى تل ابيب ليدفن رابين فى القدس، وقد حققت القمة الاقتصادية فى الأردن ماحققته فى الدار البيضاء»

ويقرر الدكتور أسامة الباز رأيا هو موضع اتفاق الجميع خلاصته أنه لابدّ من الوحدة العربيـة، ومن تجمع اقتصادى عـربى، ومن مصالحة عـربية لتأهيل العرب لدخول القرن القادم.

وليسمح لنا القارئ بمناسبة الحديث عن رابين - آنفا - بقطع الكلام عن التطبيع لنعود إليه بعد اقتباس سطور من مقال نشرته مجلة «الرائد» العربية التى تصـدرها جمـاعـة الندوى فى الهند فى العدد الصـادر في ٧ رجب سنة ١٤١٦ هـ :

إلى المتباكين على «رابين» نقدم :

ملف جرائم رابين ضد العرب والمسلمين :

- بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٨ شارك عصابات «الهاجاناة» في اجتياح القرى الفلسطينية وقتل أكثر من ألف من النساء والأطفال .
- حَرَقَ أكثر من ١٥ قرية على طول نهر الأردن بقنابل النابالم .
- قاد المجازر الوحشية ضد الأسرى المصريين والفلسطينيين في حرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ م .
- على مدى عشرين عاما . . واصل تدمير وحرق القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية فى لبنان .

رابين سجل حافل بالإرهاب

طبيعة الإرهاب والإجرام ظهرت فى شخصية رابين فى وقت مبكر ومنذ نعومة أظفاره، فقد انضم عام ١٩٤٠ م ، وهو فى سن الثامنة عشرة إلى عصابة الهاجاناة الإرهابية التى نفذت عشرات المجازر الوحشية ضد الفلسطينيين الأبرياء، وفى العام التالى لانضمامه للهاجاناة عُهِدَ إلى رابين عام ١٩٤١ قيادة وحدة من عصابات تلك المنظمة الإرهابية، وتمَّ تكليفها بتنفيذ مجموعة من العمليات الإرهابية، فهاجمت مركز حدود لبنانى، كما شنَّت هجوما على سجن عتليت التابع للقوات البريطانية، وتمكنت بعد محاصرة السجن من إطلاق سراح عدد من الإرهابيين أعضاء عصابة الهاجاناة من السجن .

وفي عام ١٩٤٨ م تم تعيين رابين قائدا للواء هارنيل، وشارك فى معارك باب الواد، والشيخ جراح، والقطعون، وذلك بهدف فتح الطريق لاحتلال

القدس القديمة، بعد احتلال مايسمى بالقدس الغربية، وقام هذا اللواء بقيادة رابين بتدمير قريتين عربيتين.

أما زوجته لينا التى تباكى الزعماء والقادة فى حفل تشييع جنازة رابين عند قدميها، فهى الأخرى مجرمة حرب كزوجها، حيث كانت عضوة فى عصابة الهاجاناة، وهناك تعرَّف عليها رابين ثم تزوجها، أما عصابة الهاجاناة التى كان رابين أحد رموزها البارزين فلها سجل حافل من الإرهاب والمجازر وأهم أعمالها الوحشية :

* مهاجمة قرية بلد الشيخ التى تُدعى الآن تل حنان فى ١٢/ ٦/ ١٩٣٩م، واختطاف وقتل خمسة من المدنيين العزَّل.
* مهاجمة إحدى القرى العربية فى ١/ ١/ ١٩٤٨م، وقتل ١١١ فلسطينيا.
* مهاجمة قرية بلد الشيخ مرة ثانية فى ليلة رأس السنة ٣١/ ١٢/ ١٩٤٧م وكانت حصيلة الهجوم مقتل ٦٠٠ فلسطينى.
* فى ١٤/ ٢/ ١٩٤٨م هاجمت عصابتا الهاجاناة وبالبالماخ قرية سعسع فى الجليل، ودمرت عشرين منزلا على رؤوس أصحابها وقتلت ٢٠ شخصا.
* فى ١٣/ ٣/ ١٩٤٨م دمرت عصابة الهاجاناة قرية كفر حسينية وقتلت ٣٠ فلسطينيا.
* بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٤٨م نسفت عصابة الهاجاناة قطار حيفا - يافا فقُتل ٤٠ فلسطينيا.
* فى ١٠/ ٤/ ١٩٤٨م نفذت عصابات الهاجاناة والأرغون، وشيترن، مذبحة دير ياسين، التى سقط ضحيتها ٢٥٠ شهيدا من بينهم ٢٥ امرأة حاملا، و٥٢ طفلا، وارتكبت خلال المجزرة فظائع بشعة من تشويه للأجساد، واعتداء على النساء.

* وفى عام ١٩٦٤م تولى إسحاق رابين منصب رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلى حتى عام ١٩٦٨م، وقد ارتكبت قواته خلال هذه الفترة مجازر وحشية ضد العرب، واحتلت الضفة الغربية عام ١٩٦٧م، بما فيها القدس الشرقية، فكان لرابين شرف المشاركة فى احتلال الجزء الغربى من المدينة عام ١٩٤٨م وشرف قيادة الجيش الإسرائيلى فى احتلال ماتبقى منها عام ١٩٦٧م.

وارتكبت القوات الصهيونية عام ١٩٦٧ م مجازر وحشية ضد المئات من الأسرى المصريين والفلسطينيين والتى اعترف بها المسؤولون الإسرائيليون قبل عدة أشهر بعد نشر تفاصيلها، وكانت القوات الإسرائيلية قد ارتكبت مجازر مماثلة ضد الأسرى عام ١٩٥٦م، ورغم الإعلان عن مسؤولية «إسرائيل» عن تلك المجازر فإن رد الفعل العربى وخاصة المصرى والفلسطينى كان ضعيفا ومتخاذلا[١] رغم أنه كان يمكن استثمار ذلك الحدث فى إبراز الطبيعة العدوانية الإرهابية للصهاينة، ولكن القرار العربى الرسمى المكبل بقيود الاتفاقيات والمعاهدات مرّر تلك الجرائم حرصا على مشاعر الأصدقاء اليهود، وأُغلقَ الملف وقيدت المسؤولية ضد مجهول، أما المسؤولون الصهاينة، وعلى رأسهم الإرهابى الكبير رابين، فرأوا أن تلك الجرائم لم يعد لها قيمة تحت ذريعة أن المسؤولية عن تلك الجرائم تسقط بالتقادم، ونتساءل لماذا لم تسقط جرائم النازية ضد اليهود بالتقادم؟ ولماذا تحاكم «إسرائيل» حتى الآن من تتهمهم بالضلوع فى تلك الأحداث، وتطالب حتى الآن الدول المعنية بدفع تعويضات لها تكفيرا عن تلك الجرائم؟

(١) إذا كان هذا موقف الحكومات فإن موقف الشعب العربى مختلف ولابدّ من الثأر فى يوم من الأيام.

وقد اعترف الإرهابى رابين فى مذكراته أن قواته كانت تلجأ فى تلك الفترة (١٩٦٤ - ١٩٦٨م) إلى العمليات الانتقامية على الجبهات العربية من خلال ضرب أهداف مدنية، ويشير إلى عملية السموع كذروة لذلك النمط من عمليات الانتقام، وقد قتل خلال هذا الهجوم على القرية الواقعة داخل الحدود الأردنية عام ١٩٦٦م ١٨ مدنيا وجرح ١٣٠، وأصيب ١٢٥ منزلا بأضرار بالغة نتيجة القصف الإسرائيلى، وهذا الهجوم يُعد مثالا من عشرات الهجمات التى شنتها القوات الإسرائيلية خلال تلك الفترة على مدن قلقيلية، وجنين، والمنشية فى فلسطين، وعلى عدد من القرى والمدن الأردنية والسورية أ. هـ

بيريز أكثر قسوة من رابين

وإذا كان هذا هو تاريخ رابين فإن الشعب اليهودى كله هو كما وصف القرآن الكريم قلوبَهم «قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة» (البقرة : ٧٤) وكان بيريز واحدا من هؤلاء، فهو أشد مرارة وقسوة من سلفه، وهو الذى - عقب الانفجارات التى راح ضحيتها ستون يهوديا فى مارس ١٩٩٦ أنزل بالفلسطينيين عقوبات جماعية حَرَقَ مئات الدور، وقتل عشرات الأنفس وقبض على الآلاف قبضا عشوائيا، ثم حاصر المناطق الفلسطينية التى كانت تابعة للحكم الذاتى فأجاع الملايين ومنهم النساء والأطفال، ونسف منزل الزعيم يحيى عياش، واستولى على آلاف الأفدنة المملوكة للعرب والمحيطة بالقدس لتوسيع دائرة العدوان.

وكانت الولايات المتحدة خير عون له فى كل ما ارتكبه من آثام ولم تحاول أن تقول كلمة واحدة لإيقاف هذا العدوان الأثيم.

وكان بيريز بذلك يحاول التقرب من اليهود لينال أصواتهم فى الانتخاب الذى حُدد له شهر مايو ١٩٩٦، ودماء الفلسطينيين وتعذيب العرب هو أهم ما يتقرب به بيريز إلى قومه

وسكت العرب للأسف، بل راحوا يدعون بيريز لزيارتهم فى مسقط وقطر، وأقاموا له الاحتفالات، وقدموا الهدايا، وعقدوا الصفقات، حسابهم على الله.

بيريز ولبنان :

تحتل إسرائيل جزءا من جنوب لبنان، وهذا الاحتلال يعطى أصحاب الأرض المحتلة كامل الحقوق من الناحية الشرعية والقانونية لمهاجمة المحتلين حتى يتركوا البلاد لأصحابها، وفى ضوء هذه الحقوق الشرعية أطلقت المقاومة اللبنانية بعض صواريخ الكاتيوشا ضد المستعمر فى عهد الإرهابى الأكبر بيريز، وقد انتهز هذا المجرم هذه الفرصة ليطلق جيشه ومعداته الحربية المتطورة ضد لبنان، فتعرض الجنوب اللبنانى وتعرضت بيروت لهجمات إسرائيلية استعملت فيها أقسى أنواع الأسلحة ، وكان الهجوم على لبنان برا وبحرا وجوا، فقتل وجرح المئات من الأبرياء وتهدمت المنازل، وأصبحت المرافق رمادا، وقد استمر هذا الهجوم ستة عشر يوما، وكانت الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل فى هذه الأعمال، وتدير وجهها عن العرب وصيحاتهم المكتومة التى حرموا من إظهارها.

ويقول الرئيس اللبنانى إلياس الهراوى : إن العدوان الإسرائيلى على لبنان لايقل فظاعة عن المحارق النازية «الهولوكوست» وإن القصف الإسرائيلى كان بمثابة عمليات إبادة جماعية هائلة ، أعادت إلى الأذهان عمليات النازى.

وقد أثبت بها بيريز كفاءته ليقود إسرائيل فى الفترة القادمة فزعيم إسرائيل لابد أن يكون فظًا غليظ القلب وإلا انفضت عنه الجماهير اليهودية.

ومن عجب أن إسرائيل كانت ترسل أجهزة التليفزيون لتصور الضرب والتخريب، فهذه شهادة لبيريز لينال أصوات الناخبين الذين لايرضيهم إلا الزعيم المدمِّر القاسى، ولايهتم الصهاينة بامرأة عجوز سقطت تحت وابل القنابل ولابطفل صغير، فدماء العرب هى التى تكسب الأصوات الانتخابية لمجرمى الحرب، وبيريز امتداد لجيل سابق من الطغاة القساة من أمثال رابين وشارون وبيجين وبن جوريون.

وقد عجز مجلس الأمن عن إصدار قرار بوقف إطلاق النار، وكيف يستطيع ذلك والولايات المتحدة ضالعة مع إسرائيل ومؤيدة لها ومستعدة لاستعمال الفيتو لصالحها إن لم تكُفِ النظرات الحمراء من ممثلة الولايات المتحدة.

وقد خُرست أسلحة العرب وألسنتهم إزاء هذا العدوان، وأخذ رئيس وزراء لبنان يطوف البلاد العربية، ولكن هذه كلها كانت كالكائن الميت الذى لايمكن أن ينقذ المكلوم، واللسان الوحيد الذى انطلق كان لسان الصحف المصرية حرسها الله، فكتب الأستاذ جمال بدوى في الوفد يتحدث عن «المغول الجدد» والحق إن إسرائيل فاقت كل تدميرات المغول، ويقرر أن هذه الدماء هي وسيلة نجاح بيريز فى انتخابات مايو ١٩٩٦ وهى أيضا تضمن لكلينتون أصوات اليهود فى الولايات المتحدة، وكتب الأستاذ عبد العزيز محمد يقرر أن العالم العربى لم يعد يملك إلا الصراخ والأنين، وأكد جميع الكتاب أن عدونا الحقيقى هو الولايات المتحدة، فهى التى تعطى السلاح والمال والتأييد، وإن العالم العربى يتساءل عن موقف مصر بالذات التى يُظَن أن رباطا من الود يربطها بعالَم لايعرف الود في أمريكا وإسرائيل.

وانتظر العرب حتى أدت الحملة الإسرائيلية كل أغراضها وحققت أهدافها، فلما توقف الجزار من تلقاء نفسه راح العرب للأسف يقدمون التهانى للولايات المتحدة ولإسرائيل على قرار إيقاف الحرب.

ويقول النقاد أن ضرب لبنان كان برقية إنذار لجميع العرب وقد أدَّت البرقية مهمتها فصمت الجميع، ولكن الشعب العربى لايخاف كل أسلحة إسرائيل وهو مستعد للمواجهة مهما كانت النتائج.

إننا أثبتنا هنا إشارات لما كتبته الصحف المصرية القومية والحزبية حتى لاتنساها الأجيال مع صراع الحياة فى المستقبل.

والعجيب أن كل هذه القسوة لم تُؤْت ثمارها بالنسبة لبيريز، فاليهود يحتاجون إلى زعيم أكثر قسوة، ولذلكَ نجح فى الانتخابات «نتنياهو» ورسب بيريز، وسرعان ما أطلق نتنياهو التصريحات التى تقوِّض كل ماتمَّ من خطوات فى طريق السلام، لقد كان هناك سباق في القسوة بين زعماء إسرائيل ونجح زعيم الليكود، وسرعان ما أرضى ناخبيه حينما أعلن اللاءات الثلاثة؛ لا لدولة فلسطينية مستقلة، ولا لتقسيم القدس، ولا للجلاء عن الجولان، والكرة - كما يقولون - هى الآن فى المجال العربى أو الملعب العربى لنرى ردَّهم على هذا التحدِّى.

ويقول رجال الاقتصاد إن ضرب إسرائيل للبنان لم يكن ردا على صواريخ حزب الله، وإنما كان يُقْصَد به تدمير لبنان والقضاء على الطرقات بها وعلى البنية الأساسية باعتبار لبنان منافسة شديدة المنافَسة لإسرائيل فى المجال الاقتصادى، فهى التى ينتظر بسبَب مهارتها الاقتصادية أن تنازع إسرائيل القيادة فى هذا المجال.

ولم تقنع الولايات المتحدة بما حققته إسرائيل فى هذه الجولة، فهيأت لها أن تعقد اتفاقا مع تركيا لتُخيف سوريا من هذا التحالف المشئوم، وللأسف لم تقنع تركيا المسلمة بما أحدثته ضد سوريا والعراق فى مجال الماء، فراحت تتحالف عسكريا مع إسرائيل، وتسمح للطيران الإسرائيلى أن يمرح فى أجواء الشمال.

وقد بدأت أنواع من العقوبات الدولية ضد السودان، وتذكر أخبار يوم عيد الأضحى أن واشنطن غير قانعة بهذه العقوبات وتريد المزيد، وهى تتخذ من مصر وسيلة لذلك باعتبار السودان تحمى الخونة الذين دبروا حادث الاعتداء على الرئيس حسنى مبارك في أثيوبيا، ولو كان الأمر بيدى لعفوت عن السودان مع ضخامة جرمها، حتى لاتتساقط الدول العربية الواحدة بعد الأخرى، وحتى لاتطوّق مصر بالأعداء من كل جهة.

ومن عجب أن الملوك والرؤساء العرب الذين خرست ألسنتهم فلم يرفعوا أصواتهم ضد إسرائيل أو الولايات المتحدة، هؤلاء الرؤساء تناسوا الدم المراق فى لبنان وراحوا يتبادلون التهانى بالعيد الذى جاء ولبنان جريحة مصابة .

وقد ذكر الكتّاب العرب أن كل إسرائيلى أصبح «قارون» فى تبجحه وكبريائه، وأن روح موسى اختفت تماما من المجتمع الإسرائيلى .

وبعد هذه المذبحة الضارية فى لبنان تعهد الرئيس الأمريكى كلينتون بدعم أمن إسرائيل وتأكيد تفوقها العسكرى على كل دول المنطقة مجتمعة ووعد بتزويد إسرائيل بطائرات مقاتلة من طراز إف ١٥ ابتداء من العام القادم، وأكد عزم امريكا على جعل إسرائيل دولة مقبولة من جميع دول المنطقة، وصدر اتفاق للتعاون بين امريكا وإسرائيل به أربع نقاط أساسية للتعاون الاستراتيجى وهى تشمل أسلحة الليزر، وشبكة إنذار وتكوين فريق عمل ثنائى وتعاون شامل .

كل هذا والعرب يُعدُّون أنفسهم للتطبيع ولمزيد من الخضوع، ولم يعرفوا أن ضرب لبنان كان ضربًا لكل العرب، وتأديبا لكل المسلمين مما

يصدق معه أن نومة العرب قد طالت، وأن زعاماتهم لاتنظر للأمام إلا بعين كليلة والأمر لله.

إسرائيل وعدوانها على الأمم المتحدة:

وبسبب معونة كلينتون عبثت إسرائيل بكل القيم واستهانت بكل الأعراف فاعتدت على اللبنانيين الذين لجئوا أفرادا وأسرًا لمقر الأمم المتحدة في «قانا» وقد أكدت نتائج التحقيقات التي أجرتها الأمم المتحدة تعمُّدَ إسرائيل ارتكاب مذبحة «قانا» الوحشية ضد المدنيين في جنوب لبنان، وقامت الأمم المتحدة بإعداد تقرير بمسئولية إسرائيل عن استشهاد وإصابة المئات من المدنيين في مقر القوات الدولية بقانا واتجهت لعرض هذا التقرير على مجلس الأمن، واتهمت في تقريرها القيادة الإسرائيلية بارتكاب خطأ جسيم بالتعرض للمدنيين الذين لجئوا إلى مقر قوات حفظ النظام ليحتموا به، وأشارت إلى عدم وجود أدلة على قيام مقاتلي حزب الله اللبناني بإطلاق صواريخ على إسرائيل من معسكر «قانا».

وقد بدأت الضغوط الأمريكية لمنع نشر نتائج التحقيق أو عرضها على مجلس الأمن، وهدَّدت باستعمال «الفيتو» حتى لايجدَّد اختيار بطرس غالي لمنصبه في الأمم المتحدة عقابًا له على عدم خضوعه لتعليمات أمريكا.

وتقول الصحافة المصرية إن بيريز قد نجح في أن يجند كلينتون لحملته الانتخابية في ٢٩ مايو الحالي، ونجح كلينتون في الحصول على أصوات اليهود الأمريكان في انتخابه في الجولة الانتخابية القادمة بالولايات المتحدة، فإسرائيل ويهود أمريكا من هواة الدم، ولايجد هؤلاء وأولئك المتعة إلا في التدمير وإزهاق الأرواح.

السلاح النووى :

ونحن ندرك أن إسرائيل عدو لايعرف القيَم، وتؤيده الولايات المتحدة في مجال السطو والاستيلاء على حقوق الآخَرين، وقد اقترضت إسرائيل مالا وفكرا لتصنع السلاح النووى الذى يتكلف تكاليف باهظة.

ولكن هذا السلاح سلاح تهديد وتخويف وليس سلاحا للاستعمال، وقد أنفقت عليه دول الشرق والغرب المليارات، ولكنها لم تستطع أن تستعمله في كل ما مرَّ بها من أزمات، لأن تدميره لايقف عند حدٍّ، ولو استعملته الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى البائد، وبالتالى استعمله الاتحاد السوفيتى ضد الغرب لفنى العالم كله، ومن هنا فالمليارات التى أنفقت للوصول إلى امتلاك هذا السلاح هى فى الحقيقة مليارات ضائعة كان يمكن أن تطعم كل جائع، وتكسوَ كل عار، وتقدم مسكنا لكل إنسان، بل وربما تقدم سيارة وحديقة وصورا من الرخاء.

ولكن للأسف فزمام الأمور فى أيد مدمرة لاتفكر إلا فى السيادة على الآخرين وخطر السلاح النووى واسع الامتداد، وإسرائيل نفسها ليست فى مأمن كما يقول الخبراء .

على أن الدول العربية التى تهددها إسرائيل بالسلاح النووى ، لن تقف مكتوفة الأيدى كما يقول زعماؤنا، ويقول الخبراء ان امتلاك الدول العربية الرئيسية أسلحة كيماوية وربما بيولوجية قابلة للاستخدام على المستويين الاستراتيجى والتكتيكى يعتبر المحدِّد الأكثر أهمية بين محدّدات استخدام إسرائيل لقوتها النووية، وإن سوريا تستطيع استخدام سلاح كيماوى للانتقام من إسرائيل على المبادأة باستخدام السلاح النووى، فدور السلاح الكيماوى هو دور «الموازن» الرادع للسلاح النووى الإسرائيلى(١)

---

(١) محمد عبد السلام : حدود الخوف واستخدام الأسلحة النووية الإسرائيلية ص ٢٢٨ - ٢٢٩

وهناك الروادع فوق التقليدية التى يمكن للعرب أن يردوا بها على التحدى الذى نواجهه، مثل امتلاكنا للغازات الحربية والأسلحة البيولوجية والصواريخ متوسطة المدى وأسلحة التفجير الحجمى، وتتصف هذه الروادع بالسهولة فى الاستخدام والصعوبة فى الوقاية منها، وتتضاعف قيمتها أمام بلد كإسرائيل قليل السكان بحيث تكون الخسائر البشرية فيه ذات أهمية خاصة، فإذا امتلكنا هذا السلاح أجبرنا إسرائيل على عدم الإقدام على استعمال السلاح النووى[1]

إن السلاح النووى سلاح للرعب والتخويف وليس سلاحا للردع والاستعمال، وتلك كبوة إسرائيلية، فالإنسان اليهودى المعروف بالشح والرغبة فى الادخار بذل الكثير من ماله لخلق سلاح لن يكون ذا قوة للمعتدين، فإشعاعاته تمتدُّ إلى مدى بعيد يصيب العدو والصديق وتحمله تيارات الهواء، حيث تشاء، فاللهم اجعل كيدهم فى نحورهم وأذقهم العذاب الذى يُعِدُّونه للآخرين.

وقد أصدر جون ليسلى أستاذ الفلسفة والكونيات البريطانى كتابا بعنوان The End of the World: (نهاية الدنيا) وفيه يقرر أن الأسلحة البيولوجية يمكن أن تكون أكثر خطورة من الأسلحة النووية وأقل تكلفة ويصعب تحديد مجال التدمير الذى تحدثه لأنها من الأسلحة التى تولّد جزيّاتها بنفسها (تحليل نشر بصحيفة الأهرام ١١/ ٦/ ١٩٩٦).

وهناك – عند الله – أسلحة أقوى من الذرة، وتحركها يد الله سبحانه وتعالى وهى أسلحة الزلازل والأوبئة والإيدز، وهى تنتشر فى الولايات المتحدة انتشارا دونه انتشار القنابل الذرية.

والله المسئول أن يكون معنا فى هذه المواجهة مع أعداء بنى الإنسان.

---

(١) البرنامج النووى الإسرائيلى للدكتور ممدوح حامد عطية ص ٢١٧.

التطبيع :

ونحن نحذر ونكرر أن التطبيع مع إسرائيل حتى بعد السلام مع كل العرب، ليس إلا فتح الباب لسرقة الثراء العربى، وكيف لعربى بسيط أن يتاجر مع يهودى صناعته المال، وقد فتح التطبيع العربى الباب واسعا لإسرائيل لتقيم علاقات اقتصادية وسياسية مع أكثر دول العالم الإسلامى، وحجة الدول الإسلامية هى أن العرب أنفسهم قد عقدوا معاهدات سلام وأقاموا صلات ديبلوماسية واقتصادية مع إسرائيل، فلا حرج على المسلمين من خارج النطاق العربى أن يفعلوا مافعل العرب.

الشرق أوسطية :

ومن أجل دولة واحدة غريبة على هذا المجتمع وهى إسرائيل، تحاول هذه الدولة أن تلغى التعبير الخالد «المجتمع العربى» وتضع بدله تعبيرا جديدا هو «الشرق أوسطية»، وصعبٌ على أى عاقل أن نغيِّر جذور مجتمعنا من أجل هذه الدولة.

وبمناسبة انعقاد مؤتمر الأردن وفكرة الشرق أوسطية نشر أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة، وهم صفوة المجتمع المصرى بيانا جاء فيه :

- حرصت واشنطون على نجاح هذا المؤتمر، وهدفها يكمن فى إعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة بما يضمن الحفاظ على المصالح الأمريكية، والقضاء على التيارات الدينية (الأصولية)، وتحقيق التفوق الاقتصادى لإسرائيل باعتبار أنها أهم حليف لأمريكا فى المنطقة.
- ليس هناك شك فى أن الشرق أوسطية تعمل على نقل الدور القيادى لمصر إلى إسرائيل، والمضىُّ فى التعاون الشرق أوسطى لايحقق مصالح العرب بل يخدم إسرائيل.
- مئاتٌ من رجال الأعمال من الدول الخليجية يقومون بالسفر إلى إسرائيل من حين إلى آخر للاتفاق على مشروعات استثمارية

- التسوية الشاملة للمنطقة كلها، ونزع السلاح النووى يجب إعلانُه قبل أى شكل للتعاون.
- ينبغى التنسيق مع رجال الأعمال الشرفاء الذين يدركون خطورة مسرحية التعاون الاقتصادى الأمريكى الإسرائيلى على دور مصر ومكانتها.

وإيران ترفض المشروع وتذكر أنه إملاء من الخارج لايحقق أى نفع للعرب، وتركيا ترفض الانضمام إليه، أما وجهة نظر العرب فهى الشك فى دوافعه ولكنهم يجمعون على أن التعاون العربى الآن فاشل ولابد من طريق جديد.

وقد كتب الدكتور محمود عبد الفضيل كتابا بعنوان :

«الواقع والوهم حول الشرق أوسطية» وفيه يذكر أن الوهم العربى خَيَّل لبعض العرب أن هذا المشروع فيه نجاح لاقتصادهم، وهو من مكاسب السلام الناجم عن تسوية الصراع العربى الإسرائيلى، ويقرر هذا الاتجاه الواهم أن سرعة اللحاق بالقطار ضرورية ولاداعى للتردد.

أما الفكر الإسرائيلى فهو فكر استراتيجى بعيد المدى يتمسك بالثوابت الرئيسية للحلم الإسرائيلى وأطماع اليهود، ويتخذ اليهود من الأردن وسيلةً لتحقيق أطماعهم، ويلقون بعض الفتات للأردن التى ترضى دائما بالفتات.

الباب الملكى للانتهازيين :

وقد قلنا من قبل أن بعض الناس يتقرَّبون من إسرائيل بوصفها الباب الملكى ليحصلوا على رضا الولايات المتحدة، ويقول المطلعون إن أفول نجم الاتحاد السوفيتى سيقلل من اهتمام الغرب بإسرائيل، وقد تم انهيار الاتحاد السوفيتى وسيتم إن شاء الله انهيار الأداة التى أقامها الغرب لتكون عونه فى

مواجهة الاتحاد البائد، وليس بعيدا أن يتم انهيار الولايات المتحدة كما حدث مع الاتحاد السوفيتى.

الاقتصاد بين الدول الإسلامية :

وبهذه المناسبة نذكر أن تعاونا اقتصاديا شاملا يجب أن يقوم بين الدول الإسلامية بعضها والبعض، فتفتح النوافذ بسلاسة للتجارة والاقتصاد الإسلامى.

وأقول إن المقصود ليس التجارة فقط بل محاولة الرقى الاقتصادى والصناعى، بأن تفتح كلُّ دولة إسلامية للمسلمين الباب للتعرف على ما استطاعت أن تصل إليه من تفوُّق اقتصادى، وفى هذا المجال نريد أن نتعلم من إندونيسيا وماليزيا وسائلهما حتى أصبحتا من دول النمور، ورفعتا مستوى دخل الفرد أكثر من عشر مرات كما اعترف بذلك نيكسون فى كتابه سابق الذكر، وأعتقد أن رفع المستوى زاد عن هذا القدر بعد أن كتب نيكسون كتابه، فالاحصائيات الحديثة تقول إن دخل الفرد انتقل من ٨٠ دولارا إلى ٨٥٠٠ دولار، وكذلك نتعلم من ماليزيا وسائلها للتفوق فى الاليكترونيات وصناعة السيارات، وإذا كان عندنا تفوق فى جانب فلنبرزه، ولنقدمه لهذه الدول في حركة تبادل تخدم اقتصاد الجميع.

وفى الختام نكرر ماذكرته الصحف المصرية من نقد للهرولة العربية نحو السوق الشرق أوسطية، وندعو لإيقاف هذه الهرولة، والتسابقُ مع إسرائيل تسابقٌ غير متكافئ أو قل تسابق نحو الجحيم.

إسرائيل والتطبيع الثقافى :

وبمناسبة الحديث عن التطبيع الاقتصادى، نذكر أن إسرائيل تمتد أطماعها إلى التطبيع الثقافى، ليكون لها مكان فى المجامع والهيئات الثقافية

والصحفية، ويكون لها صلة بالجامعات ومراكز البحوث، وتلك صخرة قوية ندعو الله أن تعجز إسرائيل عن اقتحامها، ويمكن القول إن تأثير التطبيع الثقافى لو تمَّ - لاسمح الله - سيكون أثره خطيرا على ثقافتنا وحياتنا العلمية.

الاقتصاد والتنمية :

وحديثنا عن الاقتصاد ونحن نعد أنفسنا لصراع الحضارات فى القرن الحادى والعشرين، حديث يرتبط بمدى تطور البلاد الإسلامية فى شئون الاقتصاد ذلك التطور الذى يتبنى التطور التكنولوجى الذي هو أساس عملية التنمية، ونحن نعترف أن التعامل مع التكنولوجيا المتقدمة يحتاج لمهارة خاصة، ولكنا نؤكد إمكان الإنسان المسلم من الوصول لهذه الغاية، وهذا التطور يرمى لتحقيق الأهداف التالية :

١ - الموازنة بين الصادرات والواردات.

٢ - أن ينتج العالم الإسلامى مايحتاجه من الغذاء.

٣ - أن يكف عن القروض وقبول المعونات.

٤ - التطور الاقتصادى بحيث لانقنع بتصدير القمصان، بل نحاول تصنيع بعض المعدات التى تغنينا عن استيرادها وتتيح لنا فرصة تصديرها، وألاحظ للأسف الشديد أننا نستورد أشياء تافهة يمكن أن نقوم بتصنيعها بالكثير من السهولة، فمستلزمات مكتبى البسيطة أجدها مستوردة من كوريا ومن الصين، كالمسطرة والصمغ والدباسة وآلة خلع الدبابيس، بل ربما الدبابيس نفسها مستوردة من الخارج، وغفر الله لجمال عبد الناصر الذى أذاع يوما بأننا نصنع من الإبرة إلى الصاروخ وماكنا صنعنا إبرة ولاصاروخا، وحسابه على الله.

ونعود للحديث عن الموازنة بين الصادرات والواردات فنقرر للأسف أننا مستهلكون أكثر منا منتجين فبلادنا سوق للآخرين، وهذه حقيقة ظاهرة فى مصر وفى كثير من البلاد الإسلامية، وهى حقيقة مؤلمة يجب أن نعالجها حتى نوازن بين مانصدّره ومانستورده، بل نحاول أن تكون صادراتنا أكثر من الواردات.

إهمال الزراعة فى أقطار زراعية :

أما الغذاء فمشكلة كبرى، ومن الواضح المشهور أن من فقد غذاءه فقد هويته، فالدولة التى تقدّم لنا الطعام تأخذ الحرية مع ثمن الطعام وتهددنا دائما بالجوع فنخضع، ولايكون لنا رأى فى الأمور، ونحن فى مصر نستورد للأسف جزءا كبيرا من طعامنا مع النيل المتدفق، والأرض الخصبة، والجو المناسب لكل أصناف المزروعات، والأيدى العاملة الكثيرة والرخيصة، وحولنا الأرض البور ولانبذل الجهد الكافى لخضرتها، ومثل هذا يقال عن العراق والسودان. . ، وينبغى أن نقتدى بالصين التى لم تتجه للصناعة إلا بعد أن كثرت الأطباق على مائدة الفلاح الصينى كما سبق القول.

وبوجه الدقة نحن نستورد حاليا قرابة ٥٠٪ من غذائنا، والمساحة المزروعة فى مصر هى ٦ ملايين من الأفدنة، والصحراء حولنا يمكن أن تزرع وهناك ١٢٠ مليون فدان جاهزة للزراعة فى السودان وتحتاج فقط إلى شبكة مواصلات وقدر من الاستثمارات الضرورية، ومايزرع بالبلاد العربية لايزيد عن ٥,٨٪ من الأرض الصالحة للزراعة والاستثمارات العربية تصل إلى ٦٥٠ مليارا من الدولارات وفى البلاد العربية منها ١٥٪ فقط.

انقلاب عبد الناصر وأضراره على الزراعة :

وكان من المثالب التى ارتكبتها ثورة عبد الناصر أن ادعى أنه سيتجه بالبلاد إلى التصنيع، ومن هنا بدأ الإهمال يتجه للزراعة، فهاجر عدد كبير

من الفلاحين إلى المدن ليلتحقوا بالمصانع، وأخذت الزراعة تعانى من نقص الأيدى حتى أننا فى الريف لم نجد من يجنى القطن، وفُتحت المدارس والجامعات للأذكياء والأغبياء فانهال الأطفال على المدارس وبدأ الكساد على الزراعة، وفى عام ١٩٩٥ أخفى القادرون السماد فتضاعف ثمنه، وضعفت الحاصلات لذلك، وأصبحت الزراعة فى عالم النسيان، ولم نَخْطُ أية خطوة للأمام، وسرعان ماحققت الصناعة خسائر هائلة فيما أسماه عبد الناصر بالقطاع العام، ولاحول ولاقوة إلا بالله، ونحن نعرف خطة الصين التى أعلنت أن الزراعة أولا حتى يتوفر الغذاء للشعب، وبعد الزراعة تجئ الصناعات الخفيفة، وأخيرا تجئ الصناعات الثقيلة كما سبق القول.

إن مئات الآلاف من الأفدنة الصالحة للزراعة توجد في العراق والسودان فتهمل دون أى استغلال، ولو زرعت هذه الأرض لأمكن أن نُصدِّر الغذاء بدل أن نستورده.

والوحدة الإسلامية التى ننشدها هى التى ستقدم اليد العاملة والآلة لهذه الأرض فتنتج للجميع.

التنمية والديمقراطية :

هناك قاعدة اصطلح عليها رجال الاقتصاد تقريبا هى ثبوت العلاقة بين الديمقراطية والتنمية، فالديمقراطية لاتزدهر إلا فى مجتمع حقق قدراً من التنمية، ولكن التنمية لاتستقر ولا تتواصل إلا إذا توفر لها إطار الديمقراطية.

وواضح أن الفقر يمنح السلطة للديكتاتورية، لأن الفقير مشغول بلقمة العيش فلا يستطيع أن يضغط على المستبدين، وهذا يعطى فرصة لدعم الاستبداد، ومن هنا يتجه الديكتاتور إلى مصادرة أموال الأغنياء ليُذِلَّهم وليأخذ سلاح الغنى من أيديهم كما فعل عبد الناصر .

ويقوَى الاستبداد كذلك لو قام الديكتاتور بمغامرة عسكرية أدت إلى هزيمة جيشه، فإنه فى هذه الحالة يتجه بكل قواه لتعويض جيشه حتى لايثور عليه، وتستدعى الهزيمة ورشوة الجيش المزيد من الفقر وبالتالى إهمال التنمية البشرية (التعليم والصحة والإسكان) فتزداد الأمور تعقيدا. كما حدث لمصر بعد هزائم عبد الناصر الكثيرة.

وقد حدث تطور اقتصادى خطير فى جنوب شرقى آسيا (ماليزيا وإندونيسيا وسنغافورة وكوريا الجنوبية والفيلبين. .) فانتقل دخل الفرد من ٨٠ دولار سنويا إلى ٨٥٠٠ دولار كما قلنا آنفا وهى طفرة واسعة فى دول لا ديمقراطية فيها، وأسباب هذه الطفرة هى :

١ - أن القيادة فى أيد لها مهارة ذاتية وليست متجمدة
٢ - تتنافس القياداتّ فى هذه المناطق لتحقيق الأفضل
٣ - تطمع هذه القيادات الديكتاتورية أن تستقر في الحكم عن طريق هذا التطور، إذ يحتمل أن تنال بذلك إرضاءَ الشعوبِ بدل استقرارها بواسطة القوة والضغط الديكتاتورى

وذلك مثال نقدمه للمسلمين فى مختلف الأقطار وبخاصة أن بين النمور دولاً إسلامية ولو نجحنا فى إشاعة هذا المثال لأرضينا غرور هواة الديكتاتورية ولكسبنا النماء للشعوب الإسلامية .

والتطور الاقتصادى بذلك سيؤثر على بزوغ الديمقراطية واستقرارها . وفى سبيل التنمية يمكن للمسلمين أن ينتفعوا بالجهد البشرى الذى لايتعارض مع الفكر الإسلامى وذلك باستعمال الأدوات والبذور والوسائل التى قد تنجح تجربتها فى أى مكان بالعالم.

البيئة والتنمية :

هذا ونذكر أن للبيئة علاقة وثيقة بالتنمية، وبين أيدينا كتيب عنوانه «التنمية والبيئة» كتبه الدكتور شوقى أحمد دنيا، وهو باحث إسلامي وسنقتبس منه بضعة سطور لإيضاح أهمية البيئة فى تطوير الاقتصاد ودراسته :

هناك رباط وثيق بين البيئة والتنمية، ولايمكن تحقيق تنمية عالية مع ضعف في البيئة واستنزاف لها، فالهدف الذى يجب أن نسعى له هو إنجاز التنمية مع حماية البيئة ورعايتها، والبيئة هى مايحيط بالإنسان من عناصر طبيعية واجتماعية وأنظمة اقتصادية وسياسية، وقيم وعقائد وعادات وأنماط ثقافية سائدة.

والعدوان على أى عنصر من هذه العناصر هو عدوان على البيئة، ويتجه الفكر الإسلامى في تعريف البيئة والحديث عنها إلى هذا الشمول كما سنرى.

وقد كان من الشائع أن بيئة الدول الغنية أكثر نقاء من بيئة الدول المتخلفة، ولكن الحق أن الدول الغنية تكثر فيها الإفرازات التى تلوث البيئة وذلك لكثرة المصانع وماتنفثه من سموم، وكذلك من عادم السيارات وغيرها، ولكن الانهيار الطبيعى فى بيئة الفقراء جعلها أكثر سوءا من بيئة الأغنياء، فتلوث المياه شيء منتشر فى الدول الفقيرة حيث يوجد أكثر من مليار نسمة لايستخدمون فى طعامهم وشرابهم مياهًا نقية.

وإذا كان العالم الإسلامى يعانى مشكلة التخلف الاقتصادى ، فإنه سيكون من الصعب تحقيق التنمية فيه، فلابد لتحقيق التنمية أن نرفع شأن البيئـــة.

وعدم الاهتمام بالبيئة سينتج عنه تدهورها أو مرضها، وبذلك تفقد البيئة صلاحيتها وتزداد حالتها سوءا كلما تزايدت الاعتداءات عليها إلى أن تصبح بيئة فاسدة.

والقرآن الكريم يعبر عن البيئة بكلمة الأرض، ويتحدث عن صلاحية الأرض، ومعنى ذلك فى عبارة فنية صلاحية البيئة، وعلى الرغم مما فى الأرض من مقومات عالية الكفاءة فهى قابلة للإفساد والتدهور إذا أسرف الإنسان فى الاعتداء عليها.

ويقول تعالى: «ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها» (الأعراف: ٥٦) وتذكر الآية صلاح الأرض واستعدادها لسد حاجات الإنسان، فالأرض بكل مافيها وماعليها خلقت على الوجه الملائم لمصالح الناس.

والمشكلات البيئية لاتعرف الحدود والحواجز، وما من شىء أقدر على اختراق الحدود من مشكلات البيئة، والإفساد فى الأرض متنوع يشمل الإسراف الذى ينهك قدرات البيئة، ويستنزف قدراتها حتى تضعف، ومن هذه المشكلات التلوث وهو تراكم عناصر ضارة وغير مرغوب فيها.

وهناك تلوث الماء وتلوث الهواء وتلوث سطح الأرض، وتلوث بعض الجمادات، والتلوث من النفايات الغازية والسائلة، وهناك التلوث الناشىء من الضوضاء ومن الزحام، وهناك التلوث الفكرى والتلوث الاجتماعى والتلوث الأخلاقى.

ومن مشكلات البيئة التعطيل أى عدم استعمال الأرض للإنبات فهذا يضر الإنسان الذى يحتاج لما تنبته الأرض، ومن هنا فإننا ندين الدول العربية والإسلامية التى بها أرض صالحة للزراعة ولاتزرع، ومن هنا اتجه الفقهاء المسلمون إلى إدانة من أهمل في زرع أرضه أو سقى

زرعــه، والقـرآن الكريم يقــول فى ذلك «وإذا تــولى سـعى فى الأرض ليفسَد فيهـا ويهلك الحرث والنسل» (البـقـرة : ٢٠٥) وترْك الــزراعـة أو إهمـال سقيهـا إهلاك لحــــرث موجـود أو يمكـــن أن يوجد ومن هنـــا جاء قوله ﷺ : «من أحيــا أرضــا ميتة فهــى له»، ويقــول الإمـام الغزالى عن ذلك إن فى إهمـال الأرض الصـالحة تخريبا للدنيا أولاً، وللــدين بواسـطة الدنيا ثانيــا.

فمن يعطل أرضه ولو أدّى خراجها يعتبر مخطئا، ولايقرُّه الإسلام على ذلك، ومثله من استعملها استعمالا خاطئا، وتتدخل الحكومة الإسلامية ليقوم صاحبها بالعناية بها، أو تكل الحكومة سواه ليقوم بذلك.

ومع أن التنمية الاقتصادية ضرورية لإحياء الكون فإن المبالغة فيها ينقل الأمر إلي الجشع الضار، فالإنتاج ينبغى أن يكون لسد حاجة الإنسان، أما أن تكون الزيادة لمجرد الزيادة أو للاستهلاك غير اللازم فذلك سرف يضع الإنسان عبدا للمادة التى ينتجها فالفكر الإسلامى يتجه للتنمية لإسعاد الإنسان وقضاء حاجاته.

الميــــــــاه :

ومشكلة المياه من المشكلات الكبرى التى ستواجه العالم العربى ولابد من دراستها وإيجاد الحلول لها. وهناك مشكلة نهر النيل ومايثار حوله من مشروعات بالسودان أو بأثيوبيا أو بإفريقية، ومشكلة نهر دجلة والفرات بين تركيـا والعـراق وسوريا، ومشكلة الميـاه بين إسـرائيل وفلسطين والأردن، ويقولون إن مشكلة المياه ستكون من أهم مشكلات القرن الجديد، ومشكلة المياه لاتقف عند الصراع الدائر بين الدول التى تنتفع بالأنهار، بل تمتد إلى عوامل طبيعية أخرى أسهمت فى تفاقم هذه المشكلة، ومن هذه العوامل النقص الطبيعى فى تدفق المياه ببعض الأنهار، فقد حذّرت تقارير اللجنة

الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة من أن الأنهار والبحيرات الكبرى فى افريقية ستواجه انخفاضا ملحوظا فى معدلات التدفق المائى بها على مدار السنوات القادمة، فبحيرة تشاد انخفض معدل المياه بها انخفاضا شديدا جدا، والمياه عنصر أساسى من عناصر الاقتصاد القومى.

وسوريا تتهم تركيا بأن المياه الواردة لها عبر تركيا ملوثة تضر بالإنسان والحيوان والنبات.

تلوث المياه :

ومن أشد الأخطار المرتبطة بالمياه عملية التلوُّث التى تتفاقم وبخاصة في البلاد الإسلامية، فالسفن التى تمخر العباب قد زادت بزيادة الحركة السياحية النهرية، وهذه السفن تلقي فضلاتها بالمياه وكثيرون من الناس يقيمون «شاليهات» واستراحات على حافة الأنهار ويلقون في النهر قاذوراتهم ونفاياتهم، وبعض المصانع تتخذ من الأنهار مكانًا لإلقاء نفايات العمل، وهذه كلها سموم تختلط بماء الشرب، ولابد من وقفة حاسمة لإيقاف هذا العدوان على مصدر مهم من مصادر الحياة.

وتلوث الهواء :

أما تلوث الهواء فوباء آخر يرتبط بالمصانع وبخاصة مصانع الأسمنت التى تنفث السم الذى يقتل الزرع والشجر والإنسان.

الريف والقرية فى بلاد الإسلام :

القرية :

والحديث عن الزراعة يشدنا للحديث عن القرية التى يسكنها الزراع وإذا كانت القرية التى شاهدناها فى الغرب تجذب سكان المدينة للراحة والهدوء فى أحضان الطبيعة الجميلة، فإن القرية فى العالم الإسلامى ليست جاذبةً بل طاردة، فالكثيرون من أهلها هجروها إلى المدن يطلبون العمل والرزق أو

هجروها للبلاد العربية للعمل فى أى مستوى، وإذا ذهب لها أهل الحضر لمصالح لهم استقرت فى القرية أو لصلة ذوى الأرحام، فإنهم سرعان مايعودون هاربين منها، فالشوارع ضيقة، وتلال السباخ تملأ الأزقة والحوارى، والقمامات فى كل مكان، وبالتالى مواكب الذباب والناموس تشارك الناس حياتهم ولاتتيح لهم فرصة للراحة.

والخيرات أوشكت أن تختفى من القرية حتى تلك التى كانت من معالم الريف، وقد كنا نمشى إلى الريف فنجد الزبد والألبان والطيور والبيض والخضروات والفاكهة ميسرة ورخيصة الثمن، ولكن هذه الأشياء أوشكت أن تختفى من القرية، فالذاهب لها ينبغى أن يأخذ معه حاجياته من هذه الأشياء.

والحكومات فى كثير من دول العالم الإسلامى لاتعرف القرية إلا عندما تبعث من يجبون الضرائب، وفى عهد عبد الناصر كان جباة الحكومة يأخذون الحاصلات بالثمن الذى تحدده الحكومة، ويُدفع الثمن عندما تريد الحكومة، وعلى الفلاح أن يحمل الحاصلات ويورِّدها للحكومة وهو يستجير ولامن مجير، والويل له لو تأخر عن توريد حاصلاته.

ان حكومات العالم الإسلامى يجب أن تنتبه للريف وتحسِّن له البنية الأساسية من مياه وصرف صحى وتليفونات وكهرباء ومدارس ونظافة، بل أن تعيد بناء القرية التى تُمدُّنا بجنود الجيش وبكثير من المفكرين والقادة وبذلك نستطيع أن ندخل القَرن القادم بكل سكان البلاد وليس بسكان المدن وحدهم.

القـــروض:

أما القروض فبلاء واسع، وهى على مصر عبء ثقيل، فدفع أقساط الديون وفوائدها يرهق الميزانية، والويل لمن تأخر عن تسديد الأقساط

والفوائد فى مواعيدها، فإن صندوق النقد يتحرك ويوقع العقاب بالدولة التى تتوانى فى التزاماتها، وكذلك يفعل البنك الدولى.

والقروض للأسف لاتصل للدولة المقترضة، فجزء منها يذهب للسماسرة الذين يسَّروا عملية القرض، وجزء آخر تشترطه الدولة المقرضة فى شكل خبراء أو فى شكل بضائع يمكن الاستغناء عنها أو شراؤها بثمن أقل نقدا أو من دولة أخرى.

ثم نجئ إلى مشكلة أخرى عاتية أشرنا لها فيما سبق وهى عدم الانتفاع العاجل بالقروض، بل ركْنها، وركن الآلات التى اشتريناها ربما حتى تصدأ أو تُختَرع آلات أعظم منها.

وعلى العموم فالقروض والمعونات وسيلة الغرب لاستئناف السيطرة على دول الشرق.

القطاع العام:

مأساة أخرى من المآسى الكثيرة لانقلاب يونيو سنة ١٩٥٢ فقد قام عبد الناصر بتأميم ومصادرة ٨٥٪ من الوسائل الرئيسية للإنتاج في الصناعة، وكلّ وسائل النقل كاملة، وخلق تبعا لذلك ماسمى «القطاع العام» لإدارة وسائل الإنتاج المؤممة.

وقد أجمع الكتاب والمفكرون على أن هذه الحركة أدَّت إلى إفقار الأغنياء وتجويع الفقراء.

وقد كتبتُ دراسة مفصلة عن القطاع العام فى الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامى (ص ٥٨١ - ٥٩٠) وكان من أهم مراجعى كتاب يوثق به، مؤلفه المستشار محمد عبد السلام (النائب العام ١٩٦٣ - ١٩٦٩) وفيه يتحدث عن الانحرافات والسرقات التى قام بها من تُرِك لهم القطاع العام

فنهبوه ودمّروه، لأنهم كانوا موضع ثقة عبد الناصر ولا كفاءة لهم تبعا للقاعدة التى عاش لها وهى : أهل الثقة وليس أهل الكفاءة ويورد المستشار محمد عبد السلام نماذج كثيرة للسرقات والنهب والاستغلال والرشوة واستغلال النفوذ، وكيف كان الحريق وسيلة سنوية للتخلص من الوثائق التى تثبت هذه الاختلاسات.

وللأسف الشديد طالت حياة القطاع العام مع شيوع انحرافاته، وبدأت الدولة سنة ١٩٩٦ تعلن عن بيع جزء منه، وقد استبشر الناس خيرا بهذا الاتجاه الذى جاء متأخرا جدا، ويقول الدكتور وجيه شندى وزير الاستثمار والتعاون الدولى سابقا : إن طرح أسهم الشركات العامة للبيع فرصة طيبة للتخلص من قضايا الانحراف والتسيب وإهدار المال العام، وكذا وضع نهاية لمواسم الحرائق في عدد من الشركات فى مواعيد الجرد السنوى، وكذلك التخلص من سوء الإدارة وترسية العطاءات والقصة الخالدة التى تقول إن المال العام مال ليس له صاحب (صحيفة الأخبار فى فبراير ١٩٩٦).

ما أكثر العناء الذى لحق بالبلاد من جراء هذا الانقلاب العسكرى الغاشم، وإن القضاء على القطاع العام وسيلة مهمة من الوسائل الاقتصادية التى تساعدنا على دخول القرن الجديد بدون قيود أو عوائق.

فى مجال التربية والتعليم

خصصتُ الجزء الخامس من موسوعة الحضارة الإسلامية للحديث عن التربية والتعليم فى الفكر الإسلامى، وقد قدمت دراسات واسعة ونصائح مهمة لرفع شأن التعليم فى العالم الإسلامى، وأنا هنا لا أعيد مادونته هناك بل أضيف جديدا لنستطيع أن نواجه التحدى فى القرن الحادى والعشرين .

أمية القراءة وأمية الفكر :

وأول مانبدأ به فى هذا المجال ضرورة القضاء على الأمية، والأمية التى نقصدها هى عدم معرفة القراءة والكتابة، ومعها الأمية الفكرية التى تقف ببعض المتعلمين عند ماتلقوه فى المدارس والجامعات، وعدم متابعة مايجدُّ من فكر فى مجال التخصص، أو فى مجال الدراسات الاجتماعية من تاريخ وحضارة وأديان، ويَسخر الناس من وجود ثلاث عشرة جامعة غير الأزهر وفروعه مع وجود أمية تصل إلى ٥٠٪ فى المجموع و ٧٠ فى النساء فهذا هو الهرم المقلوب، ونحن نريد مدارس للتعليم الأساسى تضم جميع من هم فى سن الطفولة والصبا، ونستطيع أن نقلل من الجامعات التى تخرج شبابا لايجدون عملا ويظلون عاطلين أكثر من عشر سنوات، وربما كان بعض هؤلاء يساهمون - بحكم الحاجة واليأس - فى عمليات العنف والثورة على الأوضاع المعكوسة .

ويثبت الواقع شيئا آخر مؤلما يرتبط بالجامعات ذلك هو قلة المدرسين والأساتذة فى جامعات الأقاليم ويغلب أن تعتمد هذه الجامعات على المنتدبين من جامعات العواصم، وهى مأساة تجعل الجامعة كأن لم تكن، فكأن الجامعة تنشأ من أجل رئيس للجامعة وبعض العمداء المحظوظين هدية لهم بدون اهتمام بالقضية التعليمية، ومما يجب أن نعمله فى خدمة الفكر أن نوثق الروابط بين الجامعات بالبلاد الإسلامية وكذلك مراكز الأبحاث

بالعالم الإسلامى لخدمة الهدف المشترك وهو إحياء الحضارة المادية وتقوية الحضارة الإسلامية الأصيلة .

ومما يجب علينا أن نعمله لخدمة التربية والتعليم العمل الدائب لنشر الإسلام والعودة للإسلام المستنير.

ومما يؤسف له أن كليات القمة بمصر (الطب والهندسة والإعلام والزراعة..) ليس بها كلمة واحدة عن الإسلام، فطالب الطب لايعرف شيئا عن القمم الإسلامية فى مجال الطب، عن الرازى وابن سينا وابن رشد والزهراوى.. وطالب الهندسة لايعرف شيئا عن الخوارزمى ، وطالب كليات العلوم لم يسمع عن ابن الهيثم، وهكذا ثم إن هؤلاء وهم قيادات المستقبل نتركهم وأفئدتهم هواء لايعرفون آداب الإسلام وقيمه، وكثير منهم يتلقون الإسلام من بعض الأدعياء .

وإذا جئنا للكليات التى بها دراسات إسلامية ، قابلتنا مشكلة خطيرة، فقد دخلت خرافات على الفكر السليم عن طريق جماعات قلّ وعيهم الإسلامى، وانتشرت هذه الخرافات حتى أصبحت كأنها هى الأصل وأصبح تصحيحها صعبا يحتاج لجهد كبير، ومن هذه الخرافات كلام عن المسيخ الدجال الذى سيخرج آخر الزمان وهو أعور ويركب حمارا ليُضلّ الناس، وكذلك قصة المهدى المنتظر، وقد وضعت أحاديث يتداولها الناس عن هذين الموضوعين، ونعجب كيف يتصورون أن الله الهادى سبحانه وتعالي يرسل دجالا يضل الناس، وماذا يستطيع أن يفعل رجل أعور يركب حمارا وأين سينزل وكيف سيتحرك، وقد نجا منه ملايين الناس قبل ظهوره فما ذنب الذين يعاصرونه ؟

وقد كتب العلامة أبو الحسن الندوى عن ذلك الوضع فوضّح أن مايُعْرَف بالدجال ليس إلا الاتجاه المادى العلمانى الذى لايعترف

بالروحانيات، وأن المسيخ الدجال خرافة وله فى ذلك دراسة طويلة مفيدة، ومن كلماته فى ذلك :

«إن فى سورة الكهف من التوجيهات والإرشادات والأمثال والحكايات ما يبين الدجال ويشخصه فى كل زمان ومكان، ومايوضح الأساس الذى تقوم عليه فتنته ودعوته، وتهيىء العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها والتمرد عليها، وإن فى هذه السورة روحا تعارض التدجيل وزعماءه ومنهجَ تفكيرهم وخطة حياتهم فى وضوح، والسورة كلها خاضعة لموضوع واحد أستطيع أن أسميه «بين الإيمان والمادية»

هذه هى قصة الدجال بين زعم الجهلاء وبين الحقيقة الإسلامية أما قصة المهدى المنتظر فهى قصة الإمام الثانى عشر من أئمة الشيعة الاثنى عشرية وقد مات هذا الإمام فى يوم واحد مع موت أبيه الحسن العسكرى وكان هذا الإمام فى الخامسة من عمره وبالتالى ليس له أولاد فخاف زعماء هذا المذهب أن ينفضً أتباعهم عن الاثنى عشرية لعدم وجود إمام ، فادعى هؤلاء الزعماء أن الإمام لم يمت وإنما اختفى وسيظهر بعد حين ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.

وقد أصدر الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق والذى كان وكيلا للأزهر وقائما بعمل شيخ الأزهر كتابا في ذلك الموضوع هاجم فيه القول بمهدى منتظر(١)

وبالإضافة إلى دراسة الدكتور النمر هناك أيضا كتاب ألفه عن هذا الموضوع الشيخ عبد الله بن زيد(٢)

---

(١) انظر كتابه : الشيعة - المهدى - الدروز

(٢) عنوانه «لامهدى منتظر بعد محمد سيد البشر» للشيخ عبد الله بن زيد.

ولعل المتعالمين يوقفون هذا النشاط الذى يضر ولاينفع .

ومن الجهود التى نبغي أن تبذل لخدمة التربية والتعليم الاستعانة بوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لتقدِّم للناس حلقات من الإسلام المستنير وتاريخه الناصع وحضارته الشامخة، ويلاحظ أن مايقدم هو غالبا من القضايا والأفكار المستهلكة المعروفة.

ومن أهم الجهود التى يجب أن تبذل لخدمة التربية والتعليم تصحيح المناهج بالاكتفاء كما قال الجاحظ وابن حزم بقدر من النحو والصرف يحمى من فاحش اللحن، وتوجّه الجهود لقراءة كتب الأدب والتدريب على الكتابة ثم إحياء علوم مهمة اختفت مثل مقارنة الأديان والحضارة الإسلامية والاكتفاء بالقليل من العلوم التى جدت على المناهج الإسلامية كالمنطق.

وينبغى أن يحدث تبادل للثقافات فى دول العالم الإسلامى حتى يتوحد أو يقرب المستوى الثقافى بين المسلمين جميعا .

تصحيح المجانية ونظام الالتحاق بالمدارس بعد التعليم الأساسى :

ويكون التعليم بالمجان في التعليم الأساسى مع مساعدة المحتاجين، وبعد مرحلة التعليم الأساسى ينصرف التلاميذ محدودو المواهب إلى الحرَف: الزراعة والتجارة والأعمال اليدوية كالنجارة والحدادة وأعمال الكَهرباء والميكانيكا والحياكة، تلك الحرف التى أوشكت أن تنقرض مع حاجة الناس لها.

وأوساط الطلاب يلتحقون بالتعليم الفنى ولانقبل منهم إلا من نحتاج إليه لمساعدة المهندسين والمحاسبين والزراعيين.

ولانقبل فى الجامعة إلا الموهوبين ويكون تعليم هؤلاء الموهوبين بالمجان ونقدم مساعدات للمحتاجين منهم، ونخضع عددهم لحاجة المجتمع،

وسنعطى بعد قليل تنظيما لتوزيع الطلاب بشكل أكثر وضوحا ونحن للأسف نخرج من الجامعات ألوف العاطلين ونحرم الحرف من التلاميذ مع حاجتنا لهذه الحرف، وقد فطنت مصر بعد فوات الأوان لذلك فأكثرت من الإعلانات عن ضرورة الحِرَف، وأنها ترجح الشهادات.

وهناك قاعدة وضعها الإمام الغزالى لإعطاء العلم لمن تظهر عليهم مخايل الذكاء والفطنة، ولا يقدَّم العلم للأغبياء وخيرٌ لهؤلاء أن يتعلموا الحرف فتكون لهم ولوطنهم مصدر خير قال الإمام الغزالى : إنه ليس الظلم فى إعطاء العلم لغير المستحق بأقل من الظُّلم فى منع المستحق(١).

أما غير الموهوبين فيدفعون تكاليف التعليم كاملة إذا أرادوا أن يلتحقوا بالجامعة. ولا يكتفى منهم بمصاريف جامعية بل يدفعون تكاليف التعليم الواقعية، فإن كثيرين من هؤلاء يملكون سيارات فارهة ويعيشون فى مستوى مالى متقدم، ولذلك فليس عدلا أن يُنفق عليهم من أموال الشعب ليتعلموا.

والمهم فى التعليم العالى ألا نقبل طلابا ثم نتركهم بعد التخرج عاطلين وتستمر البطالة أكثر من عشر سنوات، واعتقادى أن البطالة عند المتعلمين هى أحد الأسباب التى تدفع للعنف والإرهاب فالعاطل المثقف خطر على نفسه وعلى المجتمع كما ذكرنا من قبل.

ومرة أخرى ينبغى علينا ونحن نعد أنفسنا لصراع الحضارات أن ندرس للطلاب المسلمين الحضارة الإسلامية بنوعيها ونسير بها من البدء، ونرصد توقفها وتطورها، ونترك الباب مفتوحا للدارسين لإضافة مقترحات جديدة قد تثرى الموضوع وتكمل ماقد يعنٍ من نقص في الحضارة الإسلامية،

(١) إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٤٧

ويلاحظ أن الاستعمار حارب الدراسات الإسلامية والتطور العلمى، ولكنه لم يستطع أن ينقل المسلمين إلى العلمانية.

سعة الفكر:

نريد فى التربية الإسلامية أن نعلّم المسلم سعة الفكر، بقبول الاختلاف فى وجهات النظر حول موضوع ليس فيه نص مقدس لايحتمل التأويل. هذا الاختلاف أمر طبيعى، فعلى الإنسان أن يُلْقىَ رأيه ويشرحه ويكون بذلك قد أدى واجبه، فلا يُلزِم الآخرين باعتناق رأيه، بل يترك لهم الحرية فى إبداء آرائهم.

وبسبب فرض الإنسان لرأيه قامت المنازعات والصراعات التى كان من الممكن تجنبها لو شاع بيننا مبدأ سعة الفكر وعدم التعصب للرأى.

وسائل الإعلام:

وهناك وسيلة مهمة أظهرها التطور التكنولوجى الحديث، ولكن استعمالها فى العالم الإسلامى لم يحقق أهدافها حتى الآن، تلك هى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهى حتى كتابة هذه السطور ترمى فى أكثر محاولاتها إلى خدمة الحكومات والدعاية لها، وإلى الإعلانات التى تحصل الدولة من ورائها على عائد واسع، وتعرض بعض المسلسلات والأحاديث التى يقدمها الفنانون والمرضىّ عنهم من الأفراد، ويسمونها وسائل التلميع لمن تريد الحكومة أن تسند لَه منصبا كبيراً، وكل هذه الأهداف لاتخدم التربية، فلابد من عمل تخطيط دقيق لاستعمال هذه الأجهزة الموجودة بكل بيت تقريبا لخدمة الفكر ورفع مستوى المشاهدين والسامعين والقراء بتقديم زاد رفيع فى المجالات التى ترفع مستوى الشعوب وتعلى قدرها. وستتحدث بعد قليل عن الإسلام والدعوة بصورة أشمل.

تقديم الإسلام المستنير للعالم :

وبعد الصحوة الإسلامية التى نشاهد أشعةً منها في العالم الإسلامى ، يجب أن يدرك المسلمون التزامهم بتقديم الإسلام المستنير والأخلاق الإسلامية للمجتمع البشرى ، فنحن بذلك نقاوم الضباب الذى سكبه أعداء الإسلام ضد الإسلام ، ونحن - أيضا - نضم لصفوفنا قوة جديدة من أولئك الذين سيجذبهم الإسلام المستنير عندما يتعرفون عليه ، وهذا يستلزم أن نقدم الإسلام بلغات متعددة وبخاصة للقوى الكبرى غير الواقعة تحت النفوذ الغربى كالصين واليابان ثم بالأسبانية لتصل إلى القراء فى أمريكا اللاتينية بالإضافة إلى أسبانيا نفسها التى شاهدتها فى زياراتى لها وهى مقبلة علي الإسلام معترفة بأفضال الحضارة الإسلامية التى تركها أجدادهم المسلمون فى أسبانيا ، ونقدم الإسلام باللغات العالمية كالانجليزية والفرنسية من أجل الذين يجيدون هذه اللغات فى الهند ودول افريقية من عهد وقوعهم تحت الاستعمار .

ولاننسى اللغة الألمانية ، فالمعروف أن الألمان لهم شخصية وذاتية لاتذوب فى بوتقة الشخصيات الغربية الأخرى .

وهذا يبرز لنا الدور المهم الذى يجب أن يقوم به العالم العربى ، فهذا العالم يحمل المسئولية الأولى والكبرى فى فهم الإسلام ونصوصه الأصيلة ثم فى تقديمه للبشر كما فعل أجدادهم فى مطلع الإسلام .

المجتمع الإسلامى

خصصت الجزء السادس من «موسوعة الحضارة الإسلامية» للحديث عن : المجتمع الإسلامى وهذا الكتاب يشمل خمسة أبواب كالآتى :

الباب الأول : العالم قبل بعثة محمد وفيه تكلمت عن اليهودية والمسيحية والزرادشتية، وعن مانى ومزدك، وعن الأديان فى الصين، وعن الهند : الأديان والطبقات واللغات

وفى الباب الثانى تكلمت عن تكوين الفرد المسلم بمكة المكرمة حيث التزم المسلم بالانتقال من السيف للمسالمة ومن الثأر للقصاص. .

أما الباب الثالث ففيه تكلمت عن تكوين المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة إذ تكوَّن بها أول مجتمع إسلامى، وفى هذا الباب تحدثت عن المسجد ومكانته فى الإسلام، وعن المؤاخاة، والمعاهدة، التى وضَعَت الأساس للدولة الإسلامية، وعن أساس النظام السياسى والاقتصادى بالدولة الإسلامية، وعن حقوق غير المسلمين بالمجتمع الإسلامى.

وفى الباب الرابع وضَّحت عوامل الضعف فى العالم الإسلامى، وبعضها عوامل داخلية كضعف الدعاة، واختفاء الأخلاق الإسلامية، وأطماع السلطة، وغيبة الديمقراطية الحقيقية، وانتشار الفرق والأندية التى تكيد للإسلام فى غفلة من المسلمين كالروتارى والليونز، وكيف ينخدع المسلمون بهذه الأندية التى أجمعت كل المؤسسات الإسلامية على أنها شراك لصيد الضعفاء، وهى تحرص على جذب بعض المشاهير لتخدع بهم الناس والسيدات يقعن فى شراك هذه الأندية أكثر من الرجال.

والمسلم الذى يحبُّ أن ينتمى للأندية يجب أن ينتمى إلى أندية إسلامية عربية مصرية، ولا ينتمى إلى هذه الأندية التى تتخذ شيكاغو مركزا لها،

وندعو كل من لايعرف حقيقة هذه الأندية أن يقرأ ماكتبناه عنها فى كتاب اليهودية فسيرى حقائق خطيرة مخيفة لكل من هو حريص على دينه ووطنه .

كما تحدثت عن العوامل الخارجية التى أضعفت العالم الإسلامى وهى المغول والصليبيون والاستعمار والصهيونية .

وتحدثت في هذا الباب كذلك عن الجمود الذى سيطر على بعض المسلمين ، وعن مقاومة الإصلاحات الاجتماعية باسم الدين ، وعن الضلالات العقائدية المنتشرة فى العالم الإسلامى .

أما الباب الأخير فحديث عن «الطريق إلى الإصلاح»

وفي تقديرى أن موضوعات الكتاب كلها جديرة بالعناية ، ومع هذا فلا يمكن إعادة الحديث عنها هنا ، وإن كان من اللازم أن نشير إشارات سريعة إلى بعضها لنضيف الجديد إليها ونحن نُعدُّ المجتمع الإسلامى ليدخل القرن الحادى والعشرين حاملا حضارةً يستطيعَ بها أن يواجه الحضارات العالمية ، وستكون الإشارة لبعض هذه الموضوعات مرتبطة بزيادات جديدة لم ترد فى الكتاب السابق .

إعادة تكوين الفرد المسلم :

وأول مانذكره هو إعادة تكوين الفرد المسلم ، فالذى ألاحظه ويلاحظه غيرى أن الفرد المسلم بَعُدَ عن الإسلام الصحيح ، ولم يَعُدْ له منه إلا الاسم ، فلقد بَعُدَ المسلم عن الأخلاق الإسلامية بعدا واسعا ، إنه يصلّى ويصوم ويحج مع الملايين إلى الأرض المقدسة ، ولكنه لايهتم بالأخلاق الإسلامية ، وإهمالُ هذه الأخلاق إهمالٌ لجانب مهم من الإسلام فلا يكتمل الإسلام إلا بها ، بل إن النصوص التى أمامنا توضح أن إهمال هذه الأخلاق مجافاةٌ للإسلام وإنكارٌ له ، وفى هذا المجال نذكر قوله تعالى : «أرأيت الذى يكذّب

بالدين، فـذلك الذى يدعُّ اليتـيم» فالذى يظلم اليتيم ويقـهره مكذِّبٌ بالدين بنص القرآن الكريم.

ويقـول تعـالى أيضـا : «ويلٌ للمطفـفين الـذين إذا اكـتـالوا على الناس يستوفون، وإذا كـالوهـم أو وزنوهم يُخسرون» والويل واد فى جـهنم لأولئك الذين يبخسـون الناس حـقوقـهم فى كيل أو وزن أو ميِّراث أو قـسمـة أو انتخاب.

ويقول الرسول ﷺ (لا إيمان لمن لا أمانة له وإن صام وصلى)

وقيل للرسول ﷺ : إن فلانة تصوم النهـار وتقـوم الليل ولكنهـا تؤذى جيرانها، قال : هى فى النار (مسند أحمد)

تلك هي مكـارم الأخـلاق فى الإسـلام، وعلينا أن نتـذكـر ذلك وان نتمسك بالأخلاق التى فرضها الإسلام، والذى يهمل الأخلاق الإسلامية يهـمل ركنا كـبيرا من أركـان الدين، وعلى هذا فـالمسلم الذى نريده هو ذلك الذى يرتبط ارتبـاطا وثيـقـا بهـذه الأخـلاق، ولايفـرّط فى أى منهـا، فـهى الفيصل بين الإسلام والانحراف عنه.

والأخلاق الإسـلامية ليست لغزا، وإهمالها سيكون إهمالا عن معـرفة لا عن جـهل، فكلنا ندرك ضـرورة الأمـانة، وأن الإسـلام يحذِّر من الغشِّ ومن تطفيف الكيلِ، ومن الحسد، ومن الظلم، والرشـوة، وشهـادة الزور، والتـزوير، وقـد جُـمعـت شهـادة الزور وعـبـادة الأوثان فى آية واحـدة قـال تعـالى: «فـاجـتنبـوا الرجس من الأوثان واجـتنبـوا قـول الزور» (سورة الحج: ٣٠)

ويحثُّ الإسلام على الحب والمودة، وعلى رعاية الجار، وعلى التعاون والإيثار، والحطِّ عن المدين، والتسـامح، ومسـاعدة المحتـاج، وأحـاديث الرسول فى ذلك كثيرة منهـا «المؤمن مرآة المؤمن» و «من فرَّج عن مسلم كربة

من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة» ، و«من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته»

الجيل الجديد والمربيات الأجنبيات :

ومن تقوية الفرد المسلم الاهتمام بحسن تنشئة الجيل الجديد، وقد أوصى المفكرون المسلمون بالاهتمام بالجيل الجديد منذ فترة الرضاعة، فلا ترضعه إلا امرأة صالحة إذا لم ترضعه أمُّه لسبب من الأسباب، ثم تتولى الإشراف عليه مربية صالحة من جميع الوجوه .

وللأسف الشديد دفع الغنى بعضَ الناس فى دول النفط إلى استيراد مربيات أجنبيات لتربية أولادهم، وكلمة مربية هنا كلمة خاطئة، فهؤلاء المربيات هنَّ فى الغالب خدم، ولا يعرفن من وسائل التربية قليلا ولا كثيرا، ولذلك جاءت الأنباء تقرر أن نسبة كبيرة من هؤلاء الفتيات يشربن الخمور ويدفعن الأطفال لشربها ، وأن نسبة ٧٤٪ من تلاميذ المرحلة الابتدائية فى هذه الدول لايحسنون النطق بالعربية ، وأن ٤٠٪ منهم يشوب حديثَهم لكناتٌ غير عربية ، وأن كثيرا من الأطفال يفضل المربية على الأم، لأن المربية تستجيب لكل رغباته

وطبعا ليس بين المربيات فتيات انجليزيات ومن هنا فإن اللغة الانجليزية التى قد يتعلمها الأطفال من المربية هى لغة ليست سليمة ، وقد جاءت هذه المعلومات فى محاضرة ألقاها الدكتور سعيد محارب نائب مدير جامعة الإمارات بنادى ضيافة شرطة أبو ظبى في مايو سنة ١٩٩٦ .

الإخلاص للعمل وإتقانه :

ومع الأخلاق الإسلامية يتحتم على المسلم أن يجيد عمله ويخلص له ويتقنَه، وألا يغيب عن أداء واجب العمل لغير ضرورة قاسية ، والتاريخ

يسجل أن مريداً كان يتابع شيخه فى دروسه، فمات ابن هذا المريد، فوكَّلَ هذا دفنَه لأحد أصدقائه ولم يتخلف عن حلقة أستاذه، ونرى للأسف إهمالا كثيرا في أداء الواجب والتخلف عن العمل لأتفه الأسباب، والإخلاص في العمل صفة أوجبها القرآن الكريم قال تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» (١)

مباريات كرة القدم وخطورتها على الأخلاق:

وكثيرون من الرجال والشباب يؤثرون مباراة كرة القدم عن العمل المنوط بهم، وبعض طلابى يتخلفون عن المحاضرات يوم المباريات الخاصة بالكرة وكذلك يفعل بعض العمال، وهى كارثة كبرى أن يصل الإهمال في العمل إلى هذا المستوى.

ومن الأسف الشديد أن الرياضة أغفلت جانب الإنسانية، وأصبحت تعصبا وصراعا ممقوتا، فأتباع الأندية يذهبون للمباريات وهم مزودون بالطوب والزلط والزجاجات الفارغة، ومستعدون لضرب المنتصرين والحكام، ومثل هذه الرياضة تعلّم العدوان، وكان عليها أن تعلم التعاون والحب، والغاؤها أفيد كثيرا من إبقائها، وهى مشغلة لجأ لها الحكام ليشغلوا الناس بها عن الأحزاب والارتباطات السياسية والقومية.

إتقان العمل فريضة:

والعمل المتقن شارةٌ للوطن ويقود للرخاء، وكل إهمال فى إجادة العمل خيانة للوطن ومنافاة للشرع فينسب للرسول ﷺ أنه قال: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه.

(١) سورة البيِّنة: الآية الخامسة

والله سبحانه وتعالى يأمر نبيه داود بإتقان صنعته قال تعالى : «.. وألّنّا له الحديد أن اعمل سابغات، وقدّرْ في السرد» (سورة سبأ : ١١) فالخالق الأعظم يعلّم النبى أن تكونَ الدروع التى يصنعها شاملة لكل الجسم لتقى صاحبها، وأن يقدّر فى السرد أى أن يُحكمَ الصنعةَ فى نسج هذه الدروع، ويمتدُّ إتقان الصنعة إلى كل شىء، فالمؤلف يحسن اختيار موضوعه، ويجيد تخطيطه وإعداد مراجعه وأداءه على أحسن مستوى، ومثل هذا يقال للطبيب والمهندس والمحاسب والتاجر والزارع والموظف، وكل إهمال فى أى عمل من هذه الأعمال أو سواها سيعود بالخسارة على صاحبها وعلى وطنه، وكل أجر يتقاضاه المسلم عن عمل ناقص الجودة أو عن أيام غابها بدون عذر قاهر سيكون هذا الأجر سحتا عليه وعلى أسرته، ومراعاةُ التزامات الإسلام هى سلاحنا فى القرن القادم.

إعادة تكوين المجتمع الإسلامى :

تكلمنا كثيرا عن ضرورة الترابط بين شعوب العالم الإسلامى وقد اعترف نيكسون فيما اقتبسناه منه من قبل أن العالم الإسلامى كلّه غَضبَ عندما اقتحمت القوات السوفيتية أرض أفغانستان، وأن قوًى كثيرةً من أقطار مختلفة اشتركت فى الصراع ضد القوى المعتدية، واشتركت الدول الإسلامية في النضال بالمال الكثير وبالسلاح فى أفغانستان وفى البوسنة وأذربيجان.

النفوذ الأمريكى يقتحم الحياة الإسلامية :

وبمناسبة الحديث عن اقتحام الروس لأفغانستان والمقاومة الإسلامية له، نذكر أن اقتحام أمريكا لحياتنا أقسى من اقتحام الروس، وأسجل هنا عملا إرهابيا مثيرا تقوم به الجامعة الأمريكية بالقاهرة، فيه تدخُّلٌ فى حياتنا الخاصة، وفيه إثارة لعنصرى الأمة، وفيه سخرية بالفكر الإسلامى

فهناك طالب أراد أن يعمل بحثا لدرجة الماجستير فى الجامعة الأمريكية، وسلمته الجامعة استمارة ليملأها ويجيب عن أسئلة بها، ولكن ماهذه الأسئلة؟ هى كالآتى :

- ما رأيك فى إذاعة آذان الصلاة فى الإذاعة والتليفزيون ؟ هل توافق على ذلك ؟
- وهل توافق على إذاعة بعض الأحاديث النبوية عقب الأذان ؟
- وهل توافق على استمرار أحاديث الشيخ الشعراوى ؟ ألا يؤدى ذلك إلى إحساس غير المسلمين بالغربة ؟
- هل توافق على حجم الجرعة الدينية بالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ؟
- ماذا تسمى المقاتلين فى الشيشان ؟ هل هم مناضلون أو إرهابيون؟

وأسئلة كثيرة من هذا اللون تدخل فى نطاق الإرهاب ومحاربة الإسلام والفكر الإسلامى والتدخل المعيب فى شئوننا الداخلية، وقد نشرت صحيفة الأخبار هذه السموم تحت عنوان «قضية ورأى» وعارضتها (آخر مايو سنة ١٩٩٦).

ونرجو أن ننتبه إلى هذا العدوان الصارخ على القيم الإسلامية وعلى استقلال بلادنا.

ونعود بعد ذلك لمواصلة الحديث عن إعادة تكوين المجتمع الإسلامى.

إن الطبيعة الإسلامية ربطت ووثقت العلاقات بين الشعوب الإسلامية بعضها والبعض، وكل مانطلبه الآن وضع هذا الإحساس الطبيعى فى دستور وقانون واضح وملزم للجميع.

لقد قام المؤتمر الإسلامى منذ حوالى ربع قرن، ولكنا نستطيع أن نقول بصراحة إننا لم نحس بنتائج حاسمة له فى المشكلات التى تحدث بين الدول الإسلامية بعضها والبعض أو بين الدول الإسلامية وأى عدوان خارجى، ونحن لانريد أسماءً بدون مسميات، والمطلوب تكتّل إسلامى قوى له نفوذ وله ميزانية، ونطمع أن يكون له جيش وهيبة، ويُختار له رئيسٌ قوى كل أربع أو خمس سنوات ويكون مع الرئيس مجلس يمثّل القوى أو التجمعات التى يتكون منها المؤتمر، وتؤخذ قراراته بالأغلبية المطلقة أو بثلثى الأصوات، ولست الآن أضع دستورا له، ولكنى أدون ملاحظات للدراسة.

وهذا المجتمع الإسلامى يجب أن يتبع فى السياسة والاقتصاد أدقّ النظم الإسلامية التى ذكرناها أكثر من مرة، وهى الشورى والديمقراطية الحقيقية، والعدالة الاجتماعية، فالإسلام يرفض الديكتاتورية رفضا باتا ويرفض الغنَى الفاحش مع وجود فقر وعَوَز، صحيح أن الإسلام يحمى الثروات مهَما عظمت، ولكن بعد أن ينَعم المسلمون بالكفاف والحاجات الضرورية، ولايعرف الإسلام غنىً فى جانب وجوعًا في جانب آخر.

ومن أبرز مانريد أن نحييه فى العالم الإسلامى الشعور بالقوة والثورة على الإذلال الذى يعامل به الغربُ الدول الإسلامية، ونحن ندرك أن الغرب لايحتمل الثورة على اتجاهاته ورغباته ولكن الصحوة الإسلامية يجب أن تعلّمه مالا يعلم.

الدعوة والدعاة والإعلام والإعلان :

والدعوة للإسلام واجبه، وهذا يستدعى إعداد الدعاة إعدادًا حسنا من الناحية العلمية والناحية الخلقية، وبذلك لايكونون كالأحبار والرهبان الذين

آثروا المال وإرضاء الحاكم، وحذّر القرآن الكريم أن يكون الدعاة المسلمون سائرين فى نفس الطريق، قال تعالى مذكّرا الدعاة : «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله» (التوبة : ٣٤)

ونبّه القرآن الكريم بذلك أن هؤلاء الذين ضلُّوا يصدُّون عن سبيل الله بدل أن يجذبوا الناس للأديان ، فحذار أن يكون الدعاة المسلمون سائرين فى نفس هذا الطريق لجهلهم الذى ينفّر النّاسَ منهم .

وينبغى للداعية المسلم أن يعرف لغة عالمية واحدة على الأقل بالإضافة إلى لغة البلاد التى سيعمل بها وينشر الإسلام بواسطتها، وكان المبشرون الذين ينشرون المسيحية يعرفون بل يجيدون لغة البلاد التى سيلقون بها سمومهم .

وبمناسبة الحديث عن الدعاة ينبغى أن نذكر أن من واجب الدعاة تقديم الإسلام لغير المسلمين ، ويكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة كما علّمنا الله تعالى، ومن الواضح أن انتشار الإسلام تمّ بواسطة الفقهاء والدعاة الذين كانوا يصحبون الجيوش الإسلامية، وقد قام هؤلاء الدعاة بدور كبير فى نشر الإسلام، وينبغى على الدعاة أن يعرفوا الطرق المثلى التى اتبعها السابقون لينتفع بها الجيل الجديد من الدعاة، وهم يباشرون عملهم، ومن أهم العلوم التى تفيد الداعية أن يقرأ كتب مقارنة الأديان ليعرف الأديان السابقة، فالأديان كلها من مصدر واحد، حتى يعرف سبب الانحراف فى بعضها وإذا اضطُرّ للمناظرة والمحاورة كان قادرا على ذلك، ويعرف أيضا علم الحضارة الإسلامية فهى تقدّم للداعية قوة هائلة وهو يقدّم الإسلام لغير المسلمين وللمسلمين على السواء .

ويجب أن نوضح أن انتشار الإسلام لايهدد أحدا فى الشرق أو الغرب، فالإسلام دين هداية وليس دين مواجهة أو صراع وقهر، وعلى هذا فلا خوف على الغرب من الإسلام كما ادعى نيكسون، بل الخطر كله على العالم من سياسة نيكسون وأمثاله من زعماء الغرب، فالإسلام هو النموذج الإلهى الصالح لكل البشر، والإسلام المستنير هو أمل البشرية وهو ماندين به ونعمل لنشره.

وينبغى أن نوضّح أن الدعوة واجبة على كل مسلم وليس على الدعاة وحدهم، والدعوة الصحيحة هي التى تنقل الإنسان إلى جانب الخير **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»** (آل عمران : ٩٨).

وهناك كلمات أربع متقاربة المعنى هى : الإعلام والدعوة والدعاية والإعلان، وربما كنا فى خدَماتنا للإسلام والمسلمين محتاجين لهذه المعانى الأربعة، ولكننى أريد أن أوضح الفروق بينها حتى نستعملها جميعا استعمالا دقيقا.

والإعلام بدين الله هو الدعوة له، فكلمة الإعلام قريبة المعنى من الكلمة القرآنية «الدعوة» لهذا الدين، ولكن الفرق بينهما أن الإعلام يقوم به أى شخص يعرِّف بهذا الدين وقد يرتبط الإعلام بغير الدين كالإعلام السياسى، ولكن الدعوة يقوم بها مَنْ له ثقافة إسلامية تضعه فى مكان الداعية الإسلامى الذى تنطبق عليه الآية الكريمة **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»** (النحل : ١٢٥) والآية : **«وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا»** (الأحزاب : ٤٦)

فإذا جئنا للدعاية ذكرنا أنها تحسين شيء لصالح رواجه وانتشاره، سواء أكان هذا الشيء ماديا أو اتجاها سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا.

أما الإعلان فتعريف بسلع غالبا، ويمكن أن تكون جديدة أو بها عنصر جديد بهدف رواجها فالإعلان قريب من الدعاية، ولكن الإعلان يسبق الدعاية، فعندما ينتج المنتجون سلعة يعلنون عنها، وبعد ذلك في مرحلة تالية يبرزون فوائدها وذلك هو الدعاية.

وفى دراستنا هنا نهتم بالإعلام والدعوة، وسلاحُ الإعلام جديد وخطير في عالم اليوم، وقد تشعب فشمل الإذاعة والتليفزيون والصحافة والكلمة المقولة فى الخطابة أو المكتوبة في الكتاب والصحيفة، وللأسف يسبقنا الغرب في هذه الوسائل كمًا وكيفا، ويستعملها كلها لمعارضة الإسلام والهجوم على المسلمين، وهى نافذة يلج منها خصومنا لضربنا ولتشويه أفكارنا، ولكن الحق أن القليل عندنا له حسم وقوة أعظم من الكثير عندهم، فكلمة الحق غلاَّبة وقوية تكتسح أمامها أساليب الغرب، ولاشك أن وسائل الإعلام لها تأثير كبير في صياغة الفكر، ومن الملاحظ أن الغرب متحمس لباطله فى ميدان الفكر وميدان السياسة، ففى ميدان الفكر نجد الغرب يعنى بالمنشورات وبالكتب التى توزَّع بالمجان للدعاية لفكره، وفى ميدان السياسة نجد إذاعات الغرب ألحَّت على ما قام به حزب الله في لبنان حتى أوشك الناس أن يصدِّقوا هذه الأكاذيب وينسوا احتلال إسرائيل لجنوب لبنان وينسوا جرائم بيريز فى العدوان، ومن مفاخر الإعلام الغربى أن المال ينفق بسخاء على الكلمة حتي تصل إلى الكثيرين، ولكن فى البلاد الإسلامية يوجد المال عند الأغنياء، ولكنهم بعيدون عن دعاة الكلمة المقولة أو الكلمة المسموعة و المكتوبة، وإذا استطاع مفكِّر بوسيلة أو أخرى أن ينشر كتابا فإنه ليس بمستطيع أن يمتلك إذاعة أو محطة تليفزيون.

ومن هنا فإننا ندعو إلي إيجاد ميزانية خاصة للدعوة لتنقل الفكر المستنير إلى الناس، ونحن نعرف أن في البلاد الإسلامية هيئات متخصصة للدعوة

الإسلامية كوزارات الأوقاف ولكن ليس كل العلم والفكر الإسلامي وقفا على وزارات الأوقاف، فهناك فكر يحتاج لإذاعة، ومصدره ليس من هذه الوزارات.

ويجب أن نعيد حساباتنا فالمسلمون كانوا سادة من مجالات الإعلام، وكان الرسول ﷺ عبقريا فى هذا الميدان، فقد أتبع أرقى وسائل عصره للتعريف بالإسلام؛ اختار أكثر الصحابة جرأة وأقدرهم على الحوار والإبانة وأرسلهم لنشر الإسلام كمصعب بن عمير وعلى بن أبى طالب وأبى ذر الغفارى، واختار قمما من الصحابة فحملهم رسائله إلى الملوك والرؤساء كدحية الكلبى مبعوثه إلى هرقل الروم وعبد الله بن حذيفة السهمى مبعوثه إلى كسرى فارس وحاطب بن أبى بلتعة مبعوثه إلى المقوقس عظيم القبط بمصر.

والذى يقرأ الحوار الذي دار بين هؤلاء وبين زعامات ذلك العهد يدرك حسن الاختيار لهذه الصفوة[1] التى بلّغت عن الرسول فأجادت التبليغ، ومن خيرة الدعاة فى الجيل التالى عقبة بن نافع الذى أسلمت على يده قبائل البربر، فقد كان يَلقى رئيس القبيلة ويحادثه وسرعان ماينبهر به هذا الرئيس ويَقْبَل دعوته إلى الإسلام وعندما يدخل الرئيس الإسلام تتبعه القبيلة.

وهذا لن ينسينا القمة العليا وهى الرسول ﷺ فى حواره الناجح السريع مع أبى بكر وخالد بن سعيد ووفود يثرب فى العقبة ثم مع عدى بن حاتم الطائى واخته سفّانة.

ويتحتم على الداعية الإسلامى أو وسائل الدعوة الإسلامية أن تستمع لمشكلات المستمعين والمشاهدين، فالسائل عن قضية يفتح قلبه لتلقى

(١) اقرأ هذا الحوار في كتابي «عالمية الإسلام» للمؤلف.

الجواب، لذلك لابد أن نتيح الفرصة للمستمعين ليسألوا عما يخطر ببالهم، فالمعرفة بابها السؤال كما يقولون.

وحامل لواء الدعوة الإسلامية لابد أن يكون عالما واسع العلم، قادرا على البيان والشرح، شديد الحب للجماهير والإقبال عليهم، عميق الصبر لما قد يقابله من مشكلات، وليدرس تاريخ الدعاة في الماضي البعيد والقريب لينتفع باتجاهاتهم ووسائل نجاحهم، فمثلا كان الدعاة المسلمون فى إفريقية يعمدون لرؤساء القبائل الذين عرفوا بالهدوء، فإذا استجاب رئيس القبيلة للدعوة كان إقبال الجماهير محتملا وسهلا، وكان مظهر الداعية وأخلاقه تجذب الناس لاتّباعه.

وأخيرا فالإعلام بالإسلام وتبليغ الدعوة الإسلامية واجب دينى ووطنى وقومى، وهو التزام على كل إنسان قادر، وليس خاصا بموظف معين، فكل المسلمين خدم للفكر الإسلامى ونشره.

وبعض الناس يَقبلون دعوة الإسلام إن صدرت عن إنسان عادى أكثر مما يقبلونها لو صدرت عن محترف. فيجب أن يتجه القادرون جميعا لهذه الدعوة وثوابُها عند الله عظيم.

وأطمع أن تكون هناك إذاعات إسلامية حكومية وغير حكومية، فالدعوة إلى الإسلام واجب الجميع، وأن توجد حصيلة أو ميزانية مالية لنشر الكتب الإسلامية وترجمتها للغات الحية، حتى لايحول الفقر دون نشر دين الله والذوْد عن حياضه ومواجهة أعدائه.

وهناك فى بعض المطارات ومحطات السكك الحديدية بالغرب والشرق توجد كتب مسيحية موضوعة على مائدة وأمامها إعلان يقول: خذ نسخة مجانا من فضلك، وعيبٌ أن توجد الملايين والبليارات عند بعض المسلمين،

ويكون نشر الكتاب الإسلامى عزيزا وصعبا، ولنتذكر قول الرسول ﷺ : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، وإن تأليف الكتاب ونشره وترجمته وتوصيله للناس هو علم ينتفع به الناس، فهلموا إلى هذه الوسيلة الخالدة للنفع يوم لانفع إلا من هذه الثلاث.

الداعية وريث الأنبياء :

والداعية المسلم وريث الأنبياء ، ومن هنا فيجب أن يتخلق بأخلاق الأنبياء التى قدمنا بعضها فيما سبق من علم وصبر وعفة وقوة إيمان، وليتذكر قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» (آل عمران : ١١٠) وتلك هى سمات الإيمان الحق.

وعلى الداعية المسلم أن يكون حسن الصلة بالله وبالناس، وليتذكر أنه يدعو بأخلاقه ومظهره أكثر مما يدعو بكلامه، ولابد أن يكون مستعدا للتضحية بالجهد والمال في سبيل هذا الهدف النبيل.

والعلم الذى يتزود به الداعية واسع وشامل، وهو يبدأ بالقرآن الكريم حفظا وفهما فإذا لم يتيسر حفظ القرآن كله فأكثره، وحفظ آيات التشريع والأحكام، ثم حفظ قدر من أحاديث الرسول ﷺ وبخاصة أحاديث التشريع والأخلاق، ودراسة واعية للسيرة النبوية وسيرة خلفاء المسلمين الأول ومعرفة تاريخ البلاد الإسلامية وسيرة الدعاة والأفذاء فى مختلف العصور حتى عهد جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده.

وليعرف الداعية المسلم أن هناك مؤامرة قديمة ومتجددة ضد القرآن الكريم، وكان جلادستون لعنه الله يقول : يجب إعدام القرآن وكان وليم جيفورد يصرخ بأنه لا أمل في غزو المسلمين مادام القرآن موجودا ومادامت

مكة مركزا يهرع إليه الملايين كل عام، ويرى أن القضاء على القرآن وعلى مكة هو السبيل للنصر الذى لن يتحقق لهم أبدا إن شاء الله.

ولما يئسوا من محاولة التغلب علي القرآن اتجهوا للقضاء على اللغة العربية وذلك بتبنِّى اللغات العامية المحلية والدارجة حتى تضعف أو تختفى لغة القرآن الكريم، أو اتجهوا للاهتمام باللغات الأجنبية.

وفى أيام الاستعمار كانت العلوم المختلفة تدرس باللغات الأجنبية، وصارعنا صراعا طويلا مريرا حتى طردنا الاستعمار وجعلنا العلوم تدرس باللغة العربية، ودار الزمان، وأصبحت الآن المدارس الخاصة تهتم باللغات الأجنبية أكثر من اللغة العربية، ورضى هذا الجيل بذلك وهى نكسة قاسية أعادتنا إلى عصر الاستعمار.

واذا كان التاريخ الإسلامى عنصرا مهما للحفاظ على الإسلام، وإذا كانت اللغة العربية عماداً ضخما للدين وللقرآن الكريم، إذا كان الأمر كذلك فإننا ننبه إلى أن وزارة التعليم فى مصر جعلت التاريخ الإسلامى فى المدارس الثانوية علما اختياريا مما أتاح للكثير من الطلاب أن ينصرفوا عنه كما أن ضعف اللغة العربية أصبح شائعا لدى المثقفين جميعا، كأنَّ وزارة التعليم تقوم بما يرمى له أعداء الإسلام.

شبابنا وهجمات الأعداء:

يتعرض الشباب المسلم للأسف لحملة واسعة منظمة تقوم بها إسرائيل والغرب، وذلك لإضعاف القوة الهائلة للشباب المسلم، وقد اتجهت هذه الحملة للشباب الأغنياء والفقراء على السواء، فإسرائيل سربت للأغنياء سلاح الجنس والسموم البيضاء محاولةً للقضاء عليهم بأىٍّ من هذين السلاحين، وسقط كثير من شبابنا فى هذه الهوة، فاستطاب السهر والاختلاط، والتدخين والشرب، أما الفقراء الذين لاتمكنهم جيوبهم من

الإنفاق على هذا اللون فقد قدّم لهم الغرب وإسرائيل سلاحا آخر يناسبهم ويدمرهم، وهو سلاح الدين كما تراه إسرائيل لتحقيق هذا الغرض، فأطلق الشاب لحيته، ولبس الجلباب، وحمل السلاح ضد بني وطنه.

والداعية من جانب والأسرة من جانب آخر لابدّ أن يعملوا على إنقاذ شباب الإسلام من هذه البلايا.

والشاب نفسه مسئول أن يعرف ماذا يراد به، وأن يدافع عن نفسه بحسن تربيتها، ورد كيد الأعداء بعيدا عنه.

وإسرائيل تسعى بوجه عام لتحويل الجماهير فى بلاد الإسلام بل فى أوربا والولايات المتحدة إلى التسلية والملاهى، وإثارة النوازع الجنسية بما فى ذلك «اللبان» الذى يهيّج نوازع الجنس عند من يستعمله ويقوده للخطيئة، وبما فى ذلك أيضا الفنون الرخيصة والألعاب والمسابقات، وكل هذه أوبئة يجب أن نتعرف على ماتخفيه من دمار.

الداعية والحكام:

من المشكلات التى تواجه الدعاة فى العهد الحاضر مشكلة علاقاتهم بالحكام، فكثيرون من الحكام للأسف لهم ميول علمانية أو ديكتاتورية وهم يتمسكون بكراسى الحكم وأمجاد السلطة، ويخشون الدعاة المسلمين، وهذا يجعل العبء ثقيلا على الداعية، فهو يريد أن يؤدى واجبه ولكن الحاكم يعوق تنفيذ هذه الإرادة، ويسد منافذ الدعوة أمام الدعاة، فلا يسمح لهم بدور فى الإذاعة أو التليفزيون أو الصحف التى يتبع أكثرها سلطة الحكام، وفى مصر منع الشيخ الغزالى فترة طويلة من دخول مبنى الإذاعة والتليفزيون، وبالتالى منع صوته من الوصول للجماهير المسلمة، وبعض الدعاة يقف موقفا صلبا فى مواجهة الحكام وهذا يزيد تضييق الدائرة عليهم،

ومن هنا نوصي الدعاة بشيء من السياسة والمداهنة حتى لا تُقفل السبل فى وجه الداعية .

ولا مانع أن يُبرز الداعية بعض الأعمال الرشيدة التى يقوم بها الحاكم، وأن يعمل بذلك إلى جذبه لخدمة الوطن وخدمة الدين، فالخداع فى هذا المجال لازم، والحاكم الظالم مهما كثرت مظالمه يغلب أن يكون فيه نقطة من النور، فلنذكرها ولنتخذها وسيلة لمزيد من الخير .

وليقدِّم الداعية فى كلامه نماذج من تأثير الدعاة على الحكام كالذى حدث لأبى جعفر المنصور من عظة الإمام جعفر الصادق، وكالذى حدث للرشيد من الفضيل بن عياض، وهى قصص مشهورة استطاع فيها الداعية أن يحرك عواطف الخلفاء وأن يدفعهم للبكاء والأسى .

وننبه – للأسف – أن الداعية لو اشتد على الحاكم فإن السلطة ستقطع لسان الداعية وتكسر قلمه، فليكن حذرا وليطلب العون من الله .

وهناك وسيلة يتبعها بعض الأذكياء من الدعاة هى أن يركز على حاكم مات فيبرز صورة عدوانه وطغيانه، فهذا يخيف الأحياء، ويجعل الحاكم يدرك أن يوما سيجيئ تنكشف فيه أخطاؤه ويتحدث بها المتحدثون.

ومن الوسائل لذلك أن يهاجم الداعية حاكما ظالما فى بلدة أخرى ويبرز انحرافاته التى يصنع مثلَها الحاكمُ فى بلد الداعية، فهذه طعناتٌ خفيَّة تصيب فى مقتل.

وهكذا من حظنا فى نطاق الديكتاتورية التى نعيشها أن نحتال لنقول كلمة الحق ونطلب من الله العون .

ونحن ندرك ونكرر أن من الخير للحكام أن يلقوا بأنفسهم فى أحضان شعوبهم وليس فى أحضان أعداء الأمة الإسلامية، وفى يوم من الأيام ستنتصر

إرادة الشعوب، وحينئذ سينال الحاكم الجائر ماناله فاروق أو جمال عبد الناصر من السخط واللعنات.

وكان شيوخنا فى الزمن الماضى يهددون الحاكم الظالم بسهام السحر أى بالدعاء عليه فى غسق الليل، وكان الحاكم الظالم يقشعر من هذا الدعاء ويعود للرشد، ولكن بعض الحكام الظالمين الآن لايهابون سهام السحر وذلك قمة الجهل، وسيظلون فى جهلهم حتى تدور بهم الدوائر.

الحكومة والنقابات :

وعندما تفقد الحكومة ثقة النقابات العامة : نقابة الأطباء ونقابة المحامين ونقابة المهندسين وأندية أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ثم نقابة الصحفيين، عندئذ يجب على الحكومة أن تعيد النظر فى مواقفها لأنها فقدت أغلى الأصوات وأكثرها فاعلية، والتى تعبر عن الشعب أدق تعبير وتمثّل آماله وتطلعاته.

إعادة إيران للصف الإسلامى :

ينبغى أن يكون من أهم أهداف الإنسان المسلم أن يعمل بإصرار لإعادة إيران للصف الإسلامى، وتاريخ إيران الحافل بالمجد، ورجالات إيران الذين نبغوا فى كل فروع المعرفة تجعلنا نحرص على أن تعود إيران للصف الإسلامى، وأن يتم تعاون بيننا وبينها لصالح المسلمين.

وقد عانت إيران من الولايات المتحدة ووقفت منها الولايات المتحدة موقف الخصومة، وللأسف شدّتنا الولايات المتحدة لصفوفها مع أن إيران أقرب لقلوبنا وعواطفنا ألف مرة من الولايات المتحدة.

وإيران قوة هائلة ستكون سندا عظيما فى كفة الميزان الإسلامية في صراع الحضارات.

ومن عجب ان فرنسا سبقتنا فى التقرب من إيران ومحاولة تطبيع العلاقات بين إيران والاتحاد الأوربى، فقد أذاعت وكالات الأنباء فى ١٤/ ٢/ ١٩٩٦ أن برنار بونش وزير التجهيزات الفرنسى بدأ زياة عمل لإيران، وذكرت أن زيارته تندرج فى إطار الرغبة فى تطبيع العلاقات بين إيران والاتحاد الأوربى، وأكد وزير خارجية إيران للزائر الفرنسى رغبة إيران فى تحسين علاقاتها بأوربا وبخاصة مع فرنسا ونفى بونش أى انتقاد أمريكى لزيارته لإيران مشيرا إلى أن الحظر الذى قررته الولايات المتحدة ضد إيران قرار منفرد من جانبها وليس قرارا قررته الأمم المتحدة، ولكن بعض حكومات المسلمين - للأسف - يعدون قرارات الولايات المتحدة قرارات عالية المستوى لابد من الخضوع لها، وذلك عكس اتجاهات الجماهير الإسلامية.

وربما رجونا من زعماء إيران عدم المبالغات فى التشيع فالمبالغات فى التشيع هي التى خلقت البهائية الذين زاد انحرافهم حتى قاتلتهم حكومة إيران، وكذلك نرجو من إيران حسن الجوار مع دولة الإمارات العربية ودولة البحرين .

وإذا كان التشيع الإيرانى ينبنى على تقديس آل البيت، فمن الواضح أن أغلب المسلمين يشاركون الإيرانيين فى إجلال آل البيت، ويضعون الإمام على بن أبى طالب وولديه الحسن والحسين في المقام السامى الذى يستحقونه بجدارة وحق.

تخفيف الظلم عن شعب العراق وليبيا :

ولا يمكن أن ندخل بهدوء القرن القادم وأهلونا فى العراق وليبيا يعانون من الحصار القاتل الذى إن دل على شيء فهو يدل على قسوة القوة التى فرضت الحصار والجوع على الملايين المسلمين فى هذين القطرين لأجل غير مسمى.

وليس معنى هذا أننا نوافق صدام حسين على مافعله فى الكويت أو مع أصهاره أو مع السعودية أو مع مصر التى بذل جهدا كبيرا لإبعاد العرب عنها عشر سنوات ولانوافق معمر القذافى على إنفاق مال ليبيا فى مساعدة ثوار أيرلندا أو التدخل فى شئون تشاد، وعلى طرده للعمال الفلسطينيين والمصريين من ليبيا، ولكن الذى لاشك فيه أن شعبى العراق وليبيا ليسا هما المسئولين عن هذه التصرفات، فالزعامات هى المسئولة وحدها.

وللأسف وُجد بين غير المسلمين من يقف ضد حصار بغداد، وكانت حماسة هؤلاء أقوى من حماسة المسلمين الذين لايحسون بآلام إخوانهم المسلمين، فقد أذاعت وكالات الأنباء فى النصف الثانى من شهر مايو ١٩٩٦ بيانا قالت فيه :

أدان فريق بريطاني أمريكي يضم باحثين وأكاديميين وقانونيين وأطباء العقوبات الدولية المفروضة من قبل مجلس الأمن الدولي ضد العراق. وأكد الفريق أن تلك العقوبات الجائرة والمفروضة منذ قرابة ست سنوات قد أسفرت عن وفاة أكثر من ٦٠٠ ألف طفل عراقي حتى الآن بسبب النقص الشديد في المواد الطبية والغذائية. واستنكر «روجر نورماند» أحد مديري مركز نيويورك للعدالة الاجتماعية والاقتصادية العقوبات الدولية ضد العراق باعتبارها إجراء يماثل إسقاط طائرة مليئة بأشخاص أبرياء عزل لمجرد وجود قلة من الخاطفين على متنها.

وأكد التقرير أن صدام حسين أصبح الآن أقوى من أى وقت مضي حيث لم تؤثر العقوبات الدولية على أفراد الصفوة الحاكمة فى العراق فى حين كبدت الشعب العراقى معاناة هائلة وجعلته ضعيفا أكثر من أى وقت مضى.

وأشارت صحيفة الجارديان البريطانية التى نقلت أجزاء من التقرير إلى أن أحد الخبراء البريطانيين في مجال حقوق الإنسان أكد أن مجلس الأمن الدولي لديه تعهدات واضحة وفقا لميثاق الأمم المتحدة باحترام حقوق الإنسان فى مختلف أوقات الحرب والسلام على حد سواء، غير أن ما يحدث في العراق يعد نموذجا صارخا على أن مجلس الأمن يسمح بانتهاك حقوق الإنسان عبر فرض عقوبات نالت من عموم الشعب العراقى دون تمييز، وكان الأجدر فى هذا الصدد فرض عقوبات عسكرية محدودة لا تتسبب في إلحاق مثل هذا الضرر البالغ بالشعب العراقى".

ويأتى تقرير الفريق البريطانى - الأمريكى المشترك مخالفا لموقف بلديهما بشأن العقوبات الدولية المفروضة ضد العراق.

والمعروف أن بريطانيا والولايات المتحدة من أشد المؤيدين للإبقاء على تلك العقوبات سارية كوسيلة للضغط على الرئيس العراقى صدام حسين. ولكن ذلك لم يمنع المفكرين في البلدين من الثورة على هذا القرار واعتباره جائرا.

ومن جهة أخرى اجتمع الرئيس العراقى صدام حسين مع «جان لوبان» رئيس حزب الجبهة الوطنية الفرنسية المعارض والوفد المرافق له الذى يزور بغداد حاليا. وأشاد صدام بموقف لوبان ووفده الداعى إلى رفع الحصار عن العراق ووصف لوبان الحصار المفروض على العراق بأنه إبادة للجنس البشرى وأعرب عن تضامنه مع الشعب العراقى.

يتحتم على المسلمين في كافة الأنحاء أن يتجهوا هذا الاتجاه رحمة بالأطفال والجائعين مع الاستمرار فى استنكار العدوان.

والعجيب أن الولايات المتحدة فى شروطها على العراق لم تطلب تسليم الأسرى الكويتيين ولاطلبت استبعاد صدام حسين، وكانت كل

مطالبها متجهة لتأمين إسرائيل، فأرادت أن تتأكد من أن تسليح العراق لايهدد ربيبتها إسرائيل، ولايقض مضجعها، ويبدو أن الولايات المتحدة لم تقنع بما حل بشعب العراق من نقص الغذاء والدواء ، فأوحت إلى صديقها الملك حسين أن يقلل من المواد الغذائية التي يوردها للعراق، فسرعان ما أعلن الرجل أن هذه المواد سوف تنقص بنسبة ٥٠٪ .

السودان بعد العراق وليبيا :

والمهم أن العالم الإسلامي لم يخطر له أن يتدخل لتأمين حاجة الشعب العراقي والليبي من الغذاء والدواء وترك هذا لتعطف الأردن، كما ترك عبء ليبيا على مصر، وكان على العالم الإسلامي والعربي أن يضع خطة طويلة المدى لإسعاف شعب هاتين الدولتين، فلا أحد يعرف على من ستدور غضبة الولايات المتحدة في المستقبل، وقد بدأت بوادر غضب تظهر ضد السوادنيين بسبب حماقة يتّهم بها بعض الزعماء هناك، وهكذا يشمل غضب الغرب إيران والعراق وليبيا ويوشك السودان أن يكون رابع الدول الإسلامية المغضوب عليها . ولن يقف الأمر والعداء عند هذه الدول الأربع، فأحداث مارس الانتحارية جعلت سوريا - بإيعاز من الولايات المتحدة - توشك أن تكون الدولة الخامسة، فقد أعلنت إسرائيل إيقاف المفاوضات معها، ويقول النقاد إن ذلك نوع من إذلال سوريا لتطلب هي المفاوضة بعد أن كانت تبدو غير حريصة عليها، ولكن سوريا لن تذل أبدا إن شاء الله.

وهكذا تصبح سوريا خامسة الدول المغضوب عليها وبخاصة لأن الولايات المتحدة تزعم دائما أن سوريا مصدر من مصادر الإرهاب .

وبدأت الولايات المتحدة تعد العدة لضحية سادسة هي اليمن فالحركة التي قامت بها أريتريا باحتلال جزر حنيش هي فاتحة هذا الاعتداء .

ولابد أن يعى العرب ذلك وأن يتحدوا وإلاّ تخطفتهم أوبئة إسرائيل والولايات المتحدة دولة بعد دولة .

روابط بين الدول الإسلامية :

وفى خلق روابط ودٍّ بين الدول الإسلامية يجب أن نقيم روابط وثيقة بين الجامعات والهيئات والنقابات هنا وهناك فى أمور السياسة العليا التى تهم الجميع ، وأن تكون هناك زيارات ولقاءات منظمة وندوات تُطرَح فيها الأفكار العلمية الرشيدة حتى يتقارب المستوى العلمى والفكرى بين دول العالم الإسلامى .

لا. لحبس أنفسنا فى قفص الخطيئة :

لقد استنكر العالم الإسلامى بشدة نزق العراق ، وهجومه على الكويت ، ولم نكتف بالاستنكار بل أسهمنا عسكريا فى دفع العراق خارج الكويت ، وأعتقد أننا بذلك أدينا واجبنا .

ولكن الملاحظ أن العرب حبسوا أنفسهم فى قفص مقاومة العدوان العراقى وعاشت كراهيتهم للعراق سنين طويلة بعد إجلائها عن الكويت ، ولم تتحرك عواطفهم مع أطفال العراق الذين قيل إنهم ماتوا لقلة الغذاء والدواء ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعفو عن المخطئين مهما اتسع خطؤهم قال تعالى : «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا» (الزمر : ٥٣) فإن على المسلمين أن يغفروا خطيئة العراق وألا يظلوا مع مرور الأيام والأعوام فى أسْر هذه الخطيئة ، وعلى العراق أن تعلن الندم لما حصل ، وأن تطلق الأسرى الكويتيين ، وتعيد ما تبقى لديها من ممتلكات الكويتيين وأن تبدأ عهدا جديدا مع العرب والمسلمين ، وأعلن أننا فى حاجة ماسة للعراق ، فالعراق قوة هائلة سيكون لها دور كبير فى نضال الحاضر والمستقبل ، إنها بلد هارون

الرشيد والمأمون راعيا الفكر والعلم، وهي التى كانت على وشك أن تنتج السلاح النووى ، فليمدَّ كل منا يده إلى الآخر وعفا الله عما سلف .

الأقليات الإسلامية :

هناك أقليات إسلامية فى كثير جدا من الدول غير الإسلامية ، ولاتكاد توجد دولة غير إسلامية دون أن يكون بها بعض المسلمين ، وهناك مجموعة من المسلمين يطلق عليها أقلية ولكنها تزيد عن مائة مليون نسمة وهي الأقلية الإسلامية بالهند، ولعلها من أقوى الأقليات وأكثرها تماسكا ودفاعا عن حقوقها، ولها صحف وأندية وجامعات ومدارس، ولها مجلة باللغة العربية هى «الرائد» وينبغى أن نوثّق علاقاتنا مع هؤلاء، فهم قوة جديرة بالتقدير.

وفى جمُّو وكشمير التى تحتل الهند ٦٧٪ من أرضها يوجد حوالى عشرة ملايين مسلم وهم بذلك أكثرية غالبة في هذه الولاية لأنهم يمثّلون ٨٠٪ من السكان.

ويوجد في الصين حوالى ٧٠ مليونا من المسلمين.

وفى الفليبيين حوالى ثمانية ملايين، وفى سريلانكا توجد أقلية كبيرة تعانى من الأغلبية الهندوكية والبوذية .

وفي تايلاند وبورما عدة ملايين تصل إلى تسعة ملايين نسمة تقريبا ولكنهم يعيشون تحت سيطرة حكومات بوذية فتحرمهم حقوقهم، وتثيرهم فإذا ثاروا قوبلوا بالعسف والقهر.

ويوجد فى أوربا ١٥ مليونا، وفي أمريكا حوالى خمسة ملايين، وفى كندا حوالى مليونين.

أما أقطار إفريقية فلا يكاد يخلو أى قطر منها من بعض المسلمين وأحيانا ترتفع نسبتهم كما هو الحال فى إثيوبيا وأنجولا وأحيانا تنخفض هذه النسبة.

وأكثر الأقليات الإسلامية توجد فى آسيا ثم فى افريقية ، والمهم أن المسلمين فى الدول الإسلامية لابد أن يتعاونوا مع الأقليات الإسلامية وأن يدافعوا عنها ضد أى عدوان .

والمشكلات التى تعانى منها الأقليات متشابهة ، وفي قمتها المناهج الدراسية ، فهذه البلاد لم تضع فى المناهج اهتمامات بالعقيدة الإسلامية أو تعريفا بأبطال المسلمين وحضارتهم وتاريخهم ، ثمّ إن اللغة العربية لغة القرآن الكريم لاتكاد توجد فى مناهج الدول التى بها أقليات إسلامية .

ومن المشكلات حرمان المسلمين من الوظائف القيادية فى الحكومة والجيش والشرطة ، وعدم الاهتمام بالأحياء والمناطق التى يعيش فيها المسلمون .

علي أن هناك مشكلات هامة تواجه الأقليات ، وبخاصة تلك الموجودة فى أوربا، وهذه المشكلات بعضها من صنع الأقليات نفسها كالتشتت الناجم من كثرة الفرق الإسلامية المنتشرة هناك كالاسماعيلية والبهائية والقاديانية، وكالانقسام بين الشيعة وأهل السنة، وكل هذه الأمور يجب أن تنسى في الغربة ويكون الجميع مسلمين يتبعون روح الإسلام وقوانينه.

وهناك مشاكل يهتم بها الغرب ، وهى إفساد الجيل الثانى والثالث من المغتربين بعد أن فشلوا فى إفساد الجيل الأول الذى يغلب أنه تمسك بلغته ودينه وقيم هذا الدين ، ولكن الجيل الثانى نسى اللغة العربية تقريبا ، ولم يجد الفرصة ليتعرف على روح الإسلام ومبادئه ، وذلك بسبب الاختلاط واختفاء قدرة الجيل الأول على تعليم الأبناء ، وأحيانا يتم زواج مشترك ونتيجته هى ضعف الإسلام فى المجتمع الغربى .

وبمناسبة الحديث آنفا عن الهند نقرر أن كثرة الأديان بالهند (الهندوسية - الإسلام - المسيحية - البوذية - السيخ وغيرها) هذه الأديان الكثيرة

أوحت بمزيد من الأديان، إذ أصبح من السهل على الإنسان الهندى أن يدعى النبوة أو حتى الألوهية، كما حدث بالنسبة لمعين الدين شيستى وزعماء القاديانية والأحمدية.

وفي حديثنا عن المجتمع الإسلامى ينبغى أن ندعو الغرب إلى عدم التأثر بالتشويه الذى طرأ على المجتمع الإسلامى بعوامل دخيلة وليست أصيلة كالإرهاب والديكتاتورية، فالإرهاب موجود فى كل دول العالم كما ذكرنا وهو في العالم الإسلامى ليس عميق الجذور، ويمكن اقتلاعه والقضاء عليه بسهولة، والديكتاتورية غرسٌ غرسه الغرب قبل أن يرحل، ولن يطول مقامها في أرض الإسلام فهى عدوة الدين والإنسان وسنرى إن شاء الله نهايتها عن قريب.

النظام الملكى والديمقراطية :

وبمناسبة الديكتاتورية نقرر أن النظام الملكى يمكن أن يكون بعيدا عن الديكتاتورية، وكثير من الملوك بالعالم الإسلامى ينحدرون من آباء أو أجداد بذلوا جهدا كبيرا لخدمة بلادهم وتثبيت كيانها، وما على الملوك الأبناء والأحفاد إلا أن يتبعوا النظام الديمقراطى كما يحدث في بريطانيا وفى دول شمال أوربا وبذلك يصبح النظام الملكى مستمرا فى جو ديمقراطى.

صور نجاح وفشل جامعة الدول العربية :

وقد خطت جامعة الدول العربية خطوات جيدة للتعاون، فأصبح بها منظمات متخصصة ذات قيمة مثل :

١ - الاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية.
٢ - المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ضد الجريمة.
٣ - منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول.
٤ - اتحاد إذاعات الدول العربية.

٥ - المنظمة العربية للعلوم الإدارية .

٦ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٧ - المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى القاحلة .

٨ - الاتحاد البريدى العربى .

٩ - صندوق النقد العربى .

١٠ - المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية .

وتلك كما قلنا خطوات جيدة، ولكن العجز في جامعة الدول العربية يأتى فى الجانب السياسى والعسكرى، ولذلك فعندما ننادى بجامعة الدول الإسلامية نرجو أن نتدارك هذا التقصير وأن تستكمل مكانتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، ويكون أخذ القرار بها ليس بالإجماع بل بأغلبية الثلثين ولابد أن تخضع الأقلية للأغلبية عند الخلاف .

ومن المشاكل التى تواجهها الجامعة العربية فى الوقت الحالي أن هناك محاولات لغلقها بالضبة والمفتاح كما يقولون، وهذه المحاولات تثيرها إسرائيل ومساعدوها، واستجابت بعض الدول العربية لهذه المحاولات فلم تسدد الاشتراك ودفع الحصة المقررة، وهذا أضعف الجامعة فاتجهت جهود الأمين العام لحث الدول على دفع التزاماتها بدل أن يتجه بجهوده إلى الخدمات العامة وتقوية هذه المؤسسة .

خصصت الجزء السابع من موسوعة الحضارة الإسلامية للكلام عن الأسرة، فتكلمت عن الزواج وأهدافه وحكم الإسلام فيه، ثم عن الاختيار عند الزواج، وحكم الزواج من كتابيّة، وغير المسلم يدخل الإسلام ليتزوج مسلمة، وتحدثت عن الخطبة، والمهر، والعَقد، والأولاد، وزوجة الأب، والحماة، والختان، وتحديد النسل، والتبنى، والتلقيح الصناعى، وأطفال الأنابيب، والتكافل بين أفراد الأسرة وعمل المرأة، والوصية والميراث الشرعى والوقوف عنده . .

وهي موضوعات مهمة جديرة بالدراسة والاستيعاب.

قضايا أثارها مؤتمر السكان بالقاهرة :

وأحب أن أضيف بعض المعلومات الجديدة لما ذكرته فى الكتاب السابق، وهذه الزيادات فيها مناقشة لبعض ما أثير فى مؤتمر القاهرة الذى عقد فى عام ١٩٩٤ وهى تشمل مايلى :

١ - موضوع أن تكمل العروس بعد الزواج دراستها :
من جهة أن تكمل العروس تعليمها بعد الزواج أرى أنه لابأس من ذلك بشرط أن يكون عندها استعداد لذلك، فإذا توقف ذهنها عن الاستيعاب والنجاح في الامتحان وتكرر ذلك منها فلا معنى لمداومة المحاولة.
ويستوى فى ذلك فى تقديرى تعليمها للحصول على الدرجة الجامعية الأولى إذا كانت لم تحصل بعد على هذه الدرجة، أو الحصول على الماجستير والدكتوراه إذا كانت مؤهلة وسائرة فى هذه الدراسة.

٢ - وموضوع سفر الزوجة وحدها أو مع أولادهما بدون إذن الزوج موضوع مرفوض تماما لأنه يفكك عرى الزوجية، وكيف تسافر الزوجة بدون إذن زوجها، أى يصبح الزوج أو يعود من عمله فيجد أن زوجته

غادرت البلاد إلي حيث شاءت، إنها مأساة تدمر الحياة الزوجية ولاتناسب الحياة الشرقية والإسلامية.

٣- عمل المرأة وانتقالها من عمل إلي عمل بدون إذن زوجها :

وهذا الموضوع أيضا مرفوض، فكيف يجوز لها أن تنتقل من عمل إلى آخر بدون إذن زوجها، فماذا لو كان موافقا على أن تعمل بالتدريس مثلا فذلك أقرب للحصانة ولراحة الزوجة، ولكنها أرادت أن تعمل في السكرتارية أو المصانع مما يخلق بعض الشبهات والمتاعب، وكيف لو كان في العمل الجديد غريم له كان ينافسه في حبها ؟ ولهذا فإن هذا الاقتراح مرفوض.

أما عمل المرأة بوجه عام فقد حسمه القرآن الكريم قال تعالى : «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» (النساء : ٣١) فعمل المرأة مشروع مادام بعيدا عن الشبهات، ويحسن - أن تتوقف الزوجة عن العمل إذا كان الزوج قادرا على تحمل مسئولية البيت والأسرة اقتصاديا فعمل المرأة في بيتها لخدمة زوجها وأولادها عمل مقدس يفوق كل عمل.

٤ - العصمة وهل تكون فى يد الزوجة :

أما الكلام عن العصمة، فتحضرنى قصة واقعية، فقد كنت ألقي محاضرة على مجموعة كبيرة من السيدات فى نادى هدى شعراوى وسألتنى سيدة: لماذا لاتكون العصمة فى يد المرأة كما هى في يد الرجل؟ وأجبت بهدوء: لو كانت العصمة في أيدى النساء لطلقن الرجال فى أقصر وقت، فالمرأة شديدة الحساسية وعاطفتها ملتهبة، وذلك شيء من دوافع الطبيعة، فإذا أغضبها زوجها أو حدث خلاف بينهما فيخشى أن تسرع بطلاقه، أما الرجل فيغضب ويتمالك نفسه، أو يخرج من البيت حتى تهدأ الأمور.

ومن القصص التاريخية أن الرسول ﷺ ذهب مرة لزيارة ابنته السيدة فاطمة ولم يجد عليا هناك، فسألها عنه، فقالت : تغاضبنا وخرج، ويلاحظ العدالة والدقة فى تعبيرها فهى لم تقل أغضبنى، وإنما قالت تغاضبنا أي أن كلا منها أغضب الآخر، وخرج الرسول للبحث عنه فوجده في المسجد وعرف أنه صلى ثم نام فأيقظه الرسول وقال له : قم يا أبا تراب لأن تراب المسجد كان قد أثر فيه.

هذا نمط طيب يُحتذَى من الزوجة والزوج ووالد الزوجة.

وبعد، نحن نريد أن يتذكر الزوجان قوله تعالى : «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» (البقرة : ١٨٧) وقوله تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» (الروم : ٢١)

والحياة تعاونٌ وودٌّ والتزام بتربية الأولاد الذين يمثلون ثمرة الأسرة، والخلافُ بين الزوجين ضياع لهذه الثمرة وهى من أهم أهداف الزواج.

٥ - معاش للمرأة بعد طلاقها :

وأرى أن المرأة إذا طلقت بدون سبب منها أن يلتزم الزوج بأن يقدم لها بعد نفقة العدة نفقة دائمة طول حياتها مالم تتزوج، وذلك بعد ملاحظة أن تكون أمضت مع الرجل مدة كافية ساعدته في تكوين نفسه وتنمية حياته الاقتصادية، وتكون النفقة شهرية ومتناسبة مع مدة الزوجية وقدرة الزوج المالية.

الطلاق بشهود :

المشهور الذى ذهب له الجمهور أن الطلاق يقع بدون إشهاد، ولكن فقهاء الشيعة الإمامية يرون أن الإشهاد شرط فى صحة الطلاق كالزواج واستدلوا بقوله تعالى «فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن

بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ (سورة الطلاق الآية الثانية) وقالوا إن الأمر هنا للوجوب وشرط لوقوع الطلاق(١)

وممن قال بهذا الرأى الإمام على كرم الله وجهه، وعمران بن حصين، ومن التابعين محمد الباقر، وجعفر الصادق، وعطاء وابن جريج، وابن سيرين(٢) .

ويروى أن رجلا جاء إلى الإمام على وذكر أنه طلق امرأته فسأله الإمام: هل أشهدت رجلين عدلين كما أمر الله عز وجل ؟

فقال الرجل : لا . فقال الإمام : اذهب فليس طلاقك بطلاق .

وروى أبو داود في سننه عن عمران بن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ولم يشهد على الطلاق أو الرجعة فقال عمران : طلّق لغير سنّة وراجع لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها(٣) .

وأخرج السيوطى في الدر المنثور عن عبد الرازق وابن حميد عن عطاء قال : النكاح بشهود والطلاق بشهود والمراجعة بشهود .

وقال جعفر الصادق : من طلق بغير شهود فليس بشيء

ويختم الشيخ سيد سابق(٤) بحثه عن الإشهاد فى الطلاق بقوله :

وهكذا يتبين لنا أن وجوب الإشهاد فى الطلاق لم ينفرد به علماء آل البيت عليهم السلام ، بل هو أيضا مذهب بعض أهل السنة كعطاء وابن سيرين وابن جريج .

---

(١) تفسير الألوسى في سورة الطلاق.
(٢) الشيخ سيد سابق : فقه السنة ٢ : ٤٢٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٢١ .
(٤) فقه السنة الجزء الثانى للشيخ سيد سابق.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ قال : أبغض الحلال الى الله الطلاق (رواه أبوداود والحاكم وصححه) وإذا ثبت هذا فإن شهادة الشهود ستساعد على التقليل من الطلاق الذى يبغضه الله سبحانه وتعالى، فالبحث عن شهود عدول قد يهدئ من ثورة الرجل ويجعله يعود الى رشده، وحضور الشاهدين يساعد غالبا على محاولة التهدئة من غضب الزوج ويغلب أن يمنعا الطلاق .

ومن هنا فإني أطرح هذا الحكم للحوار وأرجو أن يكون له أثر كبير فى التقليل من حدوث الطلاق ، والأمر للدراسة المستقبلية .

المرأه فى الغرب وفى الشرق الاسلامى

نحن نفخر بأن ندخل القرن الحادى والعشرين ، ومعنا ثروة هائلة لاينافسنا فيها منافس ، وتتمثل هذه الثروة فى المرأة المسلمة ، وهى فى الكفة الراجحة جدا إذا قيست بالمرأة الغربية .

لقد أعطى الإسلام للمرأة المسلمة حقوقا مهمة ، فهى يؤخذ رأيها فيمن يتقدم للزواج منها ولابد من موافقتها ، وأعطاها الإسلام نصيبا من الميراث ، وجعل الاسلام لها حق العمل والكسب ، وعملت المرأة منذ فجر التاريخ الإسلامى ، ولكنها لم تحاول بمالها وعملها أن تنشد الاستقلال عن الرجل أو أن تتجاهله كما تفعل المرأة الغربية ، ووضعت مالها وخبراتها فى خدمة أسرتها ومجتمعها .

ومن مفاخر المرأة المسلمة محافظتها على عفافها ، وتحشمها فى مظهرها، بحيث لاتسمح للعيون المتطفلة أن تتلصص عليها ، وذلك بخلاف المرأة الغربية التى بالغت فى الزينة والاختلاط ، ورضيت عند الانفصال عن زوجها بعلاقات مشبوهة فأساءت لنفسها ولأولادها وأسرتها .

والمرأة المسلمة شديدة الولع بتربية أولادها وحسن تنشئتهم على مكارم الأخلاق ، ولاتغفُل لها عين عن مراقبة الأولاد الذكور والإناث .

والمرأة المسلمة قلبها فياض بالحب لأسرتها، والتفانى لخدمتها والسهر على رعايتها ، وشتان أن تقاس بها المرأة الغربية فى هذا المجال أو سواه .

إن المرأة المسلمة تتمثل فيها كلمات القرآن الكريم «هن لباس لكم وانتم لباس لهن» (البقرة ٢٨٧) و « خَلَق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» (الروم ٢١) وقول الرسول ﷺ يوصى الزوج بالزوجة : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ، ويوصى الزوجة بالزوج بقوله لإحدى النساء : أين أنت من زوجك ، إنه جنتك ونارك . أى تدخلين الجنة أو النار حسب معاملتك له

وهكذا نفخر بالمرأة المسلمة فى ميدان الصراع ، فهى قوة عظيمة أفلس الغرب تماما فى الحصول على مثلها .

الخصوبة الجنسية :

ويرتبط بالأسرة أن نذكر نعمة أنعم الله بها على المسلمين ، وهم لايحسون بها وأحيانا يقاومونها وهي الخصوبة الجنسية ، فزيادة العدد مطردة لدى المسلمين ، ويحرَم منها الغربيون ويقول فلاسفتهم فى ذلك : إن الترف والاختلاط المتصل يُضعف الشهوة ويقلل النسل ، ومن هنا فإن العفة عند المسلمين كانت من أسباب الخصوبة الجنسية ، والإحصائيات تذكر أن لدى مصر أعلى نسبة خصوبة فى العالم ، وكان المحللون الغربيون يرون فى القرن الماضى أن تعداد مصر سيصل إلى أربعين مليونا سنة ٢٠٣٧م ، ولكن تعداد مصر وصل ٦٠ مليونا قبل نهاية القرن الحالى .

وتجيء تركيا بعد مصر أو تضارعها فى الخصوبة .

وتقول الإحصائيات إن الخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف .

وفى الجزائر نجد نسبة الزيادة فى الجنس الإسلامى أعلى بكثير من الغربيين الذين يعيشون معهم فى نفس البلاد ، ومثل ذلك يقال عن مسلمى تونس بالنسبة للإيطاليين فى تونس .

وبمناسبة تطور الدواء وطول العمر من جانب ، وقلة النسل من جانب آخر لدى الغرب ، فإن نتيجة ذلك كثرةُ الشيوخ وقلةُ الشباب (١) .

وفى فرنسا وبلجيكا والنمسا يقلُّ عدد السكان من حين لآخر ، وفى بريطانيا يكاد عدد السكان يكون ثابتا ، أما في أغلب بلاد الاسلام فعدد السكان في زيادة واضحة .

وعلى هذا فحركة تحديد النسل يراد بها إيقاف هذه الزيادة التى سيحتاج العالم لها فى يوم من الأيام لتكون عماد نهضة الدول ، وليس ببعيد في يوم من الأيام أن ينهار عدد السكان فى الغرب وفى أمريكا ويسيطر السكان المسلمون على مسيرة العالم .

والشباب بين الشرق والغرب

وذخيرة أخرى ندخل بها صراع الحضارات فى القرن القادم ، تلك هى الشباب الإسلامى الذى يفوق فى كل شئ نظيره فى الغرب .

ولا يغرنَّك نشاط الشباب الغربى وإنتاجه ، فتلك هى الأجهزة والمعدات التى ورثها هذا الجيل عن الجيل السابق ، ولكن شباب اليوم بالغرب تتمثل فيه الميوعة والاستهتار غالبا ، وقد رأيناه فى اقتباساتنا السابقة وهو أقرب للانحلال والخلاعة والإدمان ، ولا يمكن أن نقارن هذا الشباب بشبابنا الكادح فى حقله أو متجره أو معمله .

---

(١) تحديد النسل لأبى الأعلى الودودى ص ٢٢ .

وليس معنى هذا أن شبابنا قد وصل إلى درجة الكمال، فإن شبابنا لايزال يحتاج إلى عناية من الأسرة، ومن الجامعة، ومن الدولة ليحقق للعالم الإسلامي مايرجوه منه :

ففي الأسرة يحتاج الابن من أبيه مزيدا من الرعاية ، يحتاج أن يصادقه ويستشيره في بعض الأمور ، ويجب أن يتخلى الآباء عن فكرة شاعت هي أن المال هو أهم مايجلبه الآباء للأبناء ، هذه الفكرة الخاطئة التي جعلت بعض الآباء يعمل بالخارج عدة سنوات بعيدا عن أولاده ، وتغريه المرتبات العالية فيضيف عاما إلى عام دون أن يقنع ، ودون أن يعود ليجد الأولادُ في أحضانه دفئا لا يجدونه في أحضان المال مهما زاد .

وقد ينجح الأب في تجارته أو صناعته ، ولكن النجاح يغريه فلا يعود للبيت إلا بعد أن ينام الأولاد ، ويستيقظ مبكرا ويذهب لعمله ربما قبل أن يستيقظ أولاده ، وتضعف العلاقة بين الأب والأولاد ، ولاتعوضهم الأموال شيئا مما حُرموه من حنان الأب ورعايته ، وكان ابن مسكويه يقول : مَنْ ربَّى مالَه ولم يُرَبِّ ولده فقد أضاع المال والولد

وأحيانا تعمل الأم أيضا ، ويضيع الأولاد تماما في هذا الجو بسبب الحرمان من رعاية الأب وحنان الام .

وفي الكلية يندر أن يفتح الأستاذ بابه وقلبه لطلابه ، فبعض الأساتذة يعيشون كما يُقال في برج عاجي ، ولايستمع الأستاذ لمشكلات تلميذه ، ويقنع بأن يقدم له مذكرة أو كتابا ، ولو كان الكتاب كافيا لما كانت هناك حاجة للأستاذ .

وفي التصوف الإسلامي هناك الشيخ والمريد ، ومعنى المريد أي الذي لاإرادة له ، فالكلمة من كلمات الأضداد ، لأن المريد ذاب في شيخه ويعيش بفكره ، فهل استطعنا كأساتذة أن نربي بعض المريدين ؟



أما الدولة فواجبها شامل وفسيح ، فلتعرف أن واجبها أن تكون فى مكان الأب لكل الشباب ، وبخاصة أن هناك شبابا كثيرين خرجوا من أسر لاتعرف مبادئ التربية ، وهؤلاء يحتاجون للدولة لتتبنّاهم وترعاهم حتى لا يستوعبهم اليأس عندما يرون الوساطة تغلب الكفاءة ، وعندما يقعون ضحية البطالة التى تقتل كل الكفاءات .

وعلى الدولة الإسلامية أن تكون فى حرب لاتعرف الهوادة ضد الثالوث القاتل : المرض، والجهل ، والفقر ، وكان الرسول يستعيذ بالله من الفقر بقوله : أعوذ بالله من الكفر والفقر ، فقالوا له : أتعدل الكفر بالفقر يارسول الله ؟ فقال : نعم .

وهناك نوع من الشباب يسمونه "الواعدون" وهى المجموعة التى يُؤْمَل منها الخير فى مختلف شئون الدولة ، مجموعة يلاحظ المربون أن فيهم مواهبَ وأخلاقا حميدة ويتمتّعون بالصفاء والإخلاص ، وهؤلاء ثروة كبيرة يجب أن يكونوا موضع عناية خاصة ، فيرجى منهم الخير كل الخير عندما تسند لهم بعض الأمور والمسئوليات فى المستقبل .

الانتمـــاء :

وأهم مايعنينا أن نثبّته ونؤصّله فى الشباب المسلم هو خلق الانتماء أى الارتباط الوثيق للفرد المسلم بعالم الإسلام ، فيكون لهذا العالم فى نفس الشاب كلُّ الحب والتقدير ، وأن يبذل أقصى جهده لخدمته وحمايته ، وأن يدرك الروابط التى تربطه به ، فكل سعادة للعالم الإسلامى ستعود عليه ، فالشباب مصدر الخير لهذا لعالم وهو الذى يعود عليه خيرُ هذا العالَم ومجُده، إن الانتماء أو شك أن يختفى فى عالمنا بسبب الوساطات التى تنصر المتخلف ولا ترعى الإنسان الواعد المتألق .

الحيـــاة الاجتماعيـــة

فى الحياة الاجتماعية قضايا يتحتم أن نحسن التصرف فيها لتنظيم مجتمعنا ونحن نعد أنفسنا لدخول القرن الحادي والعشرون .

حماية المال العام :

حماية المال العام يجب أن تكون التزاما لكل واحد فينا ، وقد شهد رمضان (١٤١٦) صورا من الإسراف في المال العام نورد فيما يلى نماذج منهـــا :

١ - مسلسلات رمضان وشهر الفوازير :

فى مصر يشهد التلفزيون عن شهر رمضان فى كل عام نزقا وإسرافا شديدا فى المال العام ، فالمسلسلات التافهة والفوازير السخيفة والبرامج التى لاتمتُّ للإسلام ولا للصوم بصلة ، هذه وتلك يتلو بعضها بعضا ، وأكثرها لايتناسب مع شهر الصيام وآدابه ، وقد دفعتْ كثرةُ الفوازير فى القنوات المختلفة وفى برامج الإذاعات المتعددة ، دفعت بعض الناس إلى اقتراح أن نُسمِّى شهر رمضان : شهر الفوازير بدل أن نسميه شهر الصيام أو شهر القرآن ، وتكاليف الفوازير والمسلسلات تخرب العامر، وتقضى على المال العام بدون أية فائدة ولا يهتم بها إلا الكسالى .

٢ - تدمير الحفار الإسرائيلى :

فى الصحف التى نشرت خلال رمضان سنة ١٤١٦ نقد لاذع يوضِّح بعثرةً وإسرافا فى المال العام دون فائدة ودون ضرورة فبعد الهزيمة المشئومة التى حدثت فى يونيو سنة ١٩٦٧ م استولت إسرائيل على سيناء ، وبالتالى استولت على بترول قناة السويس واشترت إسرائيل حفارا من كندا للبحث عن البترول فى خليج السويس ، وقرر الأبطال المصريون تدمير الحفار قبل أن يصل إلى قناة السويس ويُخْرِج منها الثروات النفطية . وانظر أيها القارئ

إلى إهدار المال العام من جهة والحفاظ عليه من جهة أخرى ، فالذى نفَّذ العملية فعلا هو اللواء بالمعاش (الآن) محمد نسيم ، وهو الذى خطط وقاد الضفادع البشرية لإنجاح المهمة ، واستغرقت العملية من مطلعها فى القاهرة إلى نجاحها فى ابيدجان بساحل العاج ١٦ يوما ، وتكلفت ٤٠٠ جنيه كما جاء فى أقواله المنشورة بصحيفة الوفد يوم ٨/ ٢/ ١٩٩٦ وفى نفس الصحيفة حديث عن المسلسل الخيالى الذى صوَّر العملية ، وهو مسلسل ميتٌ لا حراك فيه استنفد عرضُه بالتلفزيون أيام شهر رمضان كلها تقريبا سنة ١٤١٦ هـ وهو يسير ببطء ممل ، وقد شاهدت كثيرا من حلقاته مع بعض الأصدقاء ، وكنا نسخر من تكرار الأعمال التى لا قيمة لها كركوب السيارات والطائرات والحياة فى الفنادق وشاهدنا الحلقة الأخيرة التى قُضى فيها على هذا الحفار ، وقلنا جميعا إن هذه الحلقة كانت كافية ، وهى صورة واضحة للعمل الذى قام به اللواء محمد نسيم .

وقد كتبتْ عن هذا المسلسل الناقدة ماجدة خير الله كلاما يدعو للخجل ، ويوضِّح الإسراف الشديد فى هذا العمل الذى لم يجذبنا ونحن نشاهده بل دَفَعَنا عرضُه للملل والسخرية ، وفيه أعداد رهيبة من الممثلين والممثلات الذى طافوا جوانب الأرض ونزلوا فى أفخم الفنادق ، ويبدو أن بلاد إفريقية لم يكن بها جماعة من السود فراح المخرج يصبغ وجوه بعض المصريين بشكل يدعو للسخرية ، والعجيب أنه صبغ وجوههم وأيديهم ، ولكنه نسى أن يعدل لهجتهم فتكلموا بلهجة مصرية تماما ، وفيما يلى نثبت بعض كلام الاستاذه ماجدة خير الله بحروفه :

«هناك نوعان من المُواطن الإفريقي ، واحد خلقه ربنا وقد يكون لون بشرته داكنا وشعره مجعدا وأنفه أفطس . . والآخر من صنع مسلسل «الحفار» ونلاقيه مدهونا بهباب حلَّة ، وقد تكون عيونه زرقاء وشعره أشقر

مثل شعر حسين فهمى !! والغريب فى مسلسل «الحفار» أن المخرج «وفيق وجدى» سافر فعلا إلى السنغال ولكنه لم يجد (ياحرام) أى مواطن أفريقى أسـود . . . ولذلك اضطر أن يلطخ وجـوه بعض المـمثلين المصـريين بالهباب . . . ويصبغ شفاههم باللون الأحمر ليصبحوا مثل العفاريت ، وتلك هى الإضافة الجديدة لمسلسل «الحفار» !!

«إن الثلاثة ملايين جنيه التى تكلفها مسلسل «الحفار» لم يستهلكها هذا العدد الضخم من الممثلين الذين ظهروا بلافائدة ، ولا استهلكها السفر بفريق عمل ضخم إلى أماكن متعددة من العالم . . ولكن أعتقد أنها ضاعت على الأصباغ التى استخدمت فى «تلطيخ» وجوه وأجساد بعض الممثلين لتحولهم إلى مواطنين أفارقة . . لقد تحمسنا فى البداية للمسلسل باعتباره عملا قوميا من ملفات المخابرت المصرية ، يلقى الضوء على إحدى العمليات الهامة التى حققنا فيها انتصارا سياسيا وإعلاميا على العدو الإسرائيلى . . ولكن نوايا المسلسل شىء ، والذى شاهدناه شىء آخر . . والحق أن المخرج بذل مجهودا خارقا «ودوّخ» الممثلين «السبع دوخات» ليقدم لنا تلك التفاصيل «الممسوخة» ، لإحدى العمليات الهامة فى تاريخ المخابرات المصرية . . وأعتقد أن العمل كان ممكنا تقديمه فى فيلم تليفزيونى بدلا من استهلاك عدة حلقات فى تفاصيل سخيفة لا تحمل أى قدر من المتعة أو التشويق . » أهـ

إنها صورة من صور بشعة للإسراف فى المال العام فالعمل فى الواقع الذى حدث فعلا تكلف ٤٠٠ جنيه ، وفى التصوير ثلاثة ملايين بالإضافة إلى حجز الشاشة لحلقاته طيلة شهر كامل تقريبا ، إنها خيانة لمال الوطن ، ولم يكشفها لنا إلا المشاهدة من جانب وما نشرته صحيفة الوفد من جانب آخر .

وقد كتب عنه الأستاذ أنيس منصور فى أهرام يوم ١٦/ ٢/ ١٩٩٦ يقول إنه كان أتعس المسلسلات هذا العام مع أنها قصة جاسوسية مفروض أن تكون مثيرة جدا ، قضية ذكاء تجعل القارىء يحس ببراعة الجهاز . . ولكن الذى رأيناه كان كأنه مسلسل إذاعى يدور فى حجرة واحدة ، كلام فى كلام مع دهشة الأبطال (!!) لكل شىء كأنهم يتفرجون على المسلسل ، ولا يشاركون فى صنعه .

٣ - المؤتمرات السينمائية السنوية :

ومن صور الإسراف فى المال العام هذه المؤتمرات السينمائية السنوية التى تتكلف الكثير جدا، ويُدعَى لها أبطال السينما فى العالم ، ولعل من نتائجها هبوط مستوى السينما فى بلادنا وانصراف الجماهير عنها .

٤ - شركة إيجوث والجمَّال

ومن إهدار المال العام قضية شركة إيجوث وشريكها اللبنانى على عبد الله الجمال تلك الشركة التى انفضَّت قبل أن تبدأ ، والتى دفعت مصر لهذا الرجل اربعين مليونا من الجنيهات ، وكانت مصر قد قدَّرت نصيبها فى هذه الشركة أن تقدم مائة وخمسين ألف فدان فى الساحل الشمالى وقطعة أرض كبيرة فى ميدان التحرير بالقاهرة ، وانفضَّت الشركة قبل أن يبدأ العمل ودفعت مصر للشريك اللبنانى ٤٠ مليونا من الجنيهات ، وثارت الصحافة الحزبية على ذلك ، ولم نسمع للحكومة بصوت مفيد ، وقالت الصحافة إن المال العام نهب للجوارح من الذئاب

٥ - شواطىء النيل والشاليهات

ومن إهدار المال العام ذلك السطو على شواطىء النيل ، وإقامة شاليهات على الشاطىء لأولاد الذوات ، فكأن هؤلاء لايريدون للمواطن العادى أن ينعم برؤية النيل ، فجعلوه حكرا على بعض الناس

ومن العجيب أننا شاهدنا ثورة ضد هذه الشاليهات وأوامر لإزالتها حتى لاتحجب النيل عن الناس ، ونفذ ذلك بحزم وقسوة ، ولكن ما إن تمّ ذلك حتى قامت شاليهات جديدة أكثر إحكاما من الشاليهات السابقة ، فكأن قوة أعتى تصدّت للقوة السابقة فحطّمتها وحلّت محلها

أما الشعب فهو ضحية فى الحالتين

وأغلب الظن أن هناك مئات الأمثله لمثل ذلك الإهمال فى المال العام .

٦ - السيارات الحكومية :

وكنت مرة مدعواً لإلقاء محاضرة فى هيئة حكومية ، وأرسلت الهيئة لى سيارة (فورد) فلاحظت أنها من نوع سيارتى ومن تاريخ الصنع ونفس اللون ، ولكن كان الفرق كبيرا جدا ، فسيارتى لاتزال فى عنفوانها أما سيارة الهيئة الحكومية فمُتَهالكة ، فسألت السائق عن ذلك فقال : هذه السيارة الحكومية تبيت تحت الندى وتقف فى النهار تحت الشمس المحرقة ، وتسير حتى ينتهى منها البنزين فتقف فى الطريق ، وتحتاج أحيانا إلى إصلاح قليل فتُهمَل فتتضخم العيوب ، وهذا هو الفرق بين السيارة الحكومية والسيارة الخاصة .

وقالوا لى فى أحد المجمعات الحكومية إن استهلاك المياه فى أى يوم من أيام العمل أقل من الاستهلاك فى يوم من أيام الإجازات ودُهشت لذلك وسألت كيف ؟ فقالوا فى أيام العمل قد يوجد شخص من الوَافدين على المجمَّع يقفل الحنفية ، أما فى الإجازات فالماء ينساب دون أن يوقفه أحد .

٧ - السفارات والديبلوماسيون :

ولنا سفارات فى عدد من الدول وهيئاتٌ دبلوماسية وقنصلية أكثر مما لأمريكا ، وهو ظلم بيِّن وإسراف فى المال العام ، ومثل ذلك يقال عن عدد الوزراء الذى يفوق عدد وزراء كثير من الدول الكبرى .

٨ - مدرب الكرة :

ومدرب الكرة الأجنبى فى واحد من الأندية المصرية يأخذ ١٠٠,٠٠٠ جنيه شهريا، بالإضافة إلى مسكن وسيارة وهو مرتب مائة أستاذ بالجامعات ، ولقد سخر النقاد من هذا الوضع الذى يدل دلالة واضحة على الإسراف الظالم للمال العام ، وبخاصة أننا لم نشهد تفوقا لهذه الأندية فى كل المباريات الأجنبية تقريبا .

ولست أريد أن استطرد فى ذكر أمثلة لإهمال المال العام فى مصر وإنما أعطيت نماذج قليلة جدا مما فى الذاكرة من الإهمالات ، واعتقادى أن هذا الإهمال خيانة للدين والوطن، وضرره سيعود على الجميع وهو ضرر باهظ لأنه منتشر فى كل زمان ومكان وفى أنواع متعددة .

الأفراح والموسيقى والغناء

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم « مَنْ حَرَّم زينَةَ الله التى أخرج لعباده ؟ » (الاعراف : ٣١) ويقول أيضا «يزيد فى الخلق ما يشاء» (فاطر : الآية الاولى) ويقول المفسرين إن الصوت الجميل هو جانب من هذه الزيادة التى يمنحها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء كالذكاء والجمال وقد كتب بحلٍّ الغناء والموسيقى الإمام الغزالى والإمام القشيرى والإمام الشوكانى والإمام شلتوت وكثيرون سواهم وقد اقتبست من هؤلاء ومن غيرهم الأدلة القاطعة على جواز الغناء والموسيقى مادام ليس هناك سبب يدعو للتحريم كأن تكون الكلمات رديئة متجاوزة حد الآداب أو يكون الأداء غير لائق كأن تكون المغنية غير متحشمة وهكذا . .

وكان القرآن الكريم هو قائدى فى ذلك الاتجاه فقد تكلّم عن واحد من الفنون وهو الشعر وهاجمه ذاكرا سبب هجومه ، ثم أباحه إذا كان الهدف سليما ونافعا قال تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم ترأنهم فى كل وادٍ

يهيمون ، وأنهم يقولون مالايفعلون» فقد هاجم الشعراء لأنهم يهيمون فى كل واد ، فيهجون الناس استدراراً لأموالهم ويمسُّون الشرف والأعراض ، ويقولوّن مالا يفعلون .

ثم استمرت الآية ترفع شأن الشعر الذى يقول كلمة الحق ويدافع عن الإسلام فقالت فى الاستثناء «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . . » فهؤلاء لا يدخلون مع الصنف الأول من الشعراء المعادين للآداب ، وسمع الرسول ﷺ شعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير وأثنى عليه .

ومن هنا فى تقديرى نرى أن أنواع الفنون يسير معها الحكم على هذا المنوال ، فالأصل هو الحل وتحرم إذا طرأ مايجعلها حراما .

ولست أريد أن أعيد هنا ما كتبت فى كتابى «بحوث فى الحضارة الاسلامية» الذى خصصت جزءا كبيرا منه للكلام عن «الحضارة الإسلامية والفنون» وأنما أريد الآن أن أوضِّح بعض النقاط الإضافية :

أولا : أتمنى لو أن الباحثين المسلمين كفُّوا عن التحريم المطلق لهذه الأشياء فلا نريد أن نضيِّق على المسلمين وأن نحرِّم ما أباحه الله تعالى لهم .

ثانيا : الأفراح الكبيرة يعاب عليها أنها تدعو الأغنياء إلى الموائد السخية وتنسى الفقراء ، ونتمنى أن توجد موائد للفقراء أيضا .

ثالثا : تصبح هذه الأشياء حراما لو شغلت سامعها عن واجب دينى كالصلاة أو واجب اجتماعى كالعمل أو الاستذكار أو انحرفت بأى شكل من أشكال الانحراف .

رابعا : يمكن لأى شخص أن يبتعد عن الغناء والموسيقى ، ولكن لا يحرِّمها على الآخرين .

خامسا : في الجاهلية اختلط الغناء والموسيقى بالجوارى والشرب والتدخين والاختلاط المشبوه فأصبح حراما ، وبعض الناس أطلق التحريم دائما ، والذى نراه أن نحرِّم ما حرمه الله وأن نقف عند هذا الحد .

المآتـــــــم

نظم الإسلام التزامات الأحياء تجاه الموت والموتى تنظيما دقيقا ، وقد دونتُ ذلك فى كتابى «الحياة الاجتماعية في الفكر الإسلامى» ولكن الناس لايقرؤون وإذا قرءوا لاينتفعون بما يقرؤون ، والذى نحاوله الآن أن يتخلص المسلمون من العادات القبيحة والتى حرمها الله سبحانه وتعالى وألا يدخلوا القرن الحادى والعشرين ومعهم هذه العادات المزرية ، وكثير منهم يعملها أو يقبلها باسم الإسلام والإسلام منها براء .

والعجيب أن الدول الغربية أكثر استسلاما واحتراما للموت من بعض الدول الإسلامية .

وقد وضع الإسلام قواعد منظمة لكل الخطوات التى تلزم أن يقوم بها الأحياء عند موت أحد منهم ، ولكن المسلمين تناسوا ذلك وسلكوا مظاهر الجاهلية ، وفى كلمات قَصيرة جدا نقول :

إن التزامات الأحياء بالنسبة للميت هى :

١ - غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

٢ - يمكن أن يذرفوا الدموع من غير صوت وبدون سخط .

٣ - نَهَى الرسول ﷺ عن النعى إلا لضرورة كحقوق ورثة أو دائنين .

٤ - لاترتفع هيئة القبر ولا يجصَّص.

٥ - العزاء ليس للتظاهر، فلا سرادقات ولاقراء، ومن حضر الجنازة فلا عزاء له، وليس هناك لبْس خاص لأهل الميت ولا شارات حزن، وحذار من مكبرات الصوت التى تضر وتجلب اللعنات على المتوفى.

٦ - زيارة القبور للعبرة والعظة وليست لإحياء الحزن.

٧ - لا ثواب للميت من قراءة القرآن في هذه المحافل ولاثواب لدافع الأجر.

٨ - لايوجد خميس صغير ولا كبير ولاحفل للأربعين أو للذكرى السنوية.

٩ - فى حديث الرسول : الميت يعذَّب بما نيح عليه فحذار من النواح على الموتى.

١٠ - السودان وإندونيسيا تتبعان الفكر الإسلامى تماما فى مسائل الوفاة.

قضايا اجتماعية أخرى فى سطور

- الرياضة التى تَعرف التعصب إلغاؤها أحسن من رعايتها.
- القمار يخلق الحقَد والكراهية ولايليق بالإنسان المسلم.
- الخمر والحشيش والأفيون والكوكايين والهيرويين وكل السموم البيضاء والتدخين كلها آفات يجب على المسلم أن يبتعد عنها وهى محرّمة قطعا.
- النظافة في الإسلام هى نظافة الظاهر والباطن، فكما نُعنَى بنظافة الجسم والثوب والمكان نعنى بنظافة الباطن فلا كبر ولاحسد ولاتباغض ولا مبالغة في الطموح، والالتزام بالتعاون والاهتمام بخير المجتمع.

هذه لمحات قصيرة عن بعض القضايا الاجتماعية بالبلاد الإسلامية قصدت بإيرادها هنا تنقية الإنسان المسلم من هذه الأفكار وإعداده من جديد للقرن الجديد، وكفاه أن مرت عليه القرون وهو يعانى من هذه الأمراض التى لا نقبل أن ندخل بها قرن صراع الحضارات. وعلى الله قصد السبيل.

المصادر الرئيسية للتشريع

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الرئيسان للتشريع الإسلامى، وللقرآن الكريم إجلاله، وللسنة المطهرة تقديرها، وقد اعتمدت عليها فى كل ماكتبتُ من دراسات إسلامية فى موسوعة التاريخ الإسلامى، وموسوعة الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان والمكتبة الإسلامية لكل الأعمار.

وأسجل وأشهد الله على ذلك أننى ماكتبت كلمة ولاتفوهت بلفظ إلا كان هدفى خدمة الإسلام والمسلمين، وأسجل شيئا ماديًا يعرفه القارئ هو أننى آثرت أن أعيش لخدمة العلم والفكر الإسلامى، فلم أسافر فى إعارة، وضحيتُ من أجل ذلك بما كان يمكن الحصول عليه من مال، وسافر زملائى وتلاميذى وبقيت وحدى لهذا العمل.

القرآن الكريم :

والقرآن الكريم نواجهه دائما بالخضوع والخشوع والقبول، فقد تفضل الله سبحانه وتعالى بالتعهد بحفظه ورعايته من كل تحريف قال تعالى : «**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**» (سورة الحجر الآية ٩) وقال تعالى : «**وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد**» (فصلت الآيتان ٤١ - ٤٢) ولانواجه أى عناء فى فهمه والاقتباس منه، وهو موافق لكل زمان ومكان.

السنة المطهرة :

فإذا جئنا للسنة المطهرة ذكرنا أن السنة مصدر مهم من مصادر التشريع وهى تلى القرآن الكريم في الأهمية، فالرسول ﷺ مبلِّغٌ للدعوة وشارحها ومبينها قال تعالى : «**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل**

فما بلغت رسالته» (المائدة : ٧٠) وقال : «وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس مانزل إليهم» (سورة النحل : ٤٣) .

ومن هنا أخذ الحديث النبوى مكانته العظمى فى التشريع ، فهو شرح وبيان ، به توضيح المجمل ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتعيين المراد من نصٍّ يحتمل أكثر من معنى ، وقد أوردت فى كتابى «التشريع والقضاء فى الفكر الإسلامى» أمثلةً لكل نوع من هذه الأنواع ، وذكرت أن الرسول ﷺ كان فى بيانه وإيضاحه للقرآن الكريم تابعا للإلهام والوحى ، فهو عن الله يبيِّن أو يخصص أو يعيِّن .

وأضفت أن السنة أحيانا تشرِّع أحكاما جديدة بناء على الوحى أو بناء على اجتهاد الرسول فيما لم ينزل به القرآن ، ومن هذه التشريعات توريث الجدة ، واشتراط الشهود لصحة عقد الزواج ، وتحريم الزواج بالرضاع مثل التحريم بالنسب .

وكل ذلك واجب الاتباع ، فالتشريع فى العهد النبوى كان كلُّه إلَهيًا سواء كان من القرآن أو من الحديث ، فالقرآن واضح أنه من عند الله سبحانه وتعالى ، والحديث إما الهام ، أو اجتهاد لم يصححه قرآن فيصبح بذلك دالا على رضاء الله تعالى عنه .

ذلك هو رأيى فى أحاديث الرسول ﷺ، تقديس لها، واعتداد كامل بها واعتماد عليها مصدرا ثانيا من مصادر التشريع الإسلامى، ومقاومة صارمة لكل من يهاجم السنة أو يدعو لإهمالها، ولكن ذلك فيما يتعلق بالأحاديث ككل، أما أن يتجه النقد لقول معين أو أقوال معينة تنسب للرسول، فذلك ممكن، والذين يقفون أمام هذه الأقوال يعلنون أنهم لايردُّون حديثا أو أحاديث ، وإنما يردُّون نسبة هذه الأقوال للرسول صلوات الله وسلامه عليه، ويرون

بأدلة قوية أن هذه الأقوال لايمكن نسبتهـا للرسول صلوات الله وسلامه عليه، لأنها تتنافى مع القرآن الكريم أو مع الفكر الإسلامى المعلوم بالضرورة، وذلك من باب نقـد «الدرايـة» وهو مـسلَّم به عند البـاحـثـين، وفي تقـديرى أن هذا الموضوع يحسن أن يترك للمتخصصين المستنيرين ليقولوا فيه كلمة حق.

وأحب أن أكـون صـريحا جـدا مع القـارئ العـزيز الذى وقـفتُ نفـسى لإفادته؛ لقـد كنت كتـبت عدة صـفحـات هنا أرد أقوالا نُسبـت للرسول ﷺ وأرى أنهـا لاتتـفق مع القـرآن الكريم أو مـع الفكر الإسـلامى المعـروف بالضـرورة، ثم شطبت هـذه الصـفـحات لأنـى لم أرد أن أفـتح بابا يغـضب شيوخنا من علماء الحديث الذين يرون تقديس كل ماورد فى كتب الصحاح، وإذا حاورتـهم كان ردُّهم أن هذا «وارد» وأنا أعلن أننى أحب أن أكـون على صلة طيبة معهم، فنحن جميـعا نخدم الإسلام، ولا أحب أن أخلق فجوة بينى وبينهم.

وشطبت هذه الصفحات مع أن شطب صفحات بَذَلَ فيها المفكر جهدا يعتبر عملا قاسيا علي النفس، فهو إعدام لثمرة فكر خرج بعد إعمال ذهن وإجادة صياغة، ولكنى شطبتها على كل حال حرّصا على حسن الصلة بشيوخنا، وتحاشيا من الصدام بمن يتلمسون الأخطاء، ومن أسباب شطب هذه الصفحات رغبتى ألا أصرف قارئ هذا الكتاب عن قضاياه إلى موضوع الحديث النبوى الصحيح والموضوع.

وبعد أن شطبت هذه الصفحات فعلا جمعتْنى جلسةٌ مع بعض المثقفين الذين يمكن أن نصفهم بذوى الثقافة الرفيعة والإسلام العميق، وأثرت الموضوع أمامهم أو أثير الموضوع بوسيلة أو أخرى فغضبوا لتصرُّفى وقرروا ضرورة إعادة هذه الصفحات إلى هذا الكتاب وأكَّدوا أن بعض القراء سيقابل في أثناء قراءته لصفحات هذا الكتاب هذا الموضوع حيث تحدثتُ عن

المصادر الرئيسية للتشريع، وسيرى هؤلاء فراغا فى هذا الموضوع الذى ينبغى أن يطرح لا أن يهمل، وذلك لمصلحة الفكر الإسلامى الذى نعيش لخدمته.

ثم عدتُ بذاكرتى إلى التاريخ الإسلامى حيث كان من المؤكد أحيانا وضع بعض الأحاديث وبخاصة من بعض الشيعة، وبهذه المناسبة نذكر أن الشيعة لهم مصدر خاص للحَديث الشريف وهو صاحب المنزلة الأولى عندهم وهو كتاب «الكافى» للكلينى وهو يعدل «البخارى» عند أهل السنة وواضح من قول الرسول ﷺ «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» أن وضع الأحاديث بدأ فى حياة الرسول ﷺ .

والطريق الذى ارتأيتُ أن أسلكه بين الابتعاد عن هذا الموضوع أو أن أطرقه، هذا الطريق له معالم هى :

أولا : أحاديث الرسول ﷺ التى جاءت شرحا للغامض من القرآن، أو توضيحا للمبهم أو تفصيلا للمجمل أو تخصيصا للعام أو تقييدا للمطلق يجب الأخذ بها، فهى متمِّمة للمراد من القرآن الكريم.

ثانيا : أحاديث التشريع المرتبطة بالعبادات أو الميراث (ميراث الجدة) أو الشهود لصحة الزواج.. وهكذا، كل أحاديث التشريع يجب الأخذ بها، فالإنسان المسلم يدرك أن هذه التشريعات مصدرها الله العلى العظيم مباشرة عن طريق القرآن الكريم أو بإلهام للرسول ﷺ ، ويقول تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر الآية السابعة) وألتزم هنا بأن أذكر أنه ليس فى وسعى ولا طاقة أمثالى أن نردَّ حديثا للرسول، وكل مايشغلنى هو الاعتقاد أن هذا القول المنسوب للرسول ليس من أقواله لعدم اتساقه مع القرآن الكريم أو مع الفكر الإسلامى المعلوم بالضرورة كما ذكرنا آنفا.

ثالثا : أقرر أننى أجهدت نفسى لأجد حلا لما ورد في الصحاح ولا يستقيم مع العقل أو النص القرآنى، ثم أهملت فكرى رغبةً فى عدم الخطأ تجاه هذا الموضوع الخطير، واتجهت لما كتبه أو قاله الأستاذ الشيخ محمد الغزالى والدكتور يوسف القرضاوى والأستاذ الشيخ موسى لاشين لعلّى أجد عندهم الدواء، ولكن للأسف لم أجد دواء وسأقدم نماذج من أقوالهم أو كتاباتهم لعل القارئ يشاركنى الرأى.

مشاورات مع بعض العلماء :

قلت للأستاذ الجليل موسى لاشين : أنا لا أفهم ماورد بالبخارى من أن موسى عليه السلام قال لمحمد ﷺ : أنا أعلم بالناس منك، أمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأسماعا وأبصارا، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف وأضفت قائلا للشيخ موسى : لا أعتقد أن موسى العبرى أعلم بالعرب من محمد العربى الذى كان آنذاك فى الثانية والخمسين من عمره، وكان قد مضت عليه رسولا اثنتا عشرة سنة، ثم إن أوصاف الضعف التى نسبت لأمة محمد ﷺ تتنافَى مع قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (آل عمران ١١) ومع قوله تعالى : «وجعلناكم أمة وسطا» (البقرة ١٤٣) وتتنافى مع واقع الحياة، فليس المسلمون ضعافا فى هذه الأشياء.

أتدرى أيها القارئ الكريم ماذا كان جواب الشيخ موسى لى ؟ إنه قال : هل درست معنى «العلم» ؟ فقلت له : أظننى أعرف معنى العلم ويعرفه الكثيرون، ودار بينى وبينه حوار قصير لم يقنعنى.

أما الدكتور يوسف القرضاوى فقد عشت مع كتابه (السنة النبوية : معالم وضوابط) فوجدته يورد كثيرا من الأحاديث التى لا يقبلها عقل أو لا تتفق مع القرآن الكريم، ويقوم بدراسة طويلة عنها لأنه لم يُرِدْ أن يذكر أن هذه الأحاديث موضوعة، ومن هذه الأحاديث :

- مارواه جماعة من الصحابة عن النبى أنه قال : إن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حَبْواً (ص ٨٤) مع أن عبد الرحمن بن عوف من الصحابة الأبرار المبشّرين بالجنة .
- حديث لَطْم موسى لملك الموت عندما جاء لقبض روحه (ص ٨٦) .
- اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بعده شرٌ منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم (ص ٨٧) وجاء عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج ، وجاء كثير من الأبرار والنسّاك في القرون المتأخرة .
- سأل رجل الرسول : أين أبى؟ فأجابه الرسول : إن أبى وأباك فى النار ص ٩٧ ويعلق الدكتور القرضاوى على هذا النص بقوله : ماذنب عبد الله بن عبد المطلب حتى يكون فى النار ، وهو من أهل الفترة والصحيح أنهم ناجون[(١)]

وعدت للإمام محمد الغزالى فى كتابه (مائة سؤال عن الإسلام) فوجدت به :

- من علامات الساعة أن يصبح الحفاة العراة رءوس الناس (٧٨)
- لاتقوم الساعة حتى يرث الدنيا شراركُم (ص ٧٨)

وعدت لكتاب آخر للشيخ محمد الغزالى هو «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» وقد عرض الشيخ محمد الغزالى فيه بعض نماذج من الأحاديث النبوية التى لا يسلِّم الباحثون بها مثل الحديث الذى يقول : ان الميت يعذَّب ببكاء أهله عليه ، واحتج بقول السيدة عائشة عندما سمعت ذلك إذ قالت : يقول تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى» (الأنعام : ١٦٤)[(٢)].

---

(١) د. يوسف القرضاوى : السنة النبوية : معالم وضوابط ص ٩٧
(٢) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص ١٦

وحديث آخر هو : «لايُقْتَل مسلمٌ بكافر» وقال الشيخ محمد الغزالى : إن أهل التحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، ويعلق على ذلك بقوله : هذه سوأة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون، كما قالوا بقتل المسلم بالكافر لقوله تعالى: «النفس بالنفس» (المائدة : ٤٥)[١]

وفى حديث متصل بالمعراج رواه الإمام البخارى وهو يفسر آيات سورة النجم، ويقول الشيخ الغزالى: وقد جاء الإمام مسلم فعلّق على رواية إمامه البخارى فبيّن مابها من عطب[٢]

وفى حديث أن موسى فقأ عين ملك الموت عندما جاء ليقبض روحه، يقول الشيخ الغزالى الحديث مرويٌّ عن أبى هريرة وقد حاول البعض الطعن في صحته.

ويقول الشيخ الغزالى : فلما رجعت إلى الحديث فى أحد مصادره ساءنى أن الشارح جعل ردَّ الحديث إلحادا[٣]

ويروى فضيلة الشيخ أحاديث متعددة توضح حق المرأة فى اختيار زوجها، ويذكر أن الشافعية والحنابلة أجازوا أن يُجْبِر الأب ابنته البالغة على الزواج ممن تكره[٤] ولم يأخذوا بالحديث.

ويروى كذلك الحديث الذى يقول إن امرأة مرض أبوها فاستأذنت زوجها لتعوده فرفض زوجها أن يأذن لها، ومات أبوها فاستأذنت أن تشيّعه فرفض زوجها وأطاعته المرأة فى الحالتين وتقول الراوية إن الرسول ﷺ قال لها: إن الله غفر لأبيك لطاعتك لزوجك.

(١) المرجع السابق ص ١٨ - ١٩
(٢) المرجع السابق ص ٢٢
(٣) المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨
(٤) المرجع السابق ص ٣٢ - ٣٣

ويعلق الشيخ الغزالى على ذلك بقوله : أكذلك يعرض ديننا ؟ سجنا للمرأة تقطع فيه ما أمر الله به أن يوصل!!(١)

ومن أخطر الموضوعات التى وجدت الإسرائيليات فيها مكانا خصبا موضوع الإسراء والمعراج، فحشدت أحاديث عدةٌ عن هذا الموضوع من النوع الذى تكلم فيه العالمان الفاضلان : الغزالى والقرضاوى، ولم تنس الإسرائيليات أن تنتهز فرصة الإسراء والمعراج وارتباطهما ببيت المقدس لترفع من شأن موسى عليه السلام، إذ ظهرت بالإسراء والمعراج مكانةُ محمد عند ربه، فلا بد أن يوضع موسى بشكل ما فى هذا الإطار، ويكون هو - لا إبراهيم أبو الأنبياء - هو الذى يحاور محمدا ويرده إلى ربه لتخفيف عدد الصلوات فى اليوم الواحد.

الشيخ عبد الجليل عيسى وأحاديث الإسراء والمعراج :

وقد انتقد الشيخ الفاضل عبد الجليل عيسى عضو هيئة كبار العلماء ماورد في حديث الإسراء والمعراج من أحداث فقال فى مقاله الذى نشر فى صحيفة الأخبار يوم الجمعة الموافق ٢٣/ ٨/ ١٩٧٤ بعنوان «بعيداً عن الشطحات والخيال» وقد جاء فيه مايلى بالحرف الواحد «إن الحديث المروىَّ فى صحيح البخاري والذى يشير إلى صعود الرسول مع جبريل فيقول له الملك : من أنت؟ فيجيب جبريلُ : أنا جبريل . فيقول الملك : ومن معك ؟ فيقول جبريل : محمد، ويعود الملك يسأل : أوقد بعث؟ وأرسل إليه؟ فيقول: نعم فيفتح لهما الباب، ويتكرر ذلك فى كل باب حتى السماء السابعة.

«ويسأل السائلون : ألا تعرف ملائكة السماء جبريل ؟ وهو طاووس الملائكة حتى يسألوه : من أنت؟ وهو ينقل الوحى من عهد آدم إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام.

---
(١) المرجع السابق ص ٤٣

«ثم ألا يأتمنونه على من جاء معه، ثم ألا تعلم ملائكة السماء ببعث محمد؟ وجبريل يغدو ويروح له بالوحى من أول بعثه حتى وقت الإسراء (مدة ١٢ سنة).

«وهذا الحديث رغم رواية البخارى له قد جاء بسبع روايات فى أبواب مختلفة وهذ الروايات السبع مختلفة فى تحديد عام الإسراء، وفى شهره وفى يومه، وفى كيفيته، وفي المكان الذى جاء الملك إلى النبى فيه، وفى ربط البراق بالصخرة، وفي مراجعة الرسول لربه فى تخفيف الصلاة.

«واختلاف الروايات فى حديث ما على هذا النمط ينفى عنه - عند علماء الحديث - صفة الحديث الصحيح والحسن، هذا رأيى فى القضية وعلى الله قصد السبيل . . .»

توقيع : عبد الجليل عيسى

وقد نشر بعض الأساتذة المفكرين عدة مقالات في الصحف (الأخبار فى ١٨/ ١٢/ ١٩٧٦ و ٣٠/ ١٢/ ١٩٧٧) وأوردوا نماذج مما رواه البخارى، ولايقبله عقل سليم، ومن ذلك:

١ - أن موسى عندما جاءه ملك الموت لقبض روحه صكّه ففقأ عينه.
٢ - إن الحجر هرب بملابس موسى عندما نزل ليستحم، حتى يتأكد بنو إسرائيل أن جسمه ليس به برص.
٣ - إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات؛ منها كذبتان فى ذات الله.
٤ - أن سليمان أقسم أن يطوف في ليلة واحدة على تسعين امرأة من نسائه، وأنه ستحمل كل امرأة منهن بفارس، فقيل له: قل إن شاء الله فلم يقل.
- وفى نقاش بين الإمام العاملى مؤلف كتاب الكشكول وعالم آخر اتفقا على أن الأحاديث الضعيفة فى صحيح البخارى ستون (الكشكول ص ٣١١).

- ولنعد للبخارى فنذكر أنه روى أن موسى بكى عندما رأى محمدا، فسئل: مايبكيك؟ فقال: أبكى لأن غلاما بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى.

وكلمة غلام لانقرُّها عن خير الرسل، ولانقبل لذلك تأويلا ولا مماحكة، كما لا نقبل حسدا بين الأنبياء.

- كان أمام البخارى ٦٠٠,٠٠٠ حديث فاختار منها ٦,٠٠٠ أى ١٪ وإنى أتساءل: أما كان من الممكن - لو أعاد البخارى النظر فيما اختاره - أن يضيف إليه أو يحذف منه؟ وإذا كان قد اختار ١٪ من الأحاديث التى كانت أمامه أليس لغيره من العلماء الحق فى أن يختاروا جديدا؟ أو يتركوا بعض مختاراته؟

الشيخ عبد العزيز بن باز والتحذير من البدع:

- للإمام عبد العزيز بن باز رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، كتاب عنوانه «التحذير من البدع» وهو يعارض فيه (ص ٦) القول بأن الأنبياء يخرجون من قبورهم قبل يوم القيامة، كما قيل عن خروجهم للقدس يوم الإسراء والمعراج، ويرى أن ذلك أى عدم خروجهم أمر مجمع عليه، ومن يقول بغيره فهو من الجهلاء، وواضح أن هذا يخالف ما ذكره البخارى وغيره عن وقوف الأنبياء عليهم السلام في السموات العلا يوم المعراج، أو تجميعهم بالقدس للصلاة مع محمد ﷺ.

- وهناك قاعدة وضعها الذين وضعوا هذه الأحاديث واختلقوها، وهى أن الحكم بأن أحد أحاديث البخارى موضوع ستجلب الشكوك حول باقى الأحاديث والمقصود بهذه القاعدة تثبيت الأحاديث الموضوعة حتى تبقى مثار شك، وهذه القاعدة لايرتضيها باحث، فإخراج حديث أو بضعة أحاديث من تلك التى رويناها يزيد البخارى قوة ويبعد عنه مصادر النقد، ويجعل باقى الأحاديث موضع الإجلال والتقدير.

ونعيد القول بأننا فى حاجة لدراسة واعية مستنيرة عن الأحاديث الشريفة ليكون موقفنا منها سائرا مع مانحرص عليه من إجلال للرسول ﷺ وأقواله، والعجيب أن بعض الذين ارتبطوا بالأحاديث النبوية يرمون الباحثين من غير جماعتهم بعدم التخصص وهى تهمه تعود بنا إلى العصور الوسطى عندما كانت الكنيسة ترى أن من حقها وحدها فهم الكتاب المقدس، وليس لغيرها أن يحاول فهم هذا الكتاب، ونقول لهؤلاء لن نعود لمبادئ العصور الوسطى، وقد سَحَقَتْ الكنيسة نفسَها عندما اتجهت هذا الاتجاه.

ولنغمض الطرف عن أقوال هؤلاء فهى تضر أكثر مما تنفع، ولنعد بحكم الورع إلى أن نقول إن أمامنا أحد طريقين :

١ - الطريق الأول هو ما أشرنا إليه من إعادة النظر في أمثال الأقوال التى اقتبسناها لنقرر قولا واحدا نحوها، هل هى أحاديث يجب الاعتماد عليها أو أنها من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، أو أن الرواية غير سليمة.

٢ - الطريق الثانى وهو أقرب للسلامة أن نجرى بعض التأويلات في مثل هذه الأحاديث، فحديث «إن الميت يُعذَّب بنواح أهله عليه» نؤوله بأن الميت أوصى أهله بذلك وكان بعض العرب يوصون أهليهم بشدة النواح عليهم، وحديث إنَّ عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا يفهم منه حثٍّ عبد الرحمن بن عوف على المزيد من عمل الخير وكثرة الصدقات، فغناه أوسع من عطائه، وهكذا وقد يكون هناك خطأ أو نقص فى الرواية، فقد روى أن أبا هريرة قال إنه سمع الرسول ﷺ يقول : الشؤم فى ثلاثة : فى الدار والمرأة والفرس، فلما عرفت السيدة عائشة ذلك قالت إن أبا هريرة لم يسمع الحديث من أوله، بل دخل فسمع هذه الكلمات من الرسول والحديث

هو : قاتل الله اليهود فإنهم يقولون : الشؤم فى ثلاثة : فى الدار والمرأة والفرس.

وما أحوجنا إلى مَنْ ينبرى من علماء الحديث ليتدارس الأحاديث التى لاتتفق مع القرآن الكريم أو مع الفكر الإسلامى السليم، ويعالج ذلك، فمحال أن تختلف الأحاديث مع القرآن، ومن الخطأ أن يقولوا إن هذا الحديث «وارد» دون أن نفهم هذا الوارد أو نزيل شبهة معارضته للأصول الإسلامية.

خصصت الجزء التاسع من موسوعة الحضارة الإسلامية للحديث عن «العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي» ووضّحت فيه انهيار العلاقات الدولية قبل الإسلام وقدمت نماذج لذلك، ثم تحدثت عن العلاقات الدولية كما يراها الإسلام في مجال السياسة (السفارات والكتب والمعاهدات) ثم في مجال الاقتصاد (العملات والتجارة والأسواق) ثم فى المجال الاجتماعى (الحرية والتسامح والتعاون) ثم فى المجال الثقافى حيث كان عطاء الإسلام واسعا، ثم في المجال العسكرى (الأمان والهدنة والجزية والأسرى..).

وطبيعى أننا هنا لن نعيد القول فى هذه الموضوعات، ولكنا فى إعداد الحضارة الإسلامية لصراع الحضارات فى القرن القادم نضيف مجموعة من القضايا.

الغرب وصنع السلاح والاتجار به:

وأول مانذكره أن الفكر الغربى في مجال العلاقات الدولية قد فشل فشلا ذريعا، وقاد العالم للنار والدمار، وهو لايزال يكدس الأسلحة التى تستنفد قدرا هائلا من ميزانيات الدول مما يحرم العالم من السعادة بالموارد ومما يجعل العالم يعيش في رعب، ويكفى أن نقتبس من الإحصاءات أن مخزون الغرب من أدوات التدمير يشمل ٥٠٠ رطل من المتفجرات لكل شخص في هذا العالم، وهذه الكمية الرهيبة المخصصة للفرد الواحد تكفى لتدمير المئات والآلاف، وأكثر مبيعات الأسلحة تكون للأسف للدول الفقيرة المتصارعة فى الداخل أو مع الدول المجاورة لها، وهذا ضاعف الفقر بسبب اتجاه الميزانية لشراء الأسلحة لا لإسعاد الناس، ومبيعاتُ الأسلحة لاتحسب بالملايين ولا بالمليارات بل بالتريليونات، فهى تأكل دخل الدول وتترك الناس جياعا.

والله وحده هو المسئول أن يكفى العالم شرور الغرب وحمقه وإذا كان لابد من أن تدمر هذه المواد بنى الإنسان فاللهم دمِّر بها صانعيها واحم منها دولة الإسلام.

والحضارة الإسلامية ترجح حضارة الغرب ألف مرة فى هذا المجال.

الغرب غَرَسَ وسائل الخلاف فى الدول قبل أن يتركها :

والدول الغربية التى خزنت هذه المواد فى مخازنها، وضعت الأساس للخلافات بين الدول التى كانت تحت سيطرتها، وقلما نجت دولة من صور هذه الخلافات، فعزلت السودان عن مصر التى كان الزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس يقول : تقطع يدى ولا أوقِّع على عزل السودان عن مصر، وجاء الاستعمار بعبد الناصر الذى سرعان ماوافق بناء على نصيحة قَزَم اسمه صلاح سالم على عزل السودان على الرغم من أن الأغلبية الساحقة من السودانيين كانوا يتجهون لحزب الاتحاد الذى أخذ اسمه من اتجاه الاتحاد مع مصر.

والذى حدث بين السودان ومصر تكرر فى كثير من الدول الإسلامية كما ذكرنا من قبل، فخلاف بين موريتانيا والمغرب وبين قطر والسعودية وبين اليمن وأريتريا وهكذا، وتلك الدول تشترى الأسلحة من الغرب أو الشرق فتدفع قوت الشعب، ويقتل بعضهم بعضا بهذا السلاح المدمر.

وبالإضافة إلى الخلافات التى زرعها الغرب بين دولة ودولة زرع الغرب خلافا آخر داخليا بين السلطة العراقية والأكراد أو السلطة التركية والأكراد.

وخلق الغرب إسرائيل لإحداث خلاف مستمر بينها وبين العرب والمسلمين، وأمدها الغرب بالرءوس النووية وغيرها من الأسلحة الفتاكة

وبالتالى تنفق الدول العربية والإسلامية أكثر إيراداتها في شراء أسلحة لتحمى بها نفسها .

المعونـــات :

ويتظاهر الغرب أحيانا بشيء من الودّ فيقدم معونات للدول التى كانت تحت سيطرته ولكنها كما ذكرنا من قبل - معونات مشروطة، شرّها أكثر من خيرها، وهدفها استمرار السيطرة الاقتصادية على الآخرين، وهى سيطرة تجر للسيطرة السياسية .

القـــروض :

ثم تجيء القروض وهى ألعن من المعونات، وهى مغلّفة بغلاف من الشرور السياسية والاقتصادية ذكرناها من قبل، ومن عجب أن تقرير جهاز المحاسبات المصرى ذكر أن ٦٠٪ من المنح والقروض المقدمة لمصر خلال الفترة (١٩٨٧ - ١٩٩٤) لم يتم استخدامها حتي الآن (١٩٩٦) ومقدار المبلغ الذى لم يتم استخدامه حوالى مليارين ، وقد نشرت صحيفة الأخبار الحكومية هذا الخبر العجيب فى ٢٦/ ٣/ ١٩٩٦ ولابدّ من محاسبة المهملين .

الثقة فى إسرائيل وعدم الثقة فى غيرها :

وقد أدركت الولايات المتحدة مايثار حول المعونات والقروض من نقد واتهامات بالضياع والاختلاس، فتقرر أن تتولى إدارة المعونات الأمريكية تصريف الأموال التى تقدّم كمعونة أو قرض، بمعنى أن دولة ما تقدّم المشروعات فتوافق هيئة المعونة على ماتوافق عليه منها، وتتولى إدارة المعونات الإنفاق على هذه المشروعات والدولة الوحيدة التى لاتتهم بسوء استغلال المعونة هى إسرائيل، وهى الدولة الوحيدة لذلك التى تُعطى المعونة لتتصرف فيها بنفسها .

والاتجاهات الغربية المدمرة أضرت بالدول الإسلامية اقتصاديا وسياسيا، ولكنها لم تغير من طابع الخير الذى غرسه الإسلام في نفوس المسلمين، ولهذا اتجه الهدف الإسلامى إلى جمع شمل المسلمين لتعاون مشترك ووحدة تجعل منه قوة تواجه الدمار الغربى وتحمى الدول الإسلامية من العدوان.

وهكذا قُدِّر علينا أن نرفع راية الأمان والسلام في هذا العالم، وبعد الاطمئنان على قوتنا والاستجابة لدعوة الوحدة سنرفع الراية ندعو لسلام عالمى نرجو أن يُظلَّ المجتمع البشرى فى القرن القادم بعد أن دمرت حروب الغرب أكثر أيامَ القرن العشرين، ليس في الحربين العالميتين فقط ولا فى حرب الدمار فى العراق والصومال، ولكن أيضا فى الحروب الفرعية التى غمرت معظم جنبات المعمورة.

والأسلوب الإسلامى غاية في التحضر، إنه يقرر أن طبيعة الكون جعلت الناس شعوبا وقبائل تنبثق من أصل واحد، ولكن هذه الفرقة الطبيعية يجب أن تسعى للتعاون والتعارف والودِّ، قال تعالى : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» (أصل واحد للجنس البشرى) وجعلناكم شعوبا وقبائل (بطبيعة التوالد والتشعُّب) لتعارفوا (فهى دعوة للمتفرقين أن يتحدوا) (سورة الحجرات الآية ١٣)

قضايا عسكرية وفقهية أساء نيكسون فهمها :

وهناك نقاط قدمها نيكسون فيما اقتبسناه منه فى مطلع هذا الكتاب وهذه النقاط ذكرها نيكسون بناء على جهله بالفقه الإسلامى، وهو بها يستَعْدى الأمم ضد الإسلام والمسلمين، وقد آن الأوان لنناقش هذه المغالطات ونبين وَجه الصواب فيها، فهى مرتبطة بالعلاقات بين المسلمين وغير

المسلمين أى فى دراستنا الحالية عن العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى، وفيما يلى هذه النقاط .

أولا : الإسلام والوفاء بالوعد والعهد :

أشار القرآن الكريم فى كثير من آياته إلى ضرورة الوفاء بالعهد، وأثنى على من يلتزم بما نصت العهود عليه، وهاجم من نكث الوعد وخرق العهد، قال تعالى :

- **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها**(١)
- **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**(٢)
- **.. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ..**(٣)
- **الذين عاهدتم منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة**(٤)
- **أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم**(٥)

وهذه الآيات الكريمة واضحة الدلالة على جواز المعاهدات وعلى ضرورة الوفاء بها، وهى فى الوقت نفسه تحذِّر المسلمين من غير المسلمين الذين دأبوا على نقض المعاهدات، أو على الأقل اندفع فريق منهم لرفضها .

ثانيا : العقوبات على المستأمَن :

يقول الإمام محمد أبو زهرة: إن الإمام «أبو حنيفة» يرى أن العقوبات التى تكون حقا لله كالغيبة والنميمة أو مايكون حق الله فيها غالبا كالسرقة والزنا لايقام فيها الحد على المستأمَن وإنما يحاسب على حقوق العباد كالقتل ورد المسروق أو قيمته(٦) فقط .

---

(١) سورة النحل : ٩١
(٢) الإسراء : ٣٤
(٣) المؤمنون : ٨
(٤) الأنفال : ٥٦
(٥) البقرة : ١٠٠
(٦) العلاقات الدولية فى الإسلام ص ٧١

ويقول الدكتور صبحى محمصانى : إن المستأمن يعاقب علي الجرائم التى فيها اعتداء على حقوق العباد كالقتل والقذف، أما مافيه التعدى على حقوق الله أى الحق العام كما فى الزنا والسرقة فإنه لايقام عليه الحد[1]

ثالثا : دار العهد

وتسمى أيضا . . دار الصلح ويقول عنها الإمام الشافعى : إنها الأقاليم غير الإسلامية التى جري الصلح مع أهلها وارتبطت معهم بمعاهدة أو اتفاقية وتتمتع هذه الدولة بكافة الحريات السياسية والمدنية[2]

رابعا : الجزية

يقول تعالي : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولايحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية»[3] ومقدار الجزية كما حددها الإمام الشافعى : ديناران للرجل الغنى مثل كبار التجار وأصحاب الضّياع، ودينار لأوساط الناس كالتاجر متوسط التجارة والطبيب الذى لم يزدهر بعد، ونصف دينار للعمال والخياطين والنجارين.

ولا تؤخذ الجزية على النساء ولا على الأطفال والصبيان، ولا على الفقراء أو الرهبان.

وسبب أخذ الجزية شيئان :

١ - يستمتع دافع الجزية بالمرافق العامة مع المسلمين كالقضاء والشرطة والطرق المعبّدة وآبار الشرب، ويدفع المسلمون نفقة هذه المرافق.

---

(١) القانون والعلاقات الدولية فى الإسلام ص ٩٩

(٢) د. عبد الحميد أبو سليمان : العلاقات الدولية ص ٨٠

(٣) التوبة : ٢٩

٢ - يعفى دافع الجزية من حمل السلاح والدفاع عن البلاد ، فإذا اشترك مع المسلمين فى حمل السلاح سقطت عنه الجزية ، وإذا ضعف المسلمون عن الدفاع عنه سقطت الجزية أيضا(١)

وواضح أنه لاجزية الآن على غير المسلمين فى البلاد الإسلامية لأنهم يدفعون الضرائب مع المسلمين ، والضرائب تقيم هذه المرافق ، ولأنهم يشتركون مع المسلمين في الدفاع عن الوطن الذى يعيشون فيه .

خامسا : دار الحرب

وهى ماخرج عن دار الإسلام ، ولم يكن بينها وبين ديار الإسلام عهد وهى معادية للمسلمين وتشكل خطرا علي حرياتهم وأمنهم ، وهؤلاء يتحتم على المسلمين مراقبتهم والاستعداد لهم خشية عدوانهم ، ويرى الإمام الشافعى أن هؤلاء هم المشركون بالله وجماعات الوثنيين ، ويحددهم أبو حنيفة بالمشركين من العرب ، ويزيد الإمام مالك فى التحديد فيرى أن هؤلاء هم مشركو قريش الذين كانوا خطرا على الإسلام في مطلع عهده .

وأجاز مالك والشافعى وأبو حنيفة إجراء صلح مع هؤلاء كما فعل الرسول ﷺ مع قريش فى الحديبية ، ويجوز قتالهم إذا اعتدوا أخذًا من الآية الكريمة «فإن قاتلوكم فاقتلوهم» و «قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»(٢)

وهكذا لايقاتل المسلمون إلا من قاتلهم واعتدى عليهم ، وقد ورد عن ابن عمر وعطاء وعمرو بن دينار أن الأمر للندب ولايجب قتالهم إلا دفعا لعدوانهم وهذا واضح من الآية الكريمة السابقة «فإن قاتلوكم فاقتلوهم».

(١) اقرأ بحثا عن الجزية فى «الاقتصاد فى الفكر الإسلامى» للمؤلف ص ٢٠٢ - ٢٠٩

(٢) البقرة : ١٩١

والآيات الكريمة التى حثت المسلمين علي قتال الكفار جاءت مرتبطة بأحداث كان العدوان فيها علي المسلمين طاغيا وظالما، وأهم هذه الأحداث حدث يوم الرجيع ويوم بئر معونة وفي كلتا الواقعتين جاءت الجماعات الوثنية للرسول ﷺ تدّعى الإيمان، وتطلب بعض المسلمين ليفقهوهم في الدين وليقرئوهم القرآن الكريم، وقد اختار الرسول لجماعات يوم الرجيع بعض الصحابة فيهم مرشد بن أبى مرشد وعاصم بن ثابت وحبيب بن عدى وزيد بن الدثنة، فلما وصلوا إلى الرجيع وهو ماء لهزيل بناحية الحجاز غدر المشركون بهم وقتلوهم(١) وكان ذلك في السنة الثالثة للهجرة.

أما بئر معونة فكان حدثها فى صفر سنة ٤ هـ وفيه قدم إلى المدينة أبو براء عامر بن مالك فقال أبو براء للرسول : لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لهم، فقال الرسول ﷺ : إنى أخاف عليهم أهل نجد فقال أبو براء : أنا لهم جار.

فبعث الرسول المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من خيار المسلمين فيهم عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، فخرج عليهم بعض مشركى بنى سليم وأخذوهم بسيوفهم(٢)

ومن هنا فقد كان قتال أمثال هؤلاء المشركين لازما للثأر لهذا الغدر.

سادسا : الردّة

ردّة المسلم عن دينه أخذت اهتماما كبيرا من المفكرين المسلمين، فالأغلبية ترى أن المرتد عن الإسلام بعد اعتناقه كافرٌ يستحق القتل وأن ذلك الموقف لايدخل تحت حرية الأديان التى قال بها الإسلام تبعا لقوله تعالى «لا

---

(١) ابن هشام ص ٣ من ٩٣

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣

إكراه فى الدين» (البقرة : ٢٥٦) فالحرية الدينية مكفولة فى الإسلام ولكن عمل المرتد مختلف لأنه يتلاعب بالأديان يدخل اليوم دينا ثم يهاجمه غدا. ومعنى هذا عدم احترامه للإله الذى أعلن طواعيةً إيمانَه به، وعدم احترامه للرسول الذي أقرَّ طواعيةً بصدق رسالته.

والارتداد عن الإسلام ثورة عليه وعلى معتنقيه، والثورة علي النظام فى أية دولة عقوبتها الإعدام، ولذلك إذا أسرَّ ردته ولم يعلنها فلا عقاب عليه.

والإسلام يتيح فرصة واسعة للمرتد للتعرف على حلول المشكلات التى دفعته للردة ولشرح الحق له ليعود للرشد، والفرصة لذلك واسعة تمتد من أيام إلى شهور تبعا لاختلاف الفقهاء.

وهناك من يرى أن حرب أبى بكر للمرتدين لم تكن بسبب الردة، بل كانت لمواجهة الاتجاهات التى قامت بها بعض القبائل لتستأنف ماكانت عليه قبل الإسلام من فوضى، ولتتخلص من القيود السياسية والاجتماعية التى فرضت عليها والتى بدأت بالثورة على دفع الزكاة والخضوع للسلطة المركزية، فالحرب ضد هؤلاء كانت حربا ضد من ثاروا على الدولة ونظمها.

ويتجه د. عبد الحميد أبو سليمان إلى هذا الرأى فيذكر فى ختام بحثه عن الردة قوله : وإنه لمن بالغ الأهمية أن يضع المسلمون القيمة الأساسية والمحورية للمسئولية الأخلاقية الفردية والحرية الاعتقادية فى الإسلام نصب أعينهم وألا يقعوا فى متاهات المجادلات والمناظرات الأكاديمية والتى يغلب عليها طابع الشكلية والسطحية والقيدية القانونية الحرفية حول التفاصيل والمصادر النصية، ولتبقى الحرية الفكرية بعد ذلك ضرورة ماسة وملحَّة[1]

(١) العلاقات الدولية ص ١١٠ - ١١١

سابعا : الجهـــــاد

الذى يتفهم النصوص الإسلامية يدرك أن الجهاد في الإسلام ليس فقط الجهاد بالسلاح بل جهاد النفس لإبعادها عن المعاصى كالحديث الذى ينسب للرسول ﷺ وهو أنه قال للمسلمين عقب عودتهم من إحدى المواقف العسكرية : رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فسألوه : وما الجهاد الأكبر يارسول الله ؟ فأجاب : جهاد النفس. وكخدمة الوالدين تبعا لقول الرسول للشاب الذي وفد على الرسول ليلتحق بالجيش فسأله عن أبويه، فلما عرف أنهما شيخان كبيران قال له الرسول : اذهب ففيهما جاهد (البخارى - باب الجهاد)، ويرى بعض المفكرين الاتساع فى هذا المعنى، فبذلُ الجهد فى مساعي الخير للخاصة والعامة هو جوهر الجهاد .

وعلى هذا فليس الجهاد هو دخول ساحات المعارك فقط، ففى ذلك قصور في فهم المعنى المراد بالجهاد، وفيه إساءة لمدلول الكلمة والفلسفة القائمة وراءها .

على أن الجهاد العسكرى كان فى مطلع الإسلام دفاعا كله، ومن الخطأ التاريخى أن نعدَّه هجوميا، والنص القرآنى يمتد بمفهوم الجهاد إلى أبعد من كونه مقصورا على الكفاح والتضحية فى ساحة المعركة، قال تعالى : «وجاهدوا فى الله حق جهاده» (الحج : ٧٨)

فشل الفكر الغربى فى مجال العلاقات الدولية :

الذى توحى به أحداث التاريخ عَبْر عدة قرون أن الفكر الغربى فشل فشلا تاما فى ميدان العلاقات الدولية، وكانت العلاقات دموية خطيرة بين دول أوربا بعضها والبعض وبين دول أوربا من جانب والولايات المتحدة أو الصين من جانب آخر، والذى يطالع مادة «حرب» فى دوائر المعارف يجد

هولاً من الصراع وفيضا من الدماء لسوء العلاقات الدولية فى الغرب، فهناك الصراع الدموى المرير بين الكاثوليك والبروتستانت، وصراع بين ملوك الإقطاعات بعضهم والبعض، وهناك الحروب الصليبية التى استمرت حوالى قرنين من الزمان، والتى تعاون فيها الصليبيون مع المغول البرابرة للقضاء على الثقافة الإسلامية، ثم هناك حروب كثيرة نرصد فيما يلى بعضها دليلا على فشل الغرب فى العلاقات الدولية :

- حرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣) بين بريطانيا وولايات أمريكية.
- حرب الأفيون (١٨٣٩ - ١٨٤٢) بين بريطانيا والصين وقد تحدثنا عنها من قبل.
- الحرب الأمريكية الأسبانية (١٨٦٨)
- الحرب الأهلية (١٨٦١ - ١٨٦٥) بين ولايات الشمال وولايات الجنوب بأمريكا
- حرب الثلاثين عاما (١٦١٨ - ١٦٤٨) وهى حروب أوربية عامة
- حرب السنين السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) صراع دموى فى أماكن متعددة غربية
- حرب السنين العشر (١٨٦٨ - ١٨٧٨) بين كوبا وأسبانيا
- الحرب العالمية الأولى (١٨١٤ - ١٩١٨) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥) وحروب أخرى كثيرة يصعب أن يحصيها عدٌ.

خلاصة وإضافة

الصراع الحضارى بعد فشل الصراع العسكرى:

الصراع فى القرن الحادى والعشرين سيكون صراعا حضاريا وليس صراعا عسكريا، فقد أدرك الغرب فشل الصراع العسكرى منذ ضرب المانيا واليابان ضربات موجعة، وألقى القنابل الذرية على هوريشيما وناجازاكى، وألزم الاثنين أن يستسلما بدون شروط أو قيود، ولكن المغلوب سرعان ماحقق انتصارا اقتصاديا يفوق بمراحل انتصار الغالب.

وقد ساعد الغرب والشرق إسرائيل ضد العرب، ولكن العرب العزل حققوا بالحجارة حينا وبالسلاح البدائى حينا آخر نصرا دمر كبرياء إسرائيل، فالتزمت بالحل السلمى، وأدركت أن الرءوس النووية واتساع الأرض لن تغنى عنها شيئا.

وذكر هانتنجتون أسس التجمع من دين ولغة وعادات وتاريخ ولكنه عدَّ الدين أعمقها وأقواها وبخاصة الدين الإسلامى الذى يشمل تشريعات وقيمًا تربط بين معتنقيه برباط مقدس متين.

بُعْدُ هانتنجتون عن الحيْدة:

وكشف هانتنجتون عن الاتجاه الغربى العدوانى ضد المسلمين عندما أوصى بضرورة أن تجتمع أوربا والولايات المتحدة ومعهما كندا وأمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية في معسكر واحد.

ولم يقنع هانتجتون بذلك بل أوصى بالمحافظة على علاقات طيبة مع روسيا واليابان.

ولم ينس هانتنجتون إسرائيل فأوصى بالعناية بالقوة المؤيدة للغرب أى إسرائيل.

هانتنجتون لم يقرأ الفكر الإسلامي :

ولم يكن هانتنجتون محايدا في بحث يُفترض أن يكون علميا ، فبالإضافة إلى تحيزه للمعسكر الغربي اتجه بالهجوم على المسلمين فاتّهم المسلمين بما أسماه الأصولية ، والأصولية في نظره معناها التفكير الذي يؤدي إلى الإرهاب وهو خطأ كبير نشأ من قلة دراسته وبضاعته في الفكر الإسلامي ، فالمسلم صحيح الإيمان أصولي ، ولكنه يبرأ تماما من الإرهاب ويعارضه ويهاجمه .

ونسي هانتنجتون صور الإرهاب الشنيع الذي حدث في الولايات المتحدة منذ قُتل كنيدي وهو في موكبه الرياسي العظيم ، وما تلا ذلك من صور إرهابية ، كما نسي الإرهاب في اليابان وفرنسا وإيطاليا وقَتْلَ رابين في إسرائيل وماحدث في المملكة المتحدة ، وقد ذكر الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا «أن التطرف ليس حكرا على الإسلام ، بل ينسحب علي ديانات أخري بما في ذلك المسيحية ، والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال ، والنبي محمد ﷺ كان يمقت التطرف ويحارب التعصب ، ومن الخطأ الجسيم أن نحكم علي المسلمين بالإرهاب لبعض الحوادث التي تتصل بهم ، فذلك مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب والاعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات[1]

تحيُّز ظاهر :

ومن تحيز هانتنجتون أنه ذكر أن المسلمين يصطدمون بالصرب واسرائيل وبورما والفيليبين ، ولم يتمكن من ذكر كلمة حق عن أن المسلمين معتدًى عليهم في هذه البلدان .

---

(١) الإسلام والغرب ص ١٤ ، ١٧

ووصم هانتنجتون المسلمين وصمةً هم منها أبرياء عندما قال : إن التاريخ يثبت أن للمسلمين حروبا دموية، وهذا يدل دلالة واضحة على جهله بالفكر الإسلامى والقيم الإسلامية، فلم تكن حروب المسلمين عبر التاريخ إلا حروبا دفاعية وكانوا دائما يميلون للمسالمة إن مال لها العدو، وذلك تبعا لقوله تعالى : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» (الأنفال : ٦٢)

واستمر تعصب هانتنجتون وبُعده عن الحيدة عندما أوصى بضرورة الحدٍّ من القوة العسكرية الإسلامية والكونفوشية، ففى رأيه أن الكونفوشية ستؤلف مع القوة الإسلامية جبهة واحدة.

نحن نقبل التحدي:

وبعد دراسة اتجاه هانتنجتون والذين ساروا سيرته مثل فرانسس فوكوياما وبرنارد لويس نعلن قبول التحدى وندخل معشر المسلمين ذلك الصراع الحضارى، ولكن تبعا لفكر علمى يجمع المسلمين فى جبهة واحدة، ويرسم لهم خطا واحدا للاستعداد لجولة التحدى.

ونحن نعترف بالواقع وقد قررنا أن الغرب تفوّق كثيرا فى الحضارة المادية، بل بالغ فى اتجاهاته المادية حتى صعد القمر ويُعدُّ العدة للاتصال بالمريخ، وخلق الإنسان الآلى وذلك تقدم هائل فى مجال الحضارة المادية، وإن كانت أهداف بعض أنشطته غير واضحة.

ولكن الغرب فى تفوقه المادى يعترف أن الشرق الإسلامى كان أستاذا للغرب قبل الميلاد حيث تفوق على عالم ذلك العهد وكان قبْلَة اليونان حوالى ألفى عام، وكان فى العصور الوسطى أستاذًا للغرب مَن جديد، ومثَّلتْ الأندلس الإسلامية وصقلية واللقاءات فى الحروب الصليبية ملجأ مهما للاقتباس من المعين الإسلامى، وذلك شىء يعترف به الغربيون كما ذكرنا من قبل.

ومع هذا التفوق المادى فإن الغرب فقير جدا في الحضارة الروحية، فقد غاب عنده الإله وكثر التمرد عليه، وبالتالى انهارت الأسرة وكثرت الفوضى وانتشر الانتحار، وهذا يؤذن بالضعف العام.

وسائل المسلمين للمواجهة الحضارية

ومن أجل أن تستعدّ الحضارة الإسلامية للمواجهة في هذا الصراع فإن على المسلمين أن يتسلحوا بأسلحة فكرية قوية حتى يمكنهم أن يواجهوا الحضارة الغربية.

والعالم الإسلامى يشبه مريضا تحالفت عليه الأمراض ولكن بنيته لاتزال صلدة، وتحتاج لبعض الأدوية والعناية حتى تستكمل العافية ويدخل خضمّ الصراعات الحضارية.

إحياء الحضارة المادية

وأول مايجب أن يهتم به العالم الإسلامى هو الاتجاه بحسم وقوة لإحياء الحضارة المادية وفى قمتها الصناعة والإبداع كما ذكرنا من قبل فهى السلاح الوحيد الذى يعتمد عليه الغرب وليس ذلك بعيدا عن فكر الشرق الإسلامى ومواهبه، فقد ذكرنا من قبل صور الإبداع التى حققها المسلمون فى مجالات متعددة من مجالات المعرفة، ويسعدنا أن مظاهر التطور قد بدأت تظهر عند بعض الدول الإسلامية ونرجو أن تكون هذه المظاهر فاتحةً لنهضة كبرى فى مختلف المجالات العلمية.

ولاشك أن النهضة العلمية فى العالم الإسلامى ستكون حافلة باليمن والخير للمجتمع البشرى كله، فلن يتجه العالم الإسلامي لإنتاج صور التدمير كما اتجه الغرب، ولن يعمل من السلاح إلا بالقدر الذى يدافع به عن نفسه، ولن يكون سوقا للتجارة بالسلاح.

وفي محاولاتنا لبعث النشاط فى الحضارة التجريبية، ينبغى أن نستعيد قدراتنا، وأن يستعين بعضنا ببعض، فكل دولة حققت تقدما فى أى مجال تفيض به على الدول الإسلامية الأخرى، وتكون هناك مصانع مشتركة أو متعاونة.

ولامانع من أن نستعين بخبرات وقدرات غير المسلمين، ولكن ينبغى ألا نتجه للغرب فيبدو أن الغرب بخيل بما عنده من علم وتكنولوجيا، ويقول الخبراء الماليزيون أن ماليزيا اتجهت للغرب فى بدء نهضتها الصناعية ولكن لم تستفد شيئا منه، فاقترح رئيس الوزراء وهو قمة فكرية أن تتجه ماليزيا لليابان فوجدت من اليابانيين كل وضوح واستعداد للعون، وهكذا ينبغى أن نتجه للصين واليابان، ويغلب أن نجد عندهما مالا نجده فى دول الغرب من عون وتوجيه، وقد ذكرنا ذلك من قبل .

ثم علينا ونحن نستعد لهذه المواجهة أن نحصر بدقة أسباب تأخرنا وأن نضعها فى قائمة، وقد ذكرناها كلها فى هذه الدراسة وفى قمتها الديكتاتورية وإسرائيل والإرهاب والتطرف . . . وعلينا أن نحدد الأولويات لنبدأ بالأهم ثم المهم .

الوحدة لا التعصب والفرقة :

ومن أسس النهضة الإسلامية المطلوبة القضاء التام على التعصب للقوميات الدينية والعرقية والمذهبية فالدين لله سبحانه وتعالى والوطن للجميع، ومن هنا يجب أن نتوقف تماما عن كل صنوف العدوان التى ترتبط باختلاف الدين والجنس واللون والمذهب، ويجب أن نعلّم أولادنا ازدراء هذا التعصب وأن يشبوا مواطنين صالحين، ونوضح أن التعصب للدين لم ينتج أبدا انتشارًا لهذا الدين، فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هى وسيلة

الدعوة للإسلام كما حددها الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع المتعصب أن يذكر لنا مثالا واحدا عن شخص انجذب للإسلام بواسطة التعصب والحمق، وعندما نوصي المسلمين بمصر بحسن معاملة الأقباط فإننا ندعو الأقباط أيضا أن يوثّقوا صلتهم بالمسلمين وأن يحبوهم ويتعاونوا معهم، ولنتذكر جميعا أن أجدادنا في مطلع الإسلام كانوا من الأقباط، وذلك رباط وثيق بيننا فبعض الأجداد عَبْر السنين اعتنقوا الإسلام وبقي آخرون على ديانتهم، ولهذا فالأقباط يرتبطون مع المسلمين برباط دم قريب أو بعيد، وبعض المسلمين يتزوجون من الأقباط فيصبح الأقباط أخوال الجيل الجديد، إنني كمسلم وباحث في الدراسات الإسلامية أتمنى مزيدا من الألفة والودّ بين عنصري مصر، ومكانةُ مصر وسمعتها بالخارج وثيقة الارتباط بهذا السلوك الذي ذكرناه، ويرتبط بهذا أيضا أن نتكفل بكامل الحرية للذين ينحدرون من عرق مختلف عن عرق الأغلبية، وأن نتكفل كذلك بالحرية المذهبية فيتعاون الإنسان السني مع الشيعي، وليتذكر كل منهما نقاط الالتقاء التي تجمع جميع المسلمين في دائرتها كوحدانية الله سبحانه وتعالى ونبوة محمد ﷺ والصلوات الخمس وصوم رمضان، والحج الذي يجمع الجميع في مكان واحد، ولا نسمح لإنسان أن يثير نقاط الفرقة وينسى نقاط الألفة، فالهدف الذي نتطلع إليه هو الوحدة الإسلامية التي روعيت في الصدر الأول للإسلام وترتب عليها صورٌ من النجاح السياسي والاقتصادي وزحفٌ ناجح لنشر الإسلام بدون إكراه أو إلزام، ولا شك أننا بالوحدة الشاملة بين أقطار العالم الإسلامي سنحقق تكاملا علميا ترجح به كفة الحضارة الإسلامية في صراع الحضارات .

وعندنا نموذج رائع للوحدة حققته العزيمة المخلصة لقادة مسلمين في إندونيسيا وماليزيا، فقد كانت اندونيسيا مفككة إلى جزر وممالك متعددة،

وعرف التاريخ مملكة ملقا ومملكة آتشه ومملكة ديماك ومملكة نبتان ومملكة مكسّر، وحاول الاستعمار الهولندى السيطرة على كل هذه الممالك، ولكن الزعامات المخلصة الإندونيسية حققت الوحدة بين هذه الأجزاء وأصرت على ضم مناطق أخرى بقيت حينا تحت سلطان هولندا ومناطق أخرى كانت تحت سلطان انجلترا فى جزيرة كليمنتان.

وتكوّنت وحدة شامخة من كل الجزر الأندونيسية رفعت شأن هذه الدولة وأعلت قدرها.

وكانت الوحدة فى ماليزيا واضحة أيضا، فحتى عصر الاستقلال كانت هناك سلطات متعددة شبه مستقلة هى جوهر وملقا ونجرى سمبلان وسلانجور وبيراق وقدح وجزيرة بينانج وباهانج وترنجانو وكلنتانج وبرليس، ولكن الزعامة القوية المخلصة جمعت الجميع في دولة ماليزيا التى بسبب الوحدة حققت جهدا عظيما فى مجال الصناعة والالكترونات وأصبحت كأندونيسيا من دول النمور.

وهناك وحدة عربية قامت كذلك فى دولة الإمارات العربية التى ضمت عدة إمارات فى نطاق هذه الدولة، وهذا يؤكد أن لنا تاريخا فى مجال الوحدة يساعدنا على اتخاذ خطوات أوسع فى هذا المجال.

والوحدة الإسلامية سلاح خطير يهزّ الغرب بدون طلقة سلاح فقد بنى الغرب تفوقه على تفكك الدول وتخاذلها، ويوم يتحد العرب والمسلمون يبدأ النصر المبين، ومن أسلحة الغرب التفريق بين الدول الإسلامية ففى فرقتها نجاحه وانتصاره.

القضاء على الديكتاتورية الظاهرة والمقنّعة:

ولابد أن يتجه العالم الإسلامى الجديد بكل قوة وصراحة إلى القضاء على الديكتاتورية الظاهرة والمقنعة، وليدرك الذين يتستّرون حول كلمة

ديمقراطية دون تنفيذها عمليا أنّ حيلهم مكشوفة، وأنهم يكذبون على أنفسهم ولاتنطلى كذبتهم على الناس، والغرب ينصر الديكتاتورية في الشرق إذا كانت هذه الديكتاتورية خاضعة له.

القضاء على العلمانية:

ومع اختفاء الديكتاتورية لابد أن تختفى العلمانية التى تحدثنا عنها من قبل، فهى لاتعنى إلا الإلحاد ومحاربة الإسلام والأديان، وإذا كنا نقيم دولة الإسلام ونريد أن نواجه أعداء الإسلام فى صراع الحضارات فلابد أن نقضى على العلمانية لأنها معول يضرب الإسلام من الخلف ولاتقوم دولة الإسلام الكبرى مع وجود العلمانية.

القضاء على الاختلالات الاجتماعية:

ولابد من القضاء على الاختلالات الاجتماعية، فالجائع لايمكن أن يحب المتخم أو يتعاون معه، والإسلام يحترم الغنى الذى جاء عن طريق سليم وأدى حق الله، وحق الله يمتد بدون حدود حتى لايبقى محتاج في العالم الإسلامى، فالإسلام لايقبل أن يوجد به أصحاب ملايين أو مليارات ويجوارهم عاطلون جائعون، وإذا كنا نستعد لدخول قرن يوصف بأنه قرن صراع الحضارات، فالجائع لايمكن أن يثبت فى الصراع أو يشترك بإخلاص فيه.

القضاء على الانقلابات العسكرية:

ونحن نريد أن ندخل هذا القرن ونحن شامخو الرءوس، ولايمكن أن ترتفع رءوسنا إلا إذا قضينا تماما على هذا الداء الوبيل الذى يسمى «الانقلابات العسكرية» ويتحتم أن يتعرض من يقوم بمثل هذه الانقلابات إلى عقوبات علنية ورادعة، فهى مظهر من مظاهر التخلف وعدم احترام الشعوب.

واعتقادى أن الانقلابات العسكرية ستختفى يوم توجد انتخابات حرة تماما، وحينئذ لاتستطيع أن تواجه هذه الانقلاباتُ جموع الأغلبية اليقظة المتعاونة.

القضاء على الإرهاب

والإرهاب داء وبيل لابد من القضاء عليه فى العالم كله، فالدم والعرض والمال يلزم أن تنال حماية المجتمع، وألا يهددها عابث أو شرير، ويلاحظ كما قلنا من قبل أن الإرهاب موجود فى كل مكان، ولكن عناصره الحقيقية متغلغلة فى الغرب منذ قامت حملة راهب متهوس فى أوربا ثم حملة أطفال زرع أهلوهم فى نفوسهم حب الدم، ثم بيعوا فى سوق النخاسة، قام هذا وهؤلاء بحملات صليبية ضد الإسلام والمسلمين، ذلك هو الإرهاب الحقيقى، وقامت على شاكلته جماعات الصهاينة بالقتل والتدمير فى فلسطين، وقد أقرَّ المجتمع الدولى أن الدفاع عن الأوطان ليس من الإرهاب فى شىء، ويوم تنتهى مشكلة فلسطين ويعود العرب لديارهم سيختفى الإرهاب.

القضاء على التبشير والروتارى والليونز وأمثالها :

وهناك إرهاب دينى ووطنى لابدَّ من القضاء عليه، وهو الذى يسمى التبشير والتنصير وكذلك الروتارى والليونز فكلها مؤسسات صهيونية تخدع الناس، وللأسف تجد من كثير من الزعامات تأييدا لها واستجابةً لمساعدتها، وليس ذلك إلا جهلا بحقيقتها، ولذلك فنحن ندعو هؤلاء المخدوعين لقراءة ماكتبناه عنها(١)

ومن وسائل النجاح فى المعترك السياسى تحقيق الحرية الكاملة للانتخابات وتحديد مدة رياسة الرؤساء وتوجيه النظام الملكى للحياة

---

(١) انظر كتاب «اليهود فى الظلام» للمؤلف.

الديمقراطية السليمة وهذه كلها أدوات مهمة للإعداد للصراع الحضارى المنتظر.

فى المجال الاقتصادى :

فى المجال الاقتصادى لابد أن نواجه الحقائق بصراحة، ومن وسائل ذلك الاهتمام الواسع بالتنمية، وتكون التنمية فى مجالات مختلفة تشمل الزراعة والصناعة والصحة، وستشدنا التنمية الزراعية إلى التوسع فى إعداد الملايين من الأفدنة للزراعة فى مصر والعراق والسودان وربما فى غيرها، وأن نحصل على أرقى البذور ووسائل التسميد حتى نتمكن من إنتاج طعام العالم الإسلامى كله، وفي هذا المجال لابد من العمل لاستعادة الأموال الإسلامية المنهوبة والمودعة ببنوك الغرب، وإذا كنا سنتسامح فى النهب - ولا أوافق شخصيا على ذلك - فإن أقل ما نطلبه هو أن يُستَعمل هذا المال المنهوب فى الاستثمار بيلادنا بدل أن يستثمر فى الخارج.

والعناية بالزراعة ستستلزم الاهتمام بمشكلة المياه كميةً وكيفًا والاهتمام بالقرية الإسلامية التى أهملت عدة قرون، ومن العيوب التى لاتغتفر أن تكون القرية التى يعيش بها المسلمون أقل كثيرا من القرية التى يعيش بها الصهاينة بجوارنا، ويقولون عنها إنها مركز حضارى مزدهر فى الريف اليهودى.

ومن المواقف الاقتصادية التى يجب أن نبرزها غير مترددين القضاء على فكرة التطبيع مع إسرائيل، وكيف يتم هذا التطبيع مع دولة يصرخ رئيس وزرائها بأنه لابد من حرب شاملة ضد العرب، وتحتفظ ضدنا بالرءوس النووية وتعلن حرماننا من القدس المدينة المقدسة عند المسلمين.

ومع إيقاف الزحف الأهوج على التطبيع نوقف القول والعمل على مايسمى الشرق أوسطية، فنحن دول عربية وجزء من العالم الإسلامى

وتلك هى الهوية التى نتَّسم بها، ويسخر المفكرون من كلمة تطبيع مع أن الطبيعة باعدت بيننا وبين هؤلاء الغاصبين الذين يشهرون علينا العداء ويستحلون كل الحرمات.

فى مجال التربية والتعليم:

فى مجال التربية والتعليم أمامنا شوط واسع يتحتم أن نقطعه لنستعدَّ لدخول قرن صراع الحضارات، وفيما يلى بعض الالتزامات:

١ - القضاء على الأمية، فمن العيب فى عهد الكومبيوتر الذى انتشر بين الصبيان فى اليابان أن يوجد بالعالم الإسلامى مَنْ يحملون الأختام ويبصمون، وقد كان الاستعمار هو الذى حرم هؤلاء من التعليم ولم يفتح المدارس الكافية، ولكن هذه الحجة قد اختفت إذ انقضى عهد الاستعمار منذ مدة قاربت نصف قرن أو تجاوزته فى بعض الأقطار، ولانغفر لسلطات إسلاميه إن تهاونت فى تدارك هذا الأمر، وعلينا أن ننتهى من هذه المشكلة قبل أن يحل القرن الجديد.

والحق أن القضاء على الأمية المرتبطة بالقراءة والكتابة ليس أقل من القضاءعلى الأمية الفكرية، فكثير من المثقفين يقفون عند المعلومات التى تلقوها فى المدارس أو الجامعات ولا يتابعون الحركة الثقافية والفكرية، وهذا يسبب جمودا وعدم ملاحقة التطور الفكرى.

وهكذا يتحتم الإكثارمن المكتبات المزودة بالكتب اللازمة للشباب للاطلاع والدراسة، بل يجب على الحكومة أن تطبع طبعات شعبية رخيصة الثمن للكتب التى تقبل عليها الجماهير ويحتاجها الراغبون فى الثقافة.

٢- فى دراساتنا بأكثر المعاهد والجامعات لم نحاول تطوير المناهج، ولذلك تسير كثير من معاهد العلم على نمط الدراسة التى كانت متبعة فى

العصور الوسطى ، وإذا كان هناك تغيير فإنه فى الورق الأبيض بدل الورق الأصفر أما المادة فهى هى تقريبا ، تجد ذلك فى مواد النحو والصرف وفى غيرهما من المواد ، فلا بد من تحديث المناهج فى كل المواد ، ويشمل الإصلاح القضاء على خرافات كثيرة دخلت فى الدراسات الإسلامية أشرنا لها فيما سبق ، كما يشمل الإصلاحُ إعادةَ إبراز علوم إسلامية مهمة نسيها المسلمون مثل الحضارة الاسلامية ومقارنة الأديان والتعرف على كتب الأدب الأصيلة كالأغانى والأمالى ودواوين مشاهير الشعراء .

٣- موضوع مجانية التعليم لابد من إعادة النظر فيه ، فلا يمكن أن نمنح المجانية لطالب غنى يركب سيارة فارهة ويعيش فى قصر منيف ، وأمثال هذا يجب أن يدفع تكاليف التعليم كما يدفع تكاليف سيارته وربما أكثر من التكاليف لتحقيق مجانية التعليم للآخرين ، ولا نمنح المجانية لطالب أمضى فى الجامعة عشر سنوات أو نحوها .

وعلى العموم فالرأى أن تكون المجانية كالآتى :-

(أ) التعليم الأساسى (الابتدائى والإعدادى) يكون بالمجان وتُدفَع معونة للفقراء مع المجانية .

(ب) بعد التعليم الأساسى ينصرف عدد كبير من التلاميذ للحرف : الزراعة والميكانيكا والكهرباء والنجارة والحياكة . . . . . .

(ج) يلتحق أنصاف الموهوبين بمدارس متوسطة لتخريج مساعدين للتمريض والهندسة والتجارة والزراعة ويكون ذلك بالمجان .

(د) الموهوبون يلتحقون بالمدارس الثانوية فالجامعات ، ونأخذ منهم بقدر حاجة المجتمع ، فبقدر حاجة المستشفيات والعلاج نأخذ طلاب كليات

الطب ، وبقدر حاجة المؤسسات الاقتصادية والبنوك نأخذ طلاب كليات التجارة ، وبقدر عدد المدارس نأخذ طلاب كلية دار العلوم وكليات الآداب ، المهم ألا نُخرِّج من الجامعات عاطلاً ، فمثل هذا خطرعلى نفسه وعلى مجتمعه .

وتعليم الموهوبين يكون بالمجان مع مكافآت للمحتاجين ، وإذا أراد الأغنياء الذين لم يشملهم التخطيط السابق ان يتعلموا بعد التعليم الأساسى فإن ذلك يكون بتكاليف التعليم كاملة كما ذكرنا .

فى مجال المجتمع الإسلامى والعلاقات الدولية :

فى هذا المجال يتحتم أن نعدَّ مجتمعا لاستقبال المهمة الكبرى فى قرن صراع الحضارات ، ومن هنا يتحتم أن نقوم بالخطوات التالية : -

١ - إعادة تكوين الفرد المسلم حتى يكون متَّفقًا فى سلوكه مع روح الإسلام وأخلاق الإسلام

٢ - إعادة تكوين المجتمع الإسلامى بحيث يظهر فى هذا المجتمع ما أبرزه الإسلامُ من التزامات بين المسلمين ، وفى طليعتها توثيق الصلات والعلاقات بين دول العالم الإسلامى ، وحراسة المال العام والقضاء على الخرافات التى لحقت بالفكر الإسلامى فى مجال الأفراح والمآتم .

ولابد أن نفهم القرآن الكريم فهما دقيقا وأن ندرك أن معنى قوله تعالى : «**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلوكم**» معناه إلزام المسلمين بصنع السلاح الذى نقاتل به ومعنى «**ادع إلى سبيل ربك**» الالتزام بصنع الورق وآلات الطباعة وهكذا .

ويجب أن نقضى على وسائل الخلافات التى وضعها الغرب بين الدول الإسلامية بعضها والبعض ، أو تلك الخلافات التى حدثت بسبب أولآخر ،

فالوحدة الإسلامية هدف سام يلزم أن يتغلب على ما يثار من خلافات أو اختلافات فى الرأى .

ويتحتم ألا نلجأ للمعونات المشروطة أو القروض ، فهى قيود وضعها الغرب لنسير فى ركابه .

وها قد كررنا القول اتّباعًا لنهج القرآن الكريم الذى كرر بعض الأفكار حتى إذا غفل عنها المرء واجهته مرة أخرى ، ونرجو أن يتدارس مجتمعنا تلك المعالم وأن يحققها ، وهو بذلك جدير أن يدخل حلبة الصراع بين الحضارات بأمل كبير فى النصر بالنجاح .

الإسلام دين تعاون :

يطيب لنا أن نستبعد كلمة صراع ، فهى امتداد للفكر الغربى الذى نشأ على الحروب والصدام ، ونستبدل بها كلمة تعاون ، فنتحدث عن تعاون الحضارات وتبادل الخبرات ، وهذا هو النسق الاسلامى الذى يعطى ويأخذ ويجعل الفكر البشرى منحةً من الله ، فالفكر السابقُ يَمُدُّ الآخرين بما عنده من خبرات ومعارف ، وهو ما سار عليه أجدادنا عندما قدموا حضارة الشرق العربى ثم الشرق الإسلامى للغرب كما وضحنا من قبل .

وقد أنصف برنارد لويس الحضارة الإسلامية فى نقطة من كلامه عندما ذكر أن الحضارة الإسلامية حضارة عالمية ، ولكن حضارة الغرب حضارة مسيحية مرتبطة بأوربا وبمن يسير فى ركابها من الدول ، ونضيف نقطة مهمة هى أن حضارتنا الروحية لا ينافسنا فيها أحد ، فالأحجار والصور والتماثيل رمز الإله فى أكثر الحضارات ، والإسلام يستبعد هذه المظاهر المادية ، ومن أجل هذا فقدرتنا أعظم من غيرنا فى محاولة إصلاح الحضارات وبناء جسور بينها ، وإذابة القوميات فى داخل الأوطان الإسلامية بعضها والبعض .

وإذا كان الغرب قد سبقنا في الحضارة المادية فقد تخلف كثيرا في الحضارة الروحية ، ويوم نتبادل الحضارات سيكون عطاؤنا كثير الفائدة للغرب ، وربما استطعنا إنقاذه من الهوة الروحية التى تردّى فيها .

فالهدف الإسلامى هو المنافسة السِّلمية بين الحضارات ، ومحاولة بناء جسور بين بعضها والبعض ، وقد أوردنا من قبل فلسفة الإسلام فى هذا المجال ، فالله سبحانه وتعالى جعل الناس شعوبا وقبائل ، وهذا شىء طبيعى بسبب الأولاد والأحفاد وكثرة التشعُّب ، ولكنه سبحانه وتعالى يوضح أن هذا التشعُّب يجب أن يهدف إلى التعرف والتعاون «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» وخَتَمَ الآية الكريمة بتحذير أن يكون التفوُّق فى جانب من جوانب الحياة سببا فى دَعْم الخصام والصراع ، فالتفوق الحقيقى هو فى «التقوى »أى الإنصراف للخير « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ونكرر القول ذاكرين أن الانغلاق الحضارى كارثة على البشرية وأن التعاون سيخلق حضارة إنسانية جديدة أكثر ترابطا ونفعاً للمجتمع البشرى ، وهذه هى دعوة الإسلام الحضارية وليت الآخرين يَعُون هذه الدعوة ويؤيدونها ، وينبغى للغرب بعد الدمار والحرب التى دفعها للمجتمع البشرى أن يدرك أن حضارة الإسلام هى حضارة القرن الحادى والعشرون ، وهى حاملة لواء العدالة والسلام ، وأن حضارة الغرب -بعد ما عانت البشرية من صَلَفها وتدميرها واختفاء الجانب الروحى منها - ليست جديرة بالبقاء ، ولن تصمد فى ميدان المنافسة ونرجوعلى كل حال أن يتم التعاون بين الغرب والإسلام استجابةً لهذه الدعوة ، ونحن نقدم دعوتنا من موقف قوة ، لأننا نقدمها فى شىء من الزهو لرعايتها للجانب الروحى ولسابق صلتها بالحضارة التجريبية وسعيها لتجديد هذه الحضارة .

تعرُّف الزعامات الغربية الحديثة على حضارة الإسلام :

ويطيب لى أن أسجل أن بشائر الاعتراف بمكانة الإسلام وفضل المسلمين بدأت تظهر فى الغرب ، فالزعامات الغربية الكثيرة التى تحدثت بإجلال عن الشرق الإسلامى لابدَّ أن يكون لها تأثيرها فى جماهير الغربيين ، وفيما يلى نماذج من هذه البشائر

١ - للمرة الأولى فى تاريخ البيت الأبيض أقام الرئيس الأمريكى ، بيل كلينتون مأدبة إفطار هذا العام لرجال الدين المسلمين فى شهر رمضان المبارك ١٤١٦ هـ بينما كان هذا العرف فى السابق ينطبق على كافة الطوائف الدينية فى الولايات المتحدة ماعدا المسلمين ، وقد صرحت السيدة الأولى هيلارى كلينتون أن الفضل فى لفت نظرها ونظر زوجها لفضائل الدين الإسلامى يعود لابنتهما تشيلسى التى اطَّلعتْ من خلال دورة مكثفة على قيم الدين الإسلامى الحنيف وأطلعت والديْها على ما تعلَّمته .

واذا كانت الفتاة الشابة قد استطاعت عن طريق دورة تثقيفية أن تؤثر على رئيس الولايات المتحدة إلى هذا المدى فإننا نرجو أن نواصل بكل الوسائل تقديم الإسلام والفكر الإسلامى لزعامات الولايات المتحدة وغيرها ، ونأخذ مما فعلته تشيلسى نموذجا نسير عليه .

وفى هذا الحديث أشادت زوجة الرئيس كلينتون بمبادئ الإسلام ، وذكرت أنها تحقق الاستقرار فى الأسرة والمجتمع ، ولعلها أدركت الهوة الشاسعة بين الأسرة الإسلامية وتماسكها وبين الأسرة الأمريكية وتفككها ، وأدركت كذلك أن علاج الأسرة الأمريكية يكمن فى اقتباس الفكر الإسلامى واتباع قِيَمه .

إننا نتوقع من كليتون وزوجته أن يتخذوا العبرة من إحساس ابنتهما وأن يتعرفا على الإسلام الصحيح من مصادره الحقيقية ودعاته المخلصين، ولو فعلوا لأدركوا ما فى الإسلام من مبادئ سامية تقود الجنس البشرى إلى الخير، وأن ماينسَب للإسلام من إرهاب أو انحراف ليس إلا من كيد الأعداء.

٢ - لقد نقلنا فى هذا الكتاب فقرات من كتاب «الإسلام والغرب» وهذا الكتاب يحوى ترجمة المحاضرة الثقافية التى ألقاها الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا أمام مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، وفيها الكثير من إنصاف الإسلام والمسلمين، وفيها انتقاد للإعلام الغربى الذى يصف الإسلام بما ليس فيه من إرهاب وانحراف

٣ - بروفسور جارودى الذى تنقل بين الأديان والمذاهب ثم رست سفينته على شاطىء الإسلام، وله كتابات كثيرة تمدح الإسلام وتثنى عليه

٤ - الكاتبة الألمانية أنا شميل قد كتبت كتباً ودراسات عدة تحدثت بها عن فضل الإسلام على الحضارة الغربية ودعت الغرب إلى فهمٍ أعمق وأسلم وأكثر نزاهة للإسلام .

٥ - وفى مؤتمر برشلونة الذى عقد بين الاتحاد الأوروبى ودول الجنوب فى تشرين الثانى الماضي ألقت وزيرة خارجية السويد كلمة تحدثت بها عن فضل الإسلام على البشرية جمعاء، ودعت إلى استنكار الصورة التى تقدَّم فى الغرب عن الإسلام والتى تنسُب له الإرهاب والعنف، وتحدثت عن تجربة لها عندما اجتمعت بالمسلمين والمسلمات ودرست دينهم وقيمهم فوجدت بها مُثلا طيبة ونماذج راقية.

٦ - دُعيت وزيرة الثقافة البريطانية لزيارة تجمُّع للطالبات المسلمات فى لندن، فاستجابت ودخلت المكان حافية القدمين، ووعدت باتخاذ إجراءات تراعى طقوس العبادة لدى الطالبات المسلمات.

وكل هذا يفيد أن بعض الزعامات وذوى الثقافات العالية قد أحسوا بمكانة الإسلام، وهذا يطمعنا فى أن يعرف القوم المزيد عن ديننا الحنيف وأن تتسع دائرة الذين تصل لهم هذه المعارف فإذا حدث ذلك فإن التعاون سيحل محل الصراع الذى يتبناه أحفاد الصليبيين والذى يعد خطرا على المجتمع البشرى كله.

فاللهم ابعث شعاعا من هدايتك إلى زعامات الغرب وقادة الفكر به ليستجيبوا لدعوة الحب والسلام التى نقدمها باسم الإسلام

وبالله التوفيق

اتهاماتٌ باطلة : بيانُ أصولها وتفنيدُها

هناك اتهامات باطلةينسبها الغرب للعالَم العربي والإسلامي، ويتحمس لإثباتها، ويحاول فرض عقوبات علينا بسببها، وهي في الحق باطلة، غريبة عن العالم العربي، وفيما يلي رصد لأسبابها، وبيان جذورها، وردٌ منصف عليها :

الإرهاب وكيف نُسب لنا :

تحدثنا كثيرا عن الإرهاب الذي ينسب زوراً لبلادنا، والذي لايتناسب مع ماتنعم به بلادنا الإسلامية من سلام وأمان، وبلادنا ليست كائنًا مغلّقًا أو موضوعا في صندوق مغلق، إنها واضحة للعيان، يعيش بها ملايين الأغراب والوافدين وتوجد بها عشرات السفارات والمؤسسات الدبلوماسية والعالمية وكلها تشهد بطيب العشرة ودماثة خلق المسلمين.

وإذا وجدت أحداث دموية فهي أولا قليلة جدا، ونادرة جدا، وهي ثانيا لها أسبابها التي يجب أن نعالجها لنقطع دابر هذا الوباء، فهذا شاب تخرج من الجامعة بعد جهد واسع ونفقات طائلة، ثم ظل عاطلا عشر سنوات أو أكثر، إنه يفقد سيطرته على نفسه، وربما فضّل السجن أو الموت على مثل هذه الحياة التي شاخ فيها ولم يجد مسكنا ولم يكوّن أسرة، وهذا شاب يعيش في صعيد مصر، وتعده حين تراه من أجيال العصور الوسطى المظلمة، وهنا تجمّع إسلامي يحب دينه ووطنه، ولكن الدولة لاتعترف به، ولاتمنحه حقوقه، وشباب طردهم الصهاينة من بيوتهم بفلسطين، ويعيشون أغرابا لاجئين، فهذه الحياة عندهم قريبة من الموت.. هذه هي الأمراض التي تخلق ديدان الإرهاب، والإسلام يصارعها جميعا ليرجّح الرضا بالقضاء والقدر، والأمل في مستقبل أحسن.

ثم هناك إرهاب ذكرنا من قبل إنه صناعة حكومية، وقد قدمنا نماذج منه فيما سبق، وفى قمة أسبابه مظالم إسرائيل بالنسبة للعرب والمسلمين بوجه عام وبالنسبة للفلسطينيين بوجه خاص، وهل يُحْسَب من الإرهاب أو من الاستشهاد من تضطره الظروف أن يفجِّر نفسه ليقضى على بعض أعدائه الذين طغوا فى الأرض ونكلوا بالأهل والعشيرة؟

وإذا كان الأمر كذلك، وكان الأمان شاملا ملموسا فى كل مكان بالأرض الإسلامية فلماذا وُصمت البلاد الإسلامية والعربية بالإرهاب؟

ذلك سؤال مهم تنبغى العناية به والعناية بالإجابة عنه

إن السبب هو إسرائيل، فهى التى خلقت هذا الادعاء، وروَّعت به الغرب، وكان الغرب مع ذكائه وجهده الجبار فى ميدان الابتكار والإبداع ضعيفا أمام إسرائيل، فصدَّق هذه المقولة وتأثر بها، وأصبحت إسرائيل قيادة مسموعة الكلمة فى هذا المضمار.

وبنيامين نتنياهو الذى اختير رئيسا لوزراء إسرائيل مدرسةٌ فى هذا المجال، وزعامة قوية، فهو يجمع الجموع ويعقد المؤتمرات ليشيع أن العالم الإسلامى عالم إرهاب، وأنه خطر على الحضارة الغربية، ويجب على الغرب أن يُعد العدة لينتصر على المسلمين ولا يدَّخر فى ذلك وسعا.

كان لبنيامين نتنياهو أخ اسمه «جوناتان» قتل فى بعض المعارك، وأخذ أخوه بنيامين يستغل هذه الفرصة، فأنشأ مؤسسة باسمه اسمها مؤسسة جوناتان، ووجهت كل جهودها لضرب المسلمين عن طريق هذا الاتهام الجائر.

وتقول الأنباء إن هذه المؤسسة عقدت مؤتمرين دوليين أولهما فى القدس فى يوليو سنة ١٩٧٩ ضمَّ خمسين من الشخصيات الحكومية والدارسين

الأكـاديميين والإعـلامـيين من اثـنتى عـشـرة دولة، ونجـح هـذا المؤتمـر فى لفـت انتباه الدوائر المؤثرة فى الغـرب إلى التهديد الإرهابي، ولكن هذا المؤتمر مع بحوثه واهتماماته لم يحقق النتـائج المرجوة منه وهى تحركات الغرب ضد المسلمين.

ومن أجل هذا عقد بنيامين مؤتمرا آخر فى واشنطن فى يونيو ١٩٨٤ وفى هذا المؤتمر انعقد الإجماع على ضرورة أن يتخذ الغرب إجراءات عاجلة مبنية على قـاعدة عـريضـة، وتتسم بالجرأة مـن خلال حـملة قـوية ومكثـفة ضـد الإرهاب والإرهابيين ، ومن يساندونهم، وأضـاف القرار أن الغرب الذى هو الهـدف الرئيسى للإرهاب الـدولى، عليه أن ينظم خطـوطه للمعـركة، فـإنه يجب ويسـتطيع ابتداع وسائل مـتعـددة سياسـية واقـتصادية وعـسكرية يمكنه استـخدامـها فى مواجـهة الإرهاب، ولكن يجب أن يتم ذلك كله وفـق الفهم المعنوى للإرهاب باعـتباره شرا لايمـكن عذره مهـما كان القناع الذي يختفي وراءه: كـمـا يجب الاسـتـبـعـاد التـام لأي دافع سيـاسـي أو أخـلاقي خلف الإرهاب، وباختصار يجب على الغرب مقاومة الإرهاب والقضاء عليه نهائيا وبسرعة.

وقـد شارك مع نيـتـانيـاهو في مؤتمر واشـنطن عدد كـبـير من البـاحـثين الإسرائيليـين من بينهم اسحاق رابين ببحث عن إيجاد وكـالة دولية لمكافـحة الإرهاب، وكـذلك موسى أرينز وزير الدفـاع في الحكومـة الإسرائيليـة آنذاك ومائيـر شامـجار النائب العـام الإسرائيلى، ومن البـاحثين الأمريـكيين شارك جورج شولتز وزير خارجية الولايات المتحـدة الأمريكية الأسبق ووليام وبستر مدير المباحث الفيدرالية الأمريكيـة ثم مدير وكالة المخابرات المركزية بعد ذلك هذا بالإضـافة إلى عـدد من البـاحـثين والشخـصيـات الأمريكيـة والبريطانـية والألمانية.

وصدر عن هذا المؤتمر كتاب به عدة فصول من بينها الفصل الثالث تحت عنوان الإرهاب والعالم الإسلامى كتب فيه برنارد لويس بحثا تحت عنوان «الإرهاب الإسلامى» كما كتب ايلى كيدورى بحثا تحت عنوان «الإرهاب السياسى فى العالم الإسلامى» وكتب فانكيوتس عن «انتشار الإرهاب الإسلامى».

هذا أيها القارئ هو السبب الحقيقى الذى وصمنا بالإرهاب، فليس للإرهاب وجود إلا فى عقل بنيامين نتنياهو وأمثاله ولكنه استطاع بحيله اليهودية أن يذيع هذا الباطل وأن يدعو الناس لمحاربته وأن يضع الخطط لهذه الحرب.

ولما كان من الممكن أن يقول الفلسطينيون أو اللبنانيون إنهم يدفعون المستعمر عن أرضهم فقد استطاع هذا الرجل الخبيث أن يضع نصا في القرار هو الاستبعاد التام لأى سبب سياسى أو أخلاقى، فالأطماع الإسرائيلية لاتعرف العهود السياسية ولا الأخلاق.

وسارت الولايات المتحدة وأكثر دول أوربا خلف هذا الزعم وتلك الخرافة، وأصبحنا موصومين بأننا إرهابيون، وإن انتشر الأمن والسلام فى ربوعنا الإسلامية والعربية.

وارتفعت أصوات سليمة تقرر أن الحركات الانتحارية دفاع مشروع ضد الاستعمار، ولكن هذه الأصوات ضاعت فى ضجيج الباطل الذى كان بنيامين نتنياهو من أنصاره وواضعى خططه.

وعلينا أن نبرز هذا الباطل حتى ترتفع الغشاوة عن عيون الغرب فمن الظلم أن ينتصر باطلهم على حقنا، وأن تتغلب خططهم الخبيثة على صيحات العدالة.

إن الإرهاب الحقيقى مرتبط بكل إسرائيلى يعيش فى فلسطين، فهو الذى قتل صاحب البيت وسلب داره ومتاعه، والإسرائيليون كانوا أبطال فواجع الإرهاب الكبيرة : دير ياسين وفندق الملك داود والخليل وصابرا وشاتيلا وبحر البقر، وهم الذين قتلوا الأسرى المصريين ولعل ذلك أول حدث من نوعه فى تاريخ البشرية.

كيف يرتفع صوت بأن المسلمين إرهابيون، ويجىء هذا الصوت من أخطر أبواق الإرهاب ؟

العيب عيبنا، يلطمنا الأعداء ويدعون أننا لطمناهم، ولابدّ لهذا الليل من آخر.

الأصولية وكيف أصبحت عيبا :

هذا عيب آخر ينسبه الشياطين لنا، وهو شىء غريب جدا أن المسلم الذى يقرأ القرآن الكريم ويباشر آداب الإسلام، ويصلى ببيوت الله يعتبر متعصبا ومتطرفا ومُنْغَلقا على نفسه ورافضا للمدنيّة، وخطرا على المجتمع، هذا والله هو العجب العَجاب، إن المسجد منذ نشأ كان مكانا للهدى والرشاد وروّاده كانوا حملة الخير واليسر، كيف لعب اليهود بالكلمات العربية فصيّروا كلمة أصولية كلمة رديئة مخيفة، والعجيب أن إسرائيل وجدت من يسمع لها ويجرى خلفها وهى تعرض هذا الباطل.

إننى وحولى مئات وآلاف من زملائى وتلاميذى نقرأ الكتب الإسلامية، ونجتمع على الطاعة، ونرود المساجد، وفينا الملتحى وفينا الحليق، ولكننا نحب الخير للناس ونتعاون معهم علي صلاح الأحوال، ونؤدى واجبنا تجاه ديننا ومجتمعنا الإسلامى والمجتمع البشرى كله.

يا ألله لقد قلب الضلال اليهودىُّ الخير شرا وجعلوا الأصولية عنفا وبربرية، وعندما يوجد إنسان عنيف ومتعصب، فهو لم يعرف الطريق

للمسجد وجلسات العلم، فلا علاقة إطلاقا بين التدين والتطرف وإن كانت هناك علاقة فهى عكسية، فالمتدين سمح يؤدى حق الله تعالى وحق الناس، ولايعتدى على آخر ولايظلم أحدا والدين الإسلامى يلزم المسلم بحق الله وبحق بنى الإنسان كذلك.

ومن عجب أنهم أدخلوا الرعب فى نفوس بعض زعمائنا من الأصولية فأصبح هؤلاء الزعماء معاول فى أيديهم تضرب المتمسكين بالدين.

ثم هم يرموننا بالأصولية مع أنهم أكثر الناس تمسكا بالتوراة، وقد يجدون فيها خرافة من وضع سابقيهم، ولكنهم يأخذونها أمرا يُلزمون المجتمع به.

الديمقراطية وأصولها :

قلنا إن الإسلام قدم الشورى للمجتمع البشرى، وكان هذا أول نداء بالديمقراطية عرفه الناس، وهى ملزمة، وعندما نعرض الشورى على أنها الديمقراطية فإن ذلك من باب التيسيِّر على الناس، لكن الحق أن هناك فرقا بين الشورى والديمقراطية فالديمقراطية تبحث فى كل الشئون وتتخذ فيها قرارات، لكن الشورى لاتتدخل فيما فيه نص من كتاب أو سنة، ومجال الشورى فيما عدا ذلك، ثم إن الديمقراطية تحدد الفضائل والرذائل، ولكن الإسلام هو الذى حدد الرذائل والفضائل ولايجوز للشورى أن تحدث أى تعديل فى هذا النطاق.

والعجيب أن الغرب يظن أن الديمقراطية الغربية مقدسة وعلى الناس أن يلتزموا بها، ونقول لهم إنه ليس من الضرورى أن تتشابه الديمقراطيات، بل يمكن أن توجد ديمقراطية غير مطابقة للنموذج الغربى، فيها تشاور واتباع لرأى الأغلبية إن حدث خلاف، وذلك بدون النظم الغربية التى كثيرا ماتخلق الخلافات بين اتباع التجمعات المختلفة.

والغرب الذى يمجد الديمقـراطية يتعاون في أحوال كثيـرة مع بلاد لاتسير فى جو الديمقـراطية، وهذا الغرب كثيـرا ما أيد التعسف، فكـل همه أن توجد سلطة فى البلاد تحقق أطماعه، وهـو لايهتم بالشعـوب ولا يعيرها التـفاته إذا كانت الحكومـة تسير على هواه، فـالمسألة بالنسبـة للغرب هى تحقيق أطمـاعه السيـاسيـة والاقتـصادية وأية حكومـة تحقق له هذا الهـدف فإنه يرضى عـنها ويؤيدها غير ناظر إلى آمـال الشعب ومصالحه ولانعرف أبداً أن الغـرب انتقد أية حكومة تسير فى نطاقه مهمـا بعدت عن الديمقراطية أو زورت الانتخابات أو فقدت ثقة الشعب.

فيـا أيهـا الغرب هل هذا من الديمقـراطية، كـفى لعبـا بالألفاظ وإهـمالا للمعانى، فنحن ندرك أن أهم مايعنى الغرب هو السيطرة على الناس

اليـهودية ومـخـاطرها :

اليـهودية هى أهم أسباب الصراع بين الغرب والمسلمين، وقد وسَّعت اليـهـودية والصـهـيـونيـة الهـوة بين المسلمين والغـرب، وجـعلتـه يحس أن حضارتنا خطر على الديمقراطية والحرية والمرأة.

ولو رجـعنا إلى حـقـائق الأمـور لوجـدنـا الإسـلام والمسلمين شـديدى الإجلال للسيـد المسيح ولأمه العذراء، ولكن اليـهود يهاجمونـهما ولايكنون لهما أى جانب من التوقير، ويقول الدكتور محجوب عمر[1] فى تقديمه لبحث هانتنجتون: هناك عدة ملاحظات ينبغى التنبـه إليها بالنسبة لقولة القيم أو المُثل اليهودية والمسيحية أهمها :

إنها مقولة مصطنعة وحديثة جدا فالتاريخ البعيد والقريب بل والحاضر يؤكـد عمق الخلاف بين الكنيسة الغربية بفرعيها الكاثوليكى والبروتستانتى

(١) الغرب والإسلام ص ٢١١ - ٢١٢

فضلا عن الأرثوذكس مع اليهودية ، وهو خلل قديم له سندٌ من العقائد المسيحية ، وقد شكا منه اليهود كثيرا وطويلا ، فما الذى تغير لكى ينتهى هذا الصراع الدينى الذى كان عبر التاريخ ذريعة اضطهاد اليهود فى أوربا؟

الأرجح أن هذه المقولة المصطنعة التى يجرى الترويج لها وكأنها مقولة دينية ثابتة قديمة ، مقصود بها الآن تحريض الغرب المسيحى ضد الإسلام والمسلمين من ناحية ، ومن ناحية أخرى حماية مصالح اليهود بربط قيمهم مع قيم الغرب بطريق الادعاء الذى لاجذور له وبالتالى حماية إسرائيل ومصالحها .

لقد عاشت اليهودية فترة طويلة جدا من فترات التاريخ وهى عدوة للمسيحية، والمسيحيين، واستطاع اليهود أن يبتكروا روابط لا أساس لها ليحموا مصالحهم وليوقعوا بالإسلام والمسلمين ولكنهم لن يفلحوا، وستظهر الحقيقة فى يوم ليس بالبعيد.

وبين يدى وثيقة مهمة تقرر أن دار النشر اليهودية بالقدس قامت سنة ١٩٧٠ بإصدار طبعة محرفة لأسفار العهد الجديد، وترجمتها لجميع لغات العالم وحذفت منها كل ماكان يثبت عدوان اليهود على المسيح والمسيحيين ، وهذه التعديلات جرت على طبعة ١٦١١ التى كانت معتمدة حتى سنة ١٩٧٠ وتقول الطبعة الجديدة إنها تخلصت من العلامات النكدة التى كانت تدين بنى إسرائيل وبالتالى تثير العداوة بين المسيحيين واليهود وجعلت العهد الجديد بعد هذا التعديل يضمن المحبة بدل الكراهية ، وقبل المسيحيون هذا العمل بزعامة الولايات المتحدة من أجل خاطر إسرائيل .

ولى على هذه الوثيقة تعليقان :

١ - التزوير طبيعة اليهود فكما استطاعوا تبرئة اليهود من جرائم ثابتة عليهم ، فإنهم يستطيعون إثبات جرائم على المسلمين هم منها أبرياء كما فعلوا ويفعلون فى قضايا الإرهاب والأصولية . .

٢ - اليهود مشهورون بالحرص وبالبخل ولكنهم دفعوا الملايين لتغيير العهد الجديد دون تردد، ليت شيوخنا الأغنياء يبذلون بعض ثرواتهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وكم ذكرنا أننا محتاجون لكتاب عن الإسلام باللغة اليابانية والصينية والأسبانية، ولكن أصحاب الملايين ضنوا بها وأخشى أن تقع في يوم من الأيام في أيدي اليهود.

العلمانية وجذورها :

العلمانية هي القوة التي أسقطت سلطان الكنيسة، لأن الكنيسة كانت تحارب العلم وتقتل العلماء وتحرق الكتب، فأسقط العلمانيون الكنيسة ثم الأديان جميعا .

هذا شأنهم، ولكن لماذا يفرضون علينا العلمانية؟ ويريدوننا أن نحارب الدين كما حاربوه؟ ديننا يحثُّ على العلم، ولايحارب العقل بل يؤيده ويمجِّده.

والعجيب أن الغرب لايعيب على الهندوس أو البوذيين أو الكونفوشيين ارتباطهم بأديانهم وعقائدهم ويتجهون بكل قواهم إلى المسلمين إذا ظهر منهم ارتباط بالمسجد أو بالإسلام فيجرِّمون ذلك .

ان العلمانية فكر غريب عنا، وكما وفد مع الاستعمار ينبغي أن يرحل برحيل الاستعمار .

الدين الإسلامي والتزامات المسلمين :

الدين رباط بين تابعيه، والدين الإسلامي رباط أوثق لأنه شَرَع تشريعات اقتصادية واجتماعية يتبعها جميع المسلمين مما يؤكد العلاقات بين المسلمين في كل مكان، والزكاة واجبة على الأغنياء حتى تغطِّي حاجات الفقراء وإن بعدت ديارهم، وإذا هوجم مسلمون في ديارهم كان على المسلمين في

كل مكـــان أن يهبـوا لنجدة إخوانهم، والالتزامُ يكون على الأقرب فالأقرب حتى يشمل كل بلاد الإسلام، ولايجوز للمسلمين أن يتركوا أبناء دينهم يعيشون فى ضيم يُنْزِله بهم عدو الإسلام، قال تعالى : «ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان» (سورة النساء : ٧٥)

ومن أجل هذا هب شباب الإسلام من مختلف البلاد إلى أفغانستان يصارعون الاتحاد السوفيتى حتى صرعوه وأخرجوه.

وفي البوسنة والهرسك زحف أربعة آلاف شاب مسلم إلى أتون الحرب غير هيَّابين من رجحان كفة الضرِّب.

وفي الصراع بين أرمينيا واذربيجان أظهرت تركيا أنيابها ووقفت موقفا حازما ضد أرمينيا، وهذا نسق قرره القرآن الكريم ولارجعة فيه فليحذر المعتدون .

نقاط أخرى سريعة نثبتها لدعم الوعى :

١ - نحن ندعو الولايات المتحدة أن تدرس القضية بإنصاف وألا تتأثر بإسرائيل وتعطى الحق لأصحابه، وندعو الغرب للتعرف على المسلمين بدون وساطة اليهود.

٢ - ذكرنا من قبل ان الترياق ليس فى مواجهة الأصولية أو افتراض إرهاب، بل الترياق فى إعطاء الفلسطينيين حقوقهم الثابتة بالتاريخ من جانب وبقرارات الأمم المتحدة من جانب آخر.

٣ - يقولون إن الولايات المتحدة تريد السيطرة على المنطقة وتتخذ إسرائيل وسيلة لذلك، ونقول لها بئست هذه الوسيلة، وإذا تقدمت الولايات

المتحدة مادة لنا يدها بعيدا عن إسرائيل فسنحسن استقبالها ونصافحها بـــــودٍّ.

٤ – ونقول للزعماء المسلمين : حذار من التباعد بينكم وبين الجماهير، فالخلاف بين الحكومات وبين الشعوب هو إقامة عداء داخلى وصفه الله تعالى بقوله : «بأسهم بينهم شديد» (الحشر : ١٤)

٥ – يتحدث مونتجمرى عن الأمة فى الإسلام فيقول : إنها فكرة بديعة لم تُسبَق من قبل، ولم تزل إلى اليوم ينبوعا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع المسلمين إلى الوحدة فى أمة واحدة تختفى فيها حواجز الأجناس واللغات وعصبيات النسب والسلالة، وقد تفرد الإسلام بخلق هذه الوحدة بين أتباعه فاشتملت أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والصينيين والمغول والبربر والسود والبيض علي تباعد الأقطار وتفاوت المصالح، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد ينشق عليها ويقطع الصلة بينه وبينها.

خاتمـــــــة

وبعد، لقد كان للمسلمين حضارة رجحت حضارة العالم، وكانت أستاذة ورائدة في عالم لم يكن هناك غيرها يمنح الخير والرشد للإنسان، وقد كانت حضارتنا سخية معطاءة فقدمّناها لشعوب الأرض طوعا واستمتاعا بالعطاء وشبت على يدنا أجيال وأجيال.

ودار الزمن، وشغلتنا الحياة الدنيا عن رعاية هذه الحضارة، شَغَلَنا الصراع ضد بعضنا البعض، وشغلنا الصراع ضد كثيرين من الأعداء الزاحفين من الخارج الذين أخذوا السلاح الحضارى وانحرفوا به، ونقلوه من خادم للناس إلى عابث بحياتهم.

وأكثر ماشغلنا كان الأنانية فكثيرون منا ذكروا أنفسهم ونسوا مجتمعهم، وكثيرون سعوا للزائل من المال ونسوا الخالد من الذكر، وزعامات كان همها بريق السلطان وأغضت الطرف عن المجد العلمي الذى لايخبو بريقه ولايتوقف رواؤه.

وضاعت حضارتنا وانتقلت لسوانا، وشب الذين تربوا على هذه الحضارة، شبوا عن الطوق، وكانوا قد أخذوا من حضارتنا جانبها المادى، ولم يأخذوا معارفنا الأخلاقية من سماحة وصفاء، ولما وصلت حضارتهم الجديدة إلى الذروة استبدوا بالمجتمع البشرى وهددوا الإنسانية، وأحالوا الحضارة إلى سلاح نووى فتاك، أو صاروخ مبيد، وأصبح المجتمع البشرى مهددا بحضارة لاتعرف الجانب الإنسانى، تدمر ولاتبنى، تكره ولاتحب، تهدد ولاتفاوض، تتعاون على الشر ولاتعرف البر.

ودار الزمن دورته مرة أخرى وأتيحت لنا الفرصة لنستعيد الزمام من جديد ولاتزال عقولنا خلاّقة، ومواهبنا رائدة، وكل ماعلينا أن نطرح

الأمـراض، التى ورثناها من عـصـور التـخلف ، نطرح الديكتـاتورية ، والعلمـانيـة، والأنانيـة، والإهمـال، والإرهاب، وسـرقـة الأصـوات فى الانتـخابات، ونعـود إلى الله تعالى نسـأله العون منه ونستهديه، فإن فعلنا عظم الأمل في أن يعود لنا رضى الله تعالى ، وعونه، ونعيد بذلك للبشرية حقها فى حياة اليسر والسعادة .

إن صراع الحضارات فى القرن الحادي والعشرين فرصة لنبنى من جديد حضارتنا ولنعيـدها للزعامة والريادة، وقد حاولت فى هذا الكتاب أن أبرز خطوات الجـهـد، وأرسم المعـالم للمسيـرة الجديدة، وعلى صنَّاع الخيـر وعبقريات المسلمين أن تضيف الجديد إلى هذه الخطوات، ولكن أهم ماعلينا أن نبدأ العمل بإصرار حتى لاتضيع الفرصة التى لاتتجدد إلا نادرا .

لقد أعلنوا القرن الجديد صراعا، وأعلناه قرنا للتعاون والتسامح والود ولاتغنى أمـانينا شيئـا فى عـالم الصاروخ والذرة، لأنه عـالم يعشق النصـر والسيطرة، ولايوقفه عند حده إلا أن يجد أمامه قوة مستعدة للمصارعة إذا لم ينفع نداء التعاون .

هذا هتاف من قلبى لعالمنا العربى والإسلامى الذى أعطانا الكثير، ونقل العديد منا قفزات واسعة فى مجال المال والشهرة وهذا يحتِّم علينا أن نتذكَّر هذه الهبات، وبالتالى نعمل لنوفى الوطن العربى والإسلامى حقه، ومن أجل هذا نذكِّر الرجل الذى منَّ الله عليه بالعلم أن يقدمه للناس، ونذكِّر من عنده مال أن يسهم بجزء منه فى رفع شأن بلاده وأهله، فالمليارات ستقع فى يد الأعداء إن لم تفعل ذلك كما وقعت أحمال الذهب العباسى فى أيدي المغول .

إن عدونا الأكبر هو الولايات المتحدة وعدونا المباشر هو إسرائيل، وإسرائيل لاتعرف الود ولاتعرف التعاون، إنما تجيد الانتهازية والعمل في الظلام للقضاء على كل من ينافسها بأى طريق من الطرق غير خاضعة للآداب وللأعراف، ولاهيابة مادامت الولايات المتحدة تؤيدها وتدعمها

فأينا تغريه الأطماع أن يدخر المليارات والملايين لو فكر لعرف أنه يدخرها لإسرائيل والذى يغريه منصب لامع ويهمل التزاماته تجاه بلده ودينه، هو فى الحقيقة أداة تقرّب البعيد لتحقيق آمال إسرائيل .

إننا ندعو للود والتعاون، ولكن ليكن معلوما أن مثل هذه الدعوة تُقْبَل من الند للند، وهى موضع سخرية إذا وجهها الضعيف للقوىّ، فالأنداد فقط هم الذين يتعاونون، فإذا أردنا أن ننقل الصراع إلى تعاون فإن وسيلتنا الوحيدة أن نرتفع بمستوانا إلى مستوى القوة التى ندعوها للتعاون معنا، وماعدا ذلك فهو هراء تذروه الرياح، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، وعلى الله قصد السبيل .

وكلمة أخيرة نعلق بها على نتائج الانتخابات الإسرائيلية، هى أن هذه النتائج لم تأت بجديد، فإسرائيل لها طبيعة واضحة هى أنها تأخذ ولاتعطى، وقد اضطر بيريز أن يعطى شيئا قليلا ليأخذ الكثير، وأخذ فعلا الكثير عن طريق التطبيع والاقتصاد والصفقات التى أجراها مع الدول التى زارها أو وفد له مندوبوها .

وأرادت إسرائيل أن تتراجع فيما أعطت، والوسيلة لذلك هي تقديم رئيس جديد معروف تماما بالصلف والقسوة، وفى يده قوة يعتمد عليها هى أن الشعب الذى اختاره لايريد منح أى شىء من أجل مايسمونه السلام، ولإسرائيل وسائل أخرى تحصل بواسطتها على إرغام جيرانها على

الإستسلام، وهذه الوسائل هى الولايات المتحدة من جانب والرءوس النووية من جانب آخر.

وليتنا نعلنها صريحة إن تراجع إسرائيل يحتم علينا تراجعا بنفس الحماسة، فلا تطبيع، ولاهرولة، ولا صفقات تجارية ، ولامكاتب سياسية، وفى القمة من ذلك إعلان الوحدة العربية الشاملة، وإعلان مقتضياتها السابقة وحينئذ يعود الزمام لأيدينا ولايكون بأيدى الناخب الإسرائيلى.

إنه امتحان نمرّ به وعلينا أن نبذل أقصى الجهد لننجح فى هذا الامتحان

مراجع ومصادر وردت في ذيل الصفحات

هذه الدراسة حصيلة قراءات واسعة عربية وإنجليزية ومترجمة ، وحصيلة دراسات شخصية ، بالإضافة إلى تتبُّع الأحداث وهضمها وشرحها والتعليق عليها ، وهناك قليل من المصادر والمراجع وردت في ذيل صفحات هذا الكتاب نثبتها فيما يلى مرتبةً حسب الحروف الهجائية مع عدم اعتبار الملحقات ابن - أبو - أل .

١ - آيات من القرآن الكريم

٢- بعض الأحاديث النبوية الشريفة

٣- صحف ودوريات كثيرة عربية واجنبية

٤ - وبوجه خاص مجلة الحياة المسيحية ومجلة الرائد الهندية

٥ - العالم الإسلامى وآفاق القرن الواحد والعشرين ، وزارة الثقافة المصرية

٦- د. أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى

٧- د. أحمد شلبى : موسوعة الحضارة الإسلامية

٨- د. أحمد شلبى : مقارنة الأديان : اليهودية ، المسيحية ، الإسلام ، أديان الهند الكبرى

٩- د. أحمد شلبى : صلاح الدين الأيوبى . شخصيته - عصره - جهوده

١٠- د. أحمد شلبى : شبهات المستشرقين ضد الإسلام : مناقشتها وردُّها

١١- د. أحمد شلبى : عالمية الإسلام

١٢- د. أحمد شلبى : أحداث العراق والكويت

١٣- د. أحمد شلبى : اليهود فى الظلام

١٤- أبو الأعلى المودودى : تحديد النسل

١٥- الألوسى : التفسير



١٦- أناتول فرانس : الصراع ضد المسلمين بأوربا

١٧- بدرالدين الصينى : العرب والصين

١٨- Emerton Midaeval Europe

١٩- Prince Charles Islam and the West

٢٠- Thomas Arnold Preaching of Islam

٢١- Thomas Arnold The Caliphate

٢٢- جلال مظهر : حضارة الإسلام

٢٣- Gourge Sarton History of Sciences

٢٤- أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية

٢٥- ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد

٢٦- Richard Nixon Seize the Moment

٢٧- سعد الدين وهبة : ½ قرن فى الصين

٢٨- الشيخ سيد سابق : فقه السنة

٢٩- شوقى أحمد : التنمية والبيئة

٣٠- الشوكانى : نيل الأوطار

٣١- Samuel Huntington The Calsh of Sivilization

٣٢- صبحى محمصانى : القانون والعلاقات الدولية فى الإسلام

٣٣- الطبرى : تاريخ الأمم والملوك

٣٤- د. طه حسين : قادة الفكر

٣٥- د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان : العلاقات الدولية

٣٦- د. عبد الفتاح الغنيمى : الحضارة الإسلامية وتحديات القرن ٢١

٣٧- د. عبد المنعم النمر : الشيعة - المهدى - الدروز

٣٨- د. عبد الهادى مصباح : مناظرات علمية

٣٩- الغزالى (أبو حامد) : إحياء علوم الدين



٤٠- فوزى درويش : الشرق الأقصى

٤١- Philip Hitti History of the Arabs

٤٢- ابن القيم : زاد المعاد

٤٣- الماوردى : الأحكام السلطانية

٤٤- الشيخ محمد أبو زهرة : الإسلام والعلاقات الدولية

٤٥- محمد عبد السلام : حدود الخوف واستخدام الأسلحة النووية الإسرائيلية

٤٦ - محمد إقبال : ديوان إقبال

٤٧- الشيخ محمد الغزالى : مائة سؤال عن الإسلام

٤٨ - الشيخ محمد الغزالى : السيرة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث

٤٩- محمود قاسم : ابن رشد المفترى عليه

٥٠- ممدوح حامد عطيه : البرنامج النووى الإسرائيلى

٥١- ابن نباته المصرى : سرح العيون

٥٢- ابن النديم : الفهرست

٥٣- ابن هشام : السيرة النبوية

٥٤- Hearshow : علم التاريخ

٥٥- وجيه أبو ذكرى : الزهور تدفن فى اليمن

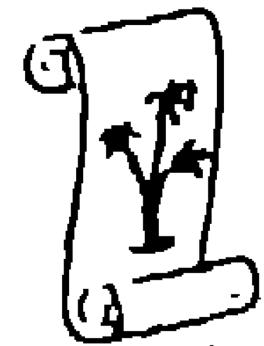
٥٦ - وجيه أبو ذكرى : ذكريات هزيمة يونيو

٥٧- ول ديورانت : قصة الحضارة

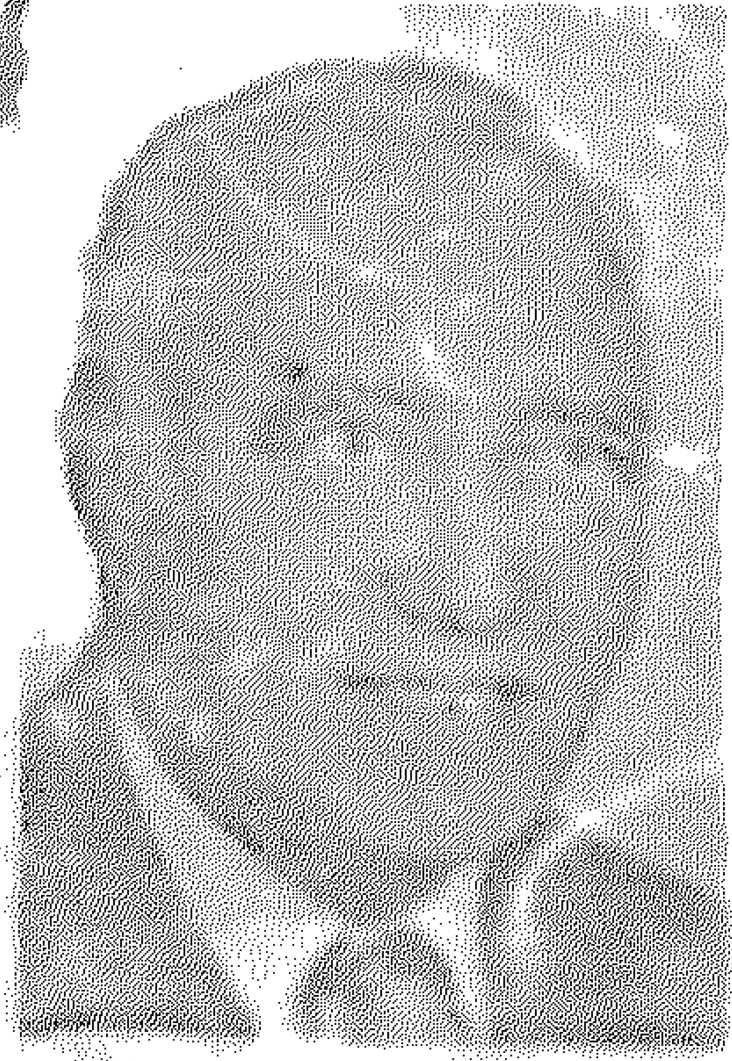
٥٨- الشيخ يوسف القرضاوى : السيرة النبوية : معالم وضوابط

محتويات الكتاب

رقم الإيداع
٩٤١٦ - ٩٦
I.S.P.N. 977 - 200 - 167 - 5



مطبعة الإسراء



كانت الحضارة العربية والإسلامية بجانبيها المادى والروحى هى اقدم الحضارات فى العالم، وأرفعها شأناً، وقد اقتبس الغرب بعض معارفنا فى الحضارة المادية، وأعترف بذلك مفكروهم قديماً وحديثاً، أما الحضارة الإسلامية الروحية التى تبدأ بالإيمان بالله وتمتد فتشمل الأخلاق ونظام الأسرة والسياسة والاقتصاد .. فقد عجز الغرب عن اقتباسها، وتناسيناها نحن فى عصور الظلام.

وارتقى الغرب بالحضارة المادية فى كل اتجاه، ووصل بها الى خلق وسائل صراع مدمر كالصاروخ والذرة، ثم أدرك الغرب فشل الصراع العسكرى، إذ أن الدولتين اللتين انهزمتا فى الحرب العالمية الثانية، وسلمتا دون قيد ولا شرط وهما اليابان والمانيا، سرعان ما فاقتا المنتصرين.

ومن هنا أدرك الغرب ضرورة اللجوء لصراع الحضارات، واعتبر القرن الجديد قرناً لصراع الحضارات، بل اعتبر المسلمين هم القوة التى تواجه الغرب فى مجال هذا الصراع بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

ونحن نقبل التحدى، ولكن ماذا نفعل لنعدّ انفسنا لهذا المواجهة ؟ هذا ما يحاول هذا الكتاب أن يقدمه للقارئ العربى والقارئ المسلم.

وعلى الله قصد السبيل.